د. محمد عمارة

الطريق إلى اليقظة الإسلامية

دار الشروق

الطريق إلى اليقظة الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة: ٧٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا: شروق - فاكس [illegible]
بيروت: ص.ب ١٠٣٥ - هاتف [illegible]
برقيا: دار شروق - فاكس [illegible]

د. محمد عمارة

الطريق إلى اليقظة الإسلامية

دار الشروق

الغلاف للفنان حلمي التوني

تمهيد

من « غانة » إلى « فرغانة » .. إذا انطلقنا من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ..

ومن جزر الفلبين ـ عند خط الطول ١٢٠° ـ فى الشرق إلى أقصى الغرب فى إفريقية .. إذا انطلقنا من الشرق إلى الغرب ..

ومن أعالى نهر الفلجا ـ عند خط العرض ٦٠° ـ شمالا إلى أواسط افريقية ، جنوبى خط الاستواء ..

ومن « ملقا » بالملايو شرقا إلى « ملقة » ، بالأندلس غربا !..

ومن غينيا الجديدة ، فى أقصى الشرق الآسيوى إلى جمهورية غينيا ، فى أقصى الغرب الإفريقى ...

يمتد عالم الإسلام وداره . وتتصل وتترابط بلاد المسلمين ..

خمس وثلاثون مليونا من الكيلو مترات المربعة ، تقوم عليها سبع وخمسون دولة ، يتحكم موقعها فى أهم الطرق والممرات للملاحة البحرية والجوية العالمية ... وفيه تتنوع المناطق المناخية : الحارة والمطيرة .. والصحراوية .. والمتوسطية ... وفى أرضه ، شبه البكر ، تقبع كنوز الثروات الطبيعية ..

فهو الأول فى الثروة البترولية ، ويتج منه ٦٠٪ من الإنتاج العالمى
وهو الأول فى ثروة المنجنيز ، وينتج منه ٢٤٪ من الإنتاج العالمى
وهو الأول فى ثروة الكروم ، وينتج منه ٤٠٪ من الإنتاج العالمى
وهو الأول فى ثروة القصدير ، وينتج منه ٥٦٪ من الإنتاج العالمى
وهو الأول فى ثروة البوكسيت ، وينتج منه ٢٣٪ من الإنتاج العالمى
وهو الثانى فى ثروة النحاس ، وينتج منه ٢٥٪ من الإنتاج العالمى
وهو الثانى فى ثروة الفوسفات ، وينتج منه ٢٥٪ من الإنتاج العالمى
وهو الثالث فى ثروة الحديد ، وينتج منه ١٢٪ من الإنتاج العالمى
وهو الخامس فى ثروة الرصاص ، وينتج منه ١٠٪ من الإنتاج العالمى
وهو السابع فى ثروة الفحم ـ الذى تراجعت أهميته أمام البترول ـ .

وعلى أرض هذا العالم ـ عالم الإسلام ـ ، ذى الموقع الحاكم ، والثروات الهائلة ، يعيش أكثر من مليار نسمة ، أى ربع سكان العالم . ونسبة التوالد بينهم هى أعلى نسبة توالد فى العالم ـ ٢ ١/٤٪ ـ الأمر الذى يرشح سكان العالم الإسلامى للقفز ، قريبا ، إلى ثلث سكان هذا الكوكب الذى يعيش عليه الإنسان ! [1] .

وفوق الموقع الحاكم ، والمساحة الشاسعة ، والثروات الهائلة ، ورأس المال الوفير ، والأيدى العاملة والعقول المفكرة التى تفيض ، مهاجرة ، إلى خارج الحدود ؟ ! .

---

(١) انظر فى هذه الحقائق والأرقام : د . اسماعيل أحمد ياغى ، محمود شاكر [تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر] جـ١ ص ١١ ، ١٢ . طبعة الرياض سنة ١٤٠٤ هـ سنة ١٩٨٤ م . ومحمود شاكر [اقتصاديات العالم الإسلامى] ص ٢٢٨ طبعة بيروت سنة ١٣٩٩ هـ سنة ١٩٧٩ م .

فوق كل ذلك وأهم من جميعه فإن سكان هذا العالم يمتلكون ميزات الأمة الواحدة . وطاقاتها وإمكاناتها . ويجمعهم جميعا السمات والقسمات التي تؤلف بينهم حضاريا بالحضارة الإسلامية الواحدة . وفي القلب والعقل من كل فرد من أفراد هذه الأمة الواحدة . ذات الحضارة الواحدة هذه العقيدة الدينية . التي تجمع الكل على إله واحد . ونبي واحد . وكتاب واحد . وقبلة واحدة ... وهي ذات العقيدة التي سبق وجعلت من قبائل الجاهلية الجاهلة المتناحرة خير أمة أخرجت للناس . وصنعت من البداوة أعظم المنارات الحضارية التي عرفها تاريخ الإنسان . وصاغت من شتات القبائل والشعوب جسدا حضاريا واحدا . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى !..

وإذا كانت العقيدة لم تتغير ولم تتبدل . لأن الذي أوحى بها . سبحانه . قد تعهد بحفظها .. [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون][1] .. فلماذا هذا الانقلاب إلى النقيض ؟!

الأمة الواحدة . غدت شراذم لشدها سلاسل التبعية الفكرية والحضارية والاقتصادية والسياسية والعسكرية إلى مراكز التوجيه والتأثير خارج عالم الإسلام . وبعيدا عن مصالح أمة الإسلام ؟!

والموقع الحاكم . بدلا من أن يكون ميزة تثمر القوة والمنعة . غدا مجرد إغراء للأمم الأخرى . بل ولشذاذ الآفاق . بالتكالب عليه وعلى إمكاناته بالسلب والنهب والتخريب ؟!..

---

(١) الحجر : ٩

والثروات الهائلة ، مثلها كمثل الموقع الحاكم ، لم تعد مصدر الثراء وطاقة التقدم وسياج الاستقلال للأمة ، وإنما غدت قيودا وأغلالا تشد عالمنا وأمتنا بحبال الاستغلال الاقتصادى إلى خزائن الاحتكارات العالمية وشركاتها الكونية المتعددة الجنسيات ؟!..

وأرض الفتوحات ومواطن الفاتحين ، الذين فتحوا فى ثمانين عاما أكثر مما فتح الرومان فى ثمانية قرون ، وحرورا ـ على عكس الرومان وغيرهم من الفاتحين ـ بفتوحاتهم هذه جوهر الإنسان ومحيطه : الضمير ، والأرض ، والفكر ، والإرادة ، وقوة العمل ، والمواريث الفكرية المقهورة ، ليصوغوا من كل ذلك ـ بأدوات الإسلام ومعاييره ـ حضارة جديدة لعالم جديد ... هذه الأرض الحرة ، وأهلها الأحرار لماذا دخلوا فى الرق والاستعباد للآخرين ؟! لماذا أخرجوا من ديارهم ، تهجيرا حينا وعزلا عن امتلاك مقدرات هذه الديار فى معظم الأحايين ؟!.. بل ولماذا بلغوا فى استكانة الرق والاستعباد إلى حد المظاهرة والتأييد والتبعية للذين يقاتلونهم فى الدين والدنيا ويخرجونهم من الديار ؟!..

إن الطاقات والإمكانات لم تنبذ بعد .. بل لقد زادت بالاكتشافات الحديثة ، وهى دائمة الازدياد ...

وإن العقيدة ، التى صنعت الحضارة عندما تجسدت فى الواقع الدنيوى موظفة عبقرية الإنسان فى عمارة الأرض وتمدن المجتمع وسياسة الدولة كخليفة عن الله سبحانه وتعالى .. هذه العقيدة ، هى الأخرى لم تتبدل ، بل لقد زادتها العلوم والمعارف مضاء وكشفت لنا منها الجديد من الطاقات والإمكانات ...

فأين الخلل إذن ؟.. ولماذا هذه الغفلة التى تحول بين العقيدة وبين التجدد

الحضارى مرة أخرى ؟!.. وكيف ولماذا ومتى دخلت هذه الأمة دور التوقف فالتراجع فالجمود ؟.. وكيف السبيل إلى يقظة إسلامية تبعث حضارتنا الإسلامية من جديد ، هذا البعث الذى يجعل هذه الأمة الواحدة تتقدم إلى الإنسانية ، مرة أخرى بالإسلام ـ رسالتها الخالدة ـ لتسهم من جديد فى إخراج الإنسانية من المأزق الحضارى الذى يمسك منها بالخناق ؟!..

ذلك هو موضوع ومهمة صفحات هذا الكتاب..

ومن الله نستمد العون.. فهو ولى التوفيق والسداد..

دكتور

محمد عمارة

القاهرة

رمضان ١٤٠٨ هـ

مايو سنة ١٩٨٨ م

هل المسلمون أمة واحدة ؟

[illegible] ومكانة وطاقة [illegible] الأمة من طاقة ومكانات

[illegible] « الشخصية [illegible] » [illegible] في وحدة الأمة الإسلامية [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] الأمة الإسلامية [illegible] ولذلك يطلقون مصطلحات « الأمة المصرية » [illegible] و « الأمة التونسية » و « الأمة الفرنسية » و « الأمة [illegible] » الخ . بل ويعرفون الدوريات [illegible] « الشخصية القومية » [illegible] « عربية » [illegible]

الإسلامية الواحدة، وحرر في المحيط الإسلامي الأوسع، وجزئيات في الكل الإسلامي الأشمل، وإنما باعتبار كل منها كيانا قوميا يكون شخصية قومية مستقلة تمام الاستقلال، وأمة قائمة بذاتها من دون الناس.

فأين الحقيقة في هذا الموضوع؟

هل المسلمون أمة واحدة؟ حتى نتوجه إليها حديث واحد عن النقطة والنهضة، المتحدة الخصائص والشروط؟.

أم أنهم أمم، تتعدد الأوطان والقوميات والأجناس التي تتوزع عالمهم الإسلامي الكبير؟!

إن الكثير من المعاجم والقواميس التي عرضت وتعرض بالتعريف لمصطلح «الأمة» - وخاصة تلك التي تأثرت بالمضامين العربية لهذا المصطلح - قد تميز تعريفها لهذا المصطلح بالضبط والتحديد، على تفاوت في السمات والقسمات والشروط التي وضعتها وتضعها هذه المعاجم والقواميس للجماعة البشرية الجديرة بأن تكون «أمة» متميزة عن غيرها من الأمم الأخرى.

ففي الموسوعات والمعاجم ذات التوجه الفكري المادي، تتصدر العوامل المادية الشروط والسمات التي تؤهل الجماعة البشرية لتكوين «أمة» - حتى تعتبر «السوق» و«الحياة الاقتصادية المشتركة» هي الموثقة التي تنصهر فيها الأمة، و«الرحم» التي تولد منها، مع ما يلزم هذه «السوق» من «أرض مشتركة»، تثمر في الميدان الفكري والثقافي، «تكوينا نفسيا مشتركا»، يربط بين هذه «الأمة» بروابط المشاعر والأحاسيس والميل والمزاج والقيم

والذكريات والمواريث والآلام والآمال[1] [illegible]

وبعض هذه القواميس والمعاجم يذهب في التحديد والضبط بشروط «الأمة» وسماتها وقسماتها [illegible] حتى يخلط خلطاً واضحاً بين «الأمة» و«الدولة» [illegible] الأمة جماعة سياسية مستقلة ذات إقليم محدد، يشترك أعضاؤها في الولاء لمؤسسة واحدة، مما يؤدي إلى إحساسهم بالوحدة وبأنهم يكونون مجتمعاً. ولا يلزم لقيام الأمة أن تكون ذات أصل مشترك، أو لغة واحدة، أو دين أو عنصر واحد. وإن كانت الأمم تكون عادة اعتماداً على التاريخ المشترك ووجود عناصر ثقافية متشابهة»[2]

ويتجه جوهر [illegible] ذلك التعريف الذي يرى «الأمة» جملة الأفراد الذين يكونون وحدة سياسية، وتجمع بينهم وحدة الوطن والتراث والمشاعر من آلام وآمال»[3]

فهذا الخلط بين «الأمة» و«الدولة» هو ثمرة من ثمار التأثير الفكري العربي في مادة ومضمون هذه المعاجم والقواميس «العربية» [illegible] خادم للأهداف العربية من وراء إشاعة هذه المضامين في هذه التعريفات التي تكون وتلون وتصنع فكر القراء والباحثين العرب والمسلمين في هذا البحث [illegible] «الأمة» وتحديد ماهيتها ونطاقها[4]

فالحضارة العربية قد صاغت «للأمة» مثل هذه التعريفات [illegible] خلطت بينها وبين «الدولة» [illegible] «أمم» هذه الحضارة قد امتلكت كل

[illegible]

[illegible] الترجمة [illegible] طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

٢) [illegible] ١٩٧٩ .

٣) [illegible] ١٩٧٩ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في إطارها بين « الأمة » و « الدولة »

وشيوع هذا المفهوم ـ الذي يطابق بين « الأمة » و « الدولة » ـ في قواميس ومعاجم الأمم التي مزقها القهر الاستعماري الغربي ، و المصالح الإقليمية الضيقة لبعض العشائر والفئات والطبقات ، والتي أثمرت نظم « ملوك الطوائف » الذين صنعهم وبرعاهم الاستعمار وهيمنة الحضارة الغربية ، إن شيوع هذا المفهوم بينهم ولا شك في تشكيك هذه الأمم بوحدتها ، فيفقدها الاتجاه الموحد نحو استكمال وحدتها كأمة ، ونحو إقامة الدولة الواحدة التي ترسخ وحدة الأمة وتنمي سماتها وقسماتها ، وهنا تنهض المفاهيم الغربية ـ عندما توظف خارج إطارها وتزرع في غير أرضها ـ بدورها في موازرة غيرها من أدوات القهر والاستلاب التي صنعها وتصنعها الاستعمار ، وفي هذا الإطار ، وتحت هذا الضوء يجب أن نرى قيمة ومرامي ونتائج دعوى الذين ينطلقون من مفاهيم الحضارة الغربية عن « الأمة » ليكرروا وحدة المسلمين كأمة ؟

ومن هذه المعاجم والقواميس من [illegible] من آفة الخلط بين « الأمة » و « الدولة » ، مع تميزه ، في تعريفه للأمة ، بخصائص التعريفات المنطقية الحديثة [illegible]

[illegible]

نهج المتميز في تعريف «الأمة» بوحدة المسلمين كأمة واحدة ذات حضارة واحدة.

مفهوم الأمة في أصول العربية

يقول الراغب الأصفهاني [٥٠٢هـ - ١١٠٨م] في كتابه [المفردات في غريب القرآن]، عندما يعرض لتعريف «الأمة» إنها «كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء أكان ذلك تسخير أم اختيار وجمعها أمم»[٥]. فهي إذاً الجماعة يجمعها أمر ما فتميزها، سواء أكان هذا الجامع طبيعياً وخلقة وتسخيراً، كما هو الحال في الخلق الإلهي لجماعات - أمم - الحيوان غير المختارة، وفي الجوامع الطبيعية التي تجمع الجماعات - الأمم - الإنسانية، أو كانت الجوامع مختارة وضعية كاللغة، مثلاً.

وإذا كان العرب والمسلمون القدماء قد اجتمعوا على هذا التعريف للأمة، فإنهم قد اجتهدوا في تحديد العدد المكون للحد الأدنى للجماعة التي تستحق وصف «الأمة» إذا جمعها جامع وربط بينها رابط. ففي أحد الأحاديث النبوية ما يشير إلى أن هذا العدد أقله مائة، ففي هذا الحديث يطالع قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين، يبلغون أن يكونوا مائة، يشفعون إلا شُفِّعُوا فيه»[٦]. ومن القدماء من اجتهد فوقف بها العدد عند الأربعين، فلقد روي أن واحداً ممن سمع إحدى روايات الحديث النبوي المشار إليه سأل أحد رواته

---

(٥) [دائرة المعارف الإسلامية] الطبعة العربية الثانية، طبعة القاهرة [illegible] من تعليق الأستاذ أحمد محمد شاكر. ونص الراغب الأصفهاني في [المفردات] ص ٢١.

(٦) رواه النسائي [illegible] عن عائشة [illegible].

أبو المليح ـ عن « الأمة » ؟ » فقال « أربعون » [7] وهي تحديدات فرضها الموقف .. واجتهادات لا إلزام فيها !..

ولقد استقر ، واستمر هذا المضمون لمصطلح « الأمة » في تراثنا اللغوي ، وعبر معاجمنا العربية [8] ، وكتب التعريفات وكشافات مصطلحات العلوم والفنون [9] ونهج ذات النهج أحدث هذه المعاجم ـ وهو [المعجم الكبير] ـ عندما استند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والشعر العربي ـ وهي ديوان اللغة العربية ومصادرها المرجعية ـ فكشف عن أصالة هذا المضمون لهذا المصطلح في لغتنا العربية

فالأمة هي الجماعة [ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] [10] .

وهي الجماعة والجنس من كل حي ، ولو لم يكن بشرا [ما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم] [11]

وهي الجماعة من الناس يربطها رباط « الجيل والقرن » [كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم] [12]

وهي أمة ـ أي جماعة كل نبي ، الذين أرسل إليهم ، الذين آمنوا منهم ، والذين ظلوا على كفرهم فهم جميعا « أمة الدعوة » ، يجمعها

---

(7) رواه النسائي ، عن ميمونة أم المؤمنين

(8) [لسان العرب] لابن منظور ، مادة « أمة » ، طبعة القاهرة ، دار المعارف ، بدون تاريخ

(9) [كشاف اصطلاحات الفنون] للتهانوي ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م

(10) آل عمران ١٠٤

(11) الأنعام ٣٨

(12) الرعد ٣

جامع الدعوة ورباطها . والذين آمنوا منهم هم « أمة الإجابة » ، يجمعهم جامع الإيمان ورابطة الإجابة ..

ثم هي [illegible] الفرد إذا قام ـ بمفرده ونفسه ـ مقام الجماعة [illegible] كالرجل [illegible] وبمعنى الجامع [illegible] [إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا] [3] [illegible] المنفرد بدين الحق رغم طوفان الوثنية والضلال « يُبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل أمة على حدة »[4]

كما يطلق مصطلح « أمة » ـ على « الدين والملة » [illegible] كجامع [illegible] الجماعة فيجعلها أمة [وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون] [5] [illegible] وكذلك على [illegible] « كرباط جامع من يعيشون هذا الحين والزمان [ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه] [16]

وأخيرا [illegible] مصطلح « الأمة » ـ على « [illegible] » كرباط سياسي يجمع الرعية برباط الدولة .

وعلى هذا [illegible] [معجم [illegible] القرآن الكريم] [illegible] « الأمة » [illegible] « الأمة » [illegible] كل جماعة يجمعهم أمر ما [illegible] والأمة [illegible]

---

٣ [illegible]

٤ [illegible]

٥ [illegible] ٢٣

(١٦) هود ٨

وحين ... ذكرت لأن ... وتعين موضعه من موضع ... وقد ... مصطلح ... القرآن الكريم قد جاء معناه في ... على ... جاء ... في موضعين تعني ... حين ... وفي موضعين تعني ... بدين ... وتعني ... بقدره ومعلم ... في موضع واحد ... قومي ... عليه السلام ... عندما ... ماء مدين [وجد عليه أمة من الناس يسقون] [1] ... فهم جماعة جامعة طلب ... سقاية من ماء مدين [ومن دونهم امرأتين تذودان] [2] ... جامعتين إسلام ... وجه لله [ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] [3] ... جامعة ... يوصي ... بالخير ... على ... أمر بالمعروف ونهي عن المنكر [وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم] [4] ... وجامع في كل منها ... المقام ... الأمة ... في نمط ... الحياة وطرائق العيش ... الخ ... الخ

وبعد كل ... هذه الجولة ... الشرعية ... الوقوف ... على ... على ... الصحيح ... لفظ ... الكريم في ... استخدام ... المصطلح ... مصطلح ... « أمة » ... فإنه ... يمكن ... القصد ... ووضعه ... فيه ... ذات ... المضمون ... فإنه ... لحد ... حديث ... رسول ... صلى الله عليه وسلم ... « إن أمتي لا تجتمع على ضلالة » [5] ... وجامعها ... بعد ... الأخذ ... بمدلوله ... الحديثة ... و ... وصف ... من ... أمتي ... ليس ... هم ... في ... الإسلام ... بمنصب ... الأخذ ... وعدله » [6] ... فالمعصوم ... لم يخرج ... هذه ... من ... جامع ... أمة ... و ... « لا تزال ... طائفة من أمتي قوامة على أمر الله ... لا يضرها ... من ... خالفها » [7] ... فكونها ... خير ... مستمر ... لم ... خرجها ... عن ... جامعة ... أمة ... و : « تعمل أمة من الأمم » [8]

---

(١٧) القصص ٢٣ ... (٢ ... رواه ... ماجة

(١٨) البقرة ١٢٨ ... (٢٢) رواه البزار

(١٩) ... عمران ... ١٠٤ ... (٢٣) رواه ... ماجة

(٢٠) الأنعام ٣٨ ... (٢٤) رواه مسلم

و « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها »[25] فهي جماعة ، أي أمة .. الخ .. الخ .

فهي إذن ، الجماعة ، أية جماعة يربطها أي رباط جامع هي « أمة » ، دون ضبط أو تحديد الروابط بعينها ، أو تعداد محدد من هذه الروابط الجامعة ..

ذلك هو المضمون الذي اجتمعت عليه أصول العربية ، وساد في حضارتنا الإسلامية

فهل هذه « المرونة » التي رفضت التحديد والتقييد ، والتي تركت الباب مفتوحا للروابط المضافة إلى الجماعة ، وكذلك لحدود الجماعة ذاتها ، هل هذا النهج المتميز وهذه الخصوصية العربية الإسلامية دلالة حضارية في ميدان التمايز الحضاري والخصوصيات القومية يمكن رصدها عندما تكون المقارنة بين الأمم والحضارات ؟! وهل في ذلك ما يلقي ضوءا على أمر ذي بال في مفهوم « الأمة » بحضارتنا العربية الإسلامية ؟! على النحو الذي يكون شاهدا صادقا على « وحدة الأمة الإسلامية » ؟؟ سنطر

أمة تنحو نحو العالمية :

في الحضارة العربية ساد مصطلح « الأمة » في مرحلة تبلورت فيها القوميات ، على أنقاض الرابطة اللاهوتية المسيحية الجامعة ، فكان الاستقلال

---

(٢٥) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حنبل

والانسلاخ هو طابع المرحلة ، ثم كان الطابع الصراعي الذي تولد من تناقضات المصالح الرأسمالية عاملا هاما في تأجيج العصبية القومية . فكان البحث ، في إطار الفكر القومي العربي ، عن الفواصل وعوامل التمايز بين الأمم والقوميات ، فرأينا الضبط والتحديد للسمات والشروط الجامعة المانعة في تعريف « الأمة » ، إذكاء لروح التمييز ، الذي صار بوتقة لإبراز « المغايرة » القومية ، وشحنا للوجدان القومي كي يدفع كل أمة إلى العلبة في حلبة الصراع على المصالح والأقاليم ، داخل أوربا أولا ، وخارجها بعد ذلك ، إن في العالم الجديد أو القديم ، طلبا لمصادر الثروة ، والأيدي العاملة الرخيصة ، وتحقيقا للهيمنة والاحتواء .

تلك كانت ملابسات الصياغة والتحديد لمضمون مصطلح « الأمة » في الفكر القومي للحضارة العربية .

ولما كانت ملابسات صياغة مضمون هذا المصطلح في حضارتنا العربية الإسلامية معادية تمام المغايرة ومخالفة كل الاختلاف لتلك الملابسات العربية بل وعلى النقيض منها ، فقد تميز عندنا هذا المفهوم ومضمون مصطلح « الأمة » تميزا كبيرا .

فالطور العربي الإسلامي لحضارتنا ، الذي نتلو على أرض أمتنا بعد الإسلام ، والذي تعيشه هذه الأمة ، كامتداد منطق لموازينها الحضارية والفكرية التي سبقت ظهور الإسلام ، هذا الطور العربي الإسلامي لم يكن طور انسلاخ عن رباط أشمل ، ولا استقلال عن كيان أكبر ، ولا بحث عن العوامل المميزة ، والفواصل والحواجز ، وإنما كان على العكس من ذلك طور جمع وتأليف للفكر الحي المتوقد الذي جاء به الإسلام مع المواريث

الفكرية والحضارية التي وجدها العرب المسلمون في البلاد التي دخلت في حظ
الإسلام وللجماعة العربية المسلمة التي انطلقت من شبه الجزيرة مع الشعوب
التي توحدت في إطار الدولة العربية الإسلامية الجامعة. فلم يكن هم هذه
الحضارة وجماعتها السورية - ومن ثم بعدها العربية - البحث عن مغاير وبحدد
وبفصل. طلب الاستقلال القومي عن كيان أوسع ورابطة أشمل. وإنما كان
همها هو البحث عن عوامل التأليف لأمة أكبر وجماعة أشمل وحضارة
أوسع ولذلك. فلقد وقف هذه الحضارة - وبعدها العربية - عصمون
ومفهوم الأمة عند مضمون الرباط الجامع للجماعة. أما كان هذا الرباط
وذلك حتى يقر أسباب معروف للتأليف والاستيعاب. وحتى تمتد مساحته بأثير
وفعاليته. الدولة الإسلامية فتشمل دائرة حضورها كل الجماعات التي تدخل
دائرة حضارة الإسلام. حتى ولو لم تدن بدين الإسلام [illegible] من
هذه الجماعة غير المسلمة الإسلامية وأمته عضوة في المجتمع الإسلامي
وأنصاره كونها الرسالة الخاتمة، التي جاءت لتشمل جميع البشر على الإطلاق
[illegible] وبتنوع منه - تعبير الإسلام - حضارة مستوعبة [illegible] في
عمق لأكبر التغيرات بين الجماعات البشرية، ولأكبر [illegible] في
شروطها، لتوقف التعددية القومية في [illegible] وبعد [illegible] في
عمق [illegible] كان وقوف هذه الأمة عند حد أدنى من [illegible] في مضمون
الأمة ومفهومها عند تحركها، وبروز الأمة - ومفهومها - في
[illegible] عصبة الانطلاق وعصب الاستعلاء على عدد من الجماعات، لأهم
[illegible]

[illegible] مفهوم الامتداد الأيديولوجي، لا الاستيلاء الاستغلالي [illegible]
[illegible] الحقيقة [illegible] هو مفهومه [illegible] الإسلام [illegible]

للموروث والقسمات الحضارية الأخرى - كما حاولت وتحاول ذلك الحضارة الغربية مع غيرها من الحضارات - وإنما بالإحياء والتجديد والتطوير والاستيعاب لما هو قابل وصالح للإحياء والتجديد والاستفهام من الموروث الفكرية والحضارية على اختلاف مواطنها ومبادئها وألوانها.

إنه منطق متميز، وبوجه متميز، أثمر هذا التميز لمفهوم «الأمة» في حضارتنا العربية الإسلامية عنه في غيرها من الحضارات، وعنه في الحضارة الغربية على وجه الخصوص.

● ففي قريش، بمكة، نزل الوحي الإلهي على المصطفى محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - برسالة الإسلام، فكانت «التوحيد الديني» الإسلامي - الذي بلغ الذروة في بقاء التنزيه والقمة في التجريد - كانت هذا «التوحيد الديني» إثارة العظمى في «توحيد هوية» الجماعة البشرية العربية التي كانت الوثنية المتعددة الجسد وترمز إلى تشرذمها وتمزقها القبلي في الجاهلية، وذلك دون أن تعني هذه «الجامعة القومية العربية» سيادة قريش، ولا تجاهل التمايزات القبلية أو الفقر على واقعها، وإنما كانت هذه الظاهرة التوحيدية الوليدة «تأليفا» للقبائل المتميزة، و«وحدة» لا تنكر «التعددية» - حتى لقد عدت من معجزات الإسلام التي أبدعها الله - سبحانه، في الواقع الإسلامي الجديد [وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم][٢٦]

ولم يقف هذا الوليد الحضاري لنطاق الأمة ومفهومها عند حدود

---

(٢٦) الأنفال ٦٣

« القبائل العربية » ، فلقد كانت مرحلة تجاوزها التأثير التوحيدي ، ثم أي بدا من قريش ، مستعينا بها على إنجاز أكبر في دائرة أوسع ، هي دائرة وحدة « القبائل » و « الشعوب » ، فكما أنجز الإسلام وحدة القبائل ، دون إنكار تمايزها ، توجه إلى إنجاز وحدة « القبائل » و « الشعوب » ، بمعيار « التأليف » وفي إطار « التعارف » ، الذي لا يلغي التمايز ، ولا يقفز على الخصوصيات وإن أتاح الفرص وخلق الأطر للتفاعل والتوحيد ، فمع التعددية تكون وحدة الأمة الطامحة إلى الامتداد الطوعي [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير][27] فالاتجاه إلى الأمة العالمية ، لا ينكر أن التعددية هي سنة من سنن الله في الكون والخليقة [ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين][28]

إنها أمة « دائمة التحقق » ، بل إن ديمومة هذا التحقق ـ عمقا واتساعا ـ هو معيار حيويتها ونهوضها برسالتها العالمية والخالدة التي أرادها لها الله !

ولذلك ، فلقد وازنت هذه الأمة ، وهي تحقق امتدادها وتبلور حضارتها بين « الخاص » و « العام » ، فكما أنجزت « وحدة » القبائل ، دون إلغاء للقبيلة ، وإنما جعلتها لبنة في بناء أشمل ، هو بناء الأمة الجديد ـ وذلك بعد أن كانت كيانا مستقلا تماما ومستعصيا على التروبيض ـ كذلك وحدتها تقيم ـ بواسطة « التعارف » الذي هو التفاعل الطوعي ـ رباطا جامعا بين « القبائل » و « الشعوب » ، حتى لقد اختص مخططها الجامع ، كأمة وحضارة ، « الجزر القومية » ، فجمعها جميعا خيوط الحضارة الإسلامية

---

(٢٧) الحجرات : ١٣ (٢٨) الروم : ٢٢

دون أن ينكر عليها التمايز القومي المبرأ من العصبية العرقية وضيق الأفق الجنسي. فعرف مفهوم الأمة، في فكرنا الحضاري، وفي تجربتنا التاريخية وميراثنا الاجتماعي الدوائر التي تبدأ من «الفرد» إلى «الأسرة» - أو القبيلة والعشيرة إلى «الشعب» - إلى «الأمة» - بالمعنى القومي - إلى «الجامعة الإسلامية» - مع السعي الحثيث إلى تعميق الرباط الجامع، وإلى مد نطاقه إلى أفق جديد. بل لقد مدت الدائرة الإسلامية مع الدائرة الإنسانية الخيوط والعلائق والأسباب.

لقد كان «الإسلام» - الدين - وكانت «الجماعة العربية الإسلامية» كأمة - وكانت «الحضارة العربية الإسلامية» - كإبداع تزامل في صنعه الوحي الديني وعلومه مع المواريث الفكرية والحضارية لشعوب البلاد التي دخلت عالم الإسلام. وكانت «الدولة» كأداة للدين والحضارة - كان جميع ذلك في مسيرتنا الحضارية وتجربتنا التاريخية وممارساتنا الاجتماعية أشبه ما يكون بالدوائر الدائمة الانسياح، حركها ذلك المصطفى محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - منذ أن أتاه وحي ربه قائلا: [اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم][29]

● ففي «الدين» بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - فجعل «أمة الدعوة» الأقربين من عشيرته [وأنذر عشيرتك الأقربين][30] ثم عمم الدعوة على نحو جعل نطاق «أمة الدعوة» كل القوم والعشيرة. وهم «الجماعة

---

(٢٩) العلق: ١-٥

(٣٠) الشعراء: ٢١٤

الذين تربط بعضهم ببعض روابط دم أو نسب أو اجتماع »[٣]

ولقد حدث الله سبحانه وتعالى هذه الأمة عن خصوصية القومية التي تميزها، [illegible] في إطار هذه الدعوة العالمية [illegible] عن القرآن الكريم [illegible] عليه الصلاة والسلام [فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون][٣٢] وفي ذات الوقت كان حديثه القرآني عن عالمية الدعوة [illegible] صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى العالمين [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين][٣٣] [illegible] الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا][٣٤] وقرآنه الكريم موجه إلى العالمين [قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين][٣٥] [وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين][٣٦] [وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين][٣٧]

وفي الحديث النبوي الشريف يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن اختصاص رسالته بالعالمية، فيقول: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا، فأنا رجل أدركته

---

٣ [illegible] ٩٠ [illegible]

(٣٢) الزخرف ٤٣ : ٤٤

٣٣ الأنبياء ١٠٧ — ٣٦ يوسف ٤

٣٤ الفرقان ١ — ٣٧ التكوير ٢٥ : ٢٧

(٣٥) الأنعام ٩٠

الصلاة صلى حيث كان، وأصاب [illegible] بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»[38]

فشرف العرب في الإسلام، الذي تمثل في اصطفائهم كجماعة أمة حمل [illegible] برسالة عالمية الدعوة ولا يحتكرها، إنه لا يتفق مع مفهوم العربي الإسلامي [illegible] مصطلح «الأمة» ونطاقها الذي لا تعرف آفاقه الحدود!

● وفي «الدولة» كانت البداية «عربية» [illegible] ثم [illegible] الدولة [illegible] تكوين [illegible] «العالمية» [illegible] من [illegible] «العروبة الحضارية» [illegible] «الإسلام الحضاري» [illegible] صانعة ذلك المزيج الحضاري [illegible]!

[illegible] دولة المدينة، التي أقامها المسلمون الأوائل تحت قيادة النبي - عليه الصلاة والسلام - وفق معيار «العروبة الحضارية» ووحدة «الدستور» - الذي اشتهر في التاريخ ومضاداته بـ «الصحيفة» و «الكتاب» - بعدد «الدستور» التي كونت [illegible] في هذه الدولة، فإذا هي جميعها «قبائل عربية» وفي هذا «الدستور» وحدت [illegible] «أمة الدين» و «أمة السياسة»، كما وحدت [illegible] فالوحدة قائمة على [illegible] القبائل تتوحد في الأمة، والعرب المؤمنون من المهاجرين والأنصار [illegible] «أمة الدين» [illegible] مع [illegible] العربية [illegible] من قبائل المدينة يكونون «أمة واحدة».. أمة السياسة والقومية [illegible] «[illegible]» [illegible] الدولة [illegible] العرب [illegible]

---

(٣٨) رواه البخاري ومسلم والترمذي والدارمي وابن حنبل

أوسع دائرة الشعوب الأخرى والقوميات الأخرى. وعن هذه الحقيقة حول مفهوم الأمة في الدولة العربية الإسلامية الأولى يقول «دستور» دولة المدينة:

«هذا كتاب من محمد النبي [رسول الله] بين المؤمنين والمسلمين من قريش و[أهل] يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن ليهود بني النجار، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة، وبني الشطبة مثل ما ليهود بني عوف، وحفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وموالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، وعلى كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة»[39]

فبعد أن عدد «الدستور» وهو حصر نسب الأمة والرعية السياسية

---

(٣٩) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] ص ١٥ - ٢١، جمعها وحققها د. محمد حميد الله الحيدر آبادي، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م

للدولة القبائل العربية التي آمنت بالإسلام من المهاجرين والأنصار ومن
لحق بهم وجاهد معهم. ذكر بهم أمة الدين - « أمة واحدة من دون
الناس ». بعد ذلك شرع فعدد القطاعات المعهودة من القبائل العربية
بالمدينة أي اليهود العرب الأميين لا العبرانيين [ومنهم أميون لا يعلمون
الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون] [40] وجعل هؤلاء العرب اليهود
مع بطانتهم وموالينهم - كامل الحقوق والواجبات المقررة للمواطنة في الدولة
الجديدة مقررا أنهم « أمة مع المؤمنين ». فالأمة هنا الجماعة ومنذ هذا
التاريخ المبكر في مسيرة الإسلام لم تقف حدود « الأمة - الجماعة » - عند
« أمة الدين » وإنما تجاوزتها دون أن تسقطها. لقد تداخلت الدائرة
دون أن تهمل المركز أو تتخلى عنه بأي حال من الأحوال. فالمنطلق قائم
وفاعل وقائد. والاستشراف للآفاق الأوسع والأبعد دائم. لأنها أمة
الاستيعاب والإضافة والاستلهام والتمثل. وليست أمة الانسلاخ والتشرذم
والحدود والسدود والتعصب والعدوان على الأغيار.

ولقد فهم البعض - بالخطأ أو بسوء القصد - أن ما حدث من صراع بين
دولة المدينة وبين اليهود العبرانيين، سكان الواحات الزراعية من حول يثرب
وهو الصراع الذي انتهى بإجلائهم عن مواقعهم، فهم البعض أن هذا
الحدث قد مثل تراجعا إسلاميا عن هذا المفهوم المرن والمتميز « للأمة » إذ
عادت أمة الدين فقط، ووقفت حدودها عند المؤمنين والمسلمين دون
سواهم. فقال هذا البعض « إن الصبغة السياسية العالية في هذه الأمة
الجديدة إنما كانت مؤقتة فلم يكد محمد يحس أن مركزه قد توطد في المدينة.

---

(40) البقرة ٧٨

ويرى [illegible] في حروبه مع كفار مكة ، حتى [illegible] أن يخرج من جماعته السياسية المدنية أهل المدينة (خصوصا اليهود) [illegible] الذين [illegible] حدوده [illegible] وعرف [illegible] أمة تتألف من [illegible] وحدهم [illegible] أمة [illegible] وتؤكد صفاتهم الخلقية والدينية [illegible] غير أهل الكتاب الذين كان مخالفا لهم »[41]

ومكمن الخطأ في هذا الفهم هو الخلط بين « اليهود العرب » الذين عدد دستور دولة المدينة قبائلهم ، وكلها قبائل عربية صريحة النسب العربي وبين القبائل « اليهودية العبرانية » والتي لم يأت لها ذكر في هذا الدستور فالأولون كانوا عربا ، وكوّنوا مع العرب المؤمنين بالإسلام دولة عربية قومية أمتها ـ جماعتها ـ عربية متعددة الأديان والآخرون ـ من أمثال بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة ـ ولم يرد لهم ذكر في هذا الدستور ـ كانوا عبرانيين ، قام بينهم وبين دولة المدينة خلف ـ تخلف عن علاقة المواطنة ـ فلما نقضوه قاتلهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتهى الصراع معهم بالإجلاء ، أما القطاعات العربية المنهودة ، التي كونت جزءا أصيلا من « أمة السياسة » فلقد اعتنقوا الإسلام ، ودخلوا ، من ثم ، في أمة الدين والسياسة معا

ثم [illegible] معيار « العروبة » الذي حكم إطار الأمة ومضمونها ومفهومها كان هو الآخر معيارا مرنا ومستقبليا ، وسبيلا إلى التوسع في الإطار واستمرار الاستيعاب لأقوام آخرين فقبل الإسلام كانت المعايير العرقية والقبلية هي السائدة في تحديد أفق « العروبة » ومفهومها [illegible] الإسلام

---

(41) [illegible] R Paret [illegible]

(42) [illegible] ١٩٦٨ .

يرفضها. وعنها قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة»[43]. ومضى يعلّم أصحابه، رضي الله عنهم، أن حب الإنسان لقومه مطلوب، لكن العصبية الظالمة هي المرفوضة. وعندما سأله الصحابي واثلة بن الأسقع:

«يا رسول الله، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟»

أجابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

«لا، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم»[44].

وبدلاً من هذه العصبية الجاهلية، وبدلاً عن الإطار العربي والقبلي للعروبة الجاهلية، أرسى الإسلام للعروبة مفهوماً حضارياً، وحدد لأمتها معياراً فكرياً وثقافياً. فخطب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الناس عندما بلغه أن منهم من ينكر على الذين لم ينحدروا من أصلاب عربية ـ مثل بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، رغم بلوغهم في الاستغراب درجة الفقه للقرآن العربي المعجز، والوعي بمرامي أسراره البلاغية، ورغم أنهم قد مخضوا ولاءهم للعروبة، وأخلصوا لنماءهم مجتمعها الإسلامي. عندما أنكر البعض عروبة الذين استعربوا حضاراً وفكرياً وولاءً ونماءً، أنصر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ له بإزاء المفهوم الجاهلي للعروبة، فغضب، ودخل الناس وخطبهم فقال: «أيها الناس، ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي»[45].

---

(43) رواه البخاري والترمذي. (44) رواه ابن ماجه وابن حنبل.

(45) [تهذيب تاريخ ابن عساكر] جـ ٢ ص ١٩٨ طبعة دمشق.

فمنذ ذلك التاريخ ، ووفقا لهذا المعيار الحضاري والثقافي الذي حدده الإسلام « للعروبة » ، اتسعت دائرة الأمة العربية والجماعة العربية ، تنضم وعلى قدم المساواة ـ كل الذين تعربوا بالفكر والحضارة والانتماء والولاء ، مع الذين انحدروا من أصلاب عربية صريحة ، فكما تفتح معنا الأمة ومفهومها تنضم العرب من غير المسلمين ، الفتح ، كذلك ، تنضم عرب الحضارة والثقافة ، من ذوي الأصول العرقية غير العربية .

وإعمالا لهذا المعيار الحضاري الذي يفتح أبواب « الأمة » ويوسع دائرة الجماعة ، نهضت « الدولة » بتنظيم اجتماعي ذهب به « الموالي » ـ أرقاء الأمس الذين حررهم الإسلام ـ في القبائل التي كانوا فيها أرقاء ، فلقد كانت القبيلة ـ مثلها مثل الأسرة ـ اللبنة الأولى في كيان الأمة ، فبعد أن كانت حدودها مقصورة على صرحاء النسب العربي ، غدت تضم الموالي أيضا ، إلى أن دائرة القبيلة ومعيارها لم تعد ، هو الآخر ، عرقيا بحتا ! . ولهذا التنظيم الاجتماعي سن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ القوانين ، في صورة أحاديث ، من مثل « موالي القوم منهم »[46] و « الولاء لحمة كلحمة النسب »[47] فلم تعد أرحام الولادة النسبية هي فقط أرحام الجنس والعرق ، وإنما غدت العروبة الحضارية والفكرية والثقافية رحما جديدا تولد منه الأمة والجماعة ميلادا جديدا وفق هذا المعيار الحضاري الجديد !

وبعد عصر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التقت الدولة بإطار الأمة ومفهومها ـ وفقا لمنهاجه الإسلامي ـ إلى أفق جديد ، فالمد الذي بدأ من

---

(٤٦) رواه البخاري

(٤٧) رواه أبو داود والدارمي

قريش ، فألف بين القبائل على اختلاف دينها ، ودمج فيها كل من استعرب حضريا ، على اختلاف أصولهم العرقية . هذا المد قد امتد ، بالفتوحات الإسلامية ، إلى ماهو أبعد من القبائل ، عندما ضمت الدولة « الشعوب » من أهل العراق وفارس والشام ومصر وغيرها من البلاد المتحضرة ، التي تجاورت عبر البداوة فكان سكانها « شعوبا » لا « قبائل » . فبدأت مرحلة جديدة ونطاق جديد في مفهوم الأمة ، تحت الدولة له المعيار القرآني ، معيار « التعارف » ، الذي يعني التفاعل القائم في إطار الوحدة التي لاتنكر ولاتتجاهل التمايزات

وعندما تم قرب الشعوبية ، التي تُحقّر كل ماهو عربي ، بتفصيل بعدها لتصير بعروبته إلى هدف مستتر هو نكبة للإسلام . وعندما استعرب الشعوبية واستعرب العصبية القبلية العربية ، على عهد الدولة الأموية وحتى عقلاء الأمة ومفكريها يعملون لإحياء النهج الإسلامي التأسيسي ، فيكتشفون من ويتعرفون المؤسسات التذكيرية التي تعبر الحضارة عن مفهوم الأمة ، والأمة كفكرة وتتفاق عبر تحدد لإطار الجماعة . وكان الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر [١٦٣ ـ ٢٥٥هـ / ٧٨٠ ـ ٨٦٩م] في مقدمة الذين تصدوا في هذا المجال ، فوجدناه يفرد لها بعض كتبه . وفي مقدمة أحدها يعبر عن هذا بقوله : « وكتاب هذا لم تكتفه بتأليف بين قومهم بل كتاب مجتمعة ، وعرفه لألفة بل كانت مؤتلفة ، وبحثر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ، وتسلم صدورهم . وليعرف من كان لايعرف منهم موضع التفاوت في النسب ، وكم مقدار الخلاف في الحسب ، فلا تعيّر بعضهم معيّر ، ولايفتخر عدو بأباطيل مموهة ، وشبهات مزوره ، فإن الخلق العظيم ، والعدو ذا الحكيم العظيم ، قد يقصر عنه الباطل في حضرة الحق ،

وليس الإضاعة في ثياب الحرم؟!. »[48]

ثم يمضي الجاحظ فيذكر طرف النزاع بالمعيار الحضاري للعروبة والمفهوم المنفتح وغير العرقي أو المغلق للأمة والجماعة، وكيف أن اختلاف النسب بين القحطانيين والعدنانيين لم يحل دون اندماجهم في الأمة الواحدة كل الاندماج عندما وحدتهم الحضارة والثقافة واللغة والشمائل، على حين أن وحدة النسب بين العدنانيين - أبناء إسماعيل عليه السلام - وبين العدنانيين - أبناء أخيه إسحاق عليه السلام - لم تجعلهما أمة واحدة، وذلك لاختلاف الفكر والثقافة واللغة والشمائل - أي الحضارة -. ففي الفكر الإسلامي، ذي الطابع والنزوع العالمي، والمفتوح لاستيعاب الموروث القديم والإبداع الجديد، تتمثل رحم جديدة ستظل دائمة الولادة لآفاق جديدة تتسع بها دائرة الأمة، ويرحب بها مفهومها كلما امتدت بأهلها البصائر والأبصار إلى الجديد من الآفاق. يمضي الجاحظ يتحدث عن هذه الحقائق في مفهوم الأمة فيقول: «إن العرب قد جعلت إسماعيل - وهو ابن عجمي [إبراهيم وهاجر] - عربيا، لأن الله فتق لهاته[49] بالعربية المبينة، ثم قصره على الفصاحة، وسلخ طباعه من طباع العجم، وسواه تلك التسوية، وصاغه تلك الصياغة، ثم حباه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم وشمائلهم، وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها، فكان أحق بذلك النسب، وأولى بشرف ذلك الحسب. وإن العرب لما كانت واحدة، فاستووا في التربية، وفي اللغة، والشمائل، والهمة، وفي الألف والحمية، وفي الأخلاق والسجية، فسبكوا سبكا واحدا، وكان القالب واحدا

(48) [رسائل الجاحظ] جـ1 ص29، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، طبعة القاهرة سنة 1964 م

(49) اللهاة: جزء من أقصى سقف الفم، مشرف على الحلق

تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط. وحين صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم والأخص، وفي باب الوفاق والمباينة من بعض ذوي الأرحام، جرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب، وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى، حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها، وامتنعت عليهم قاطبة من مناكحة بني إسحاق، وهو أخو إسماعيل، وجادوا بذلك في جميع الدهر، حتى قحطان. إن هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة»[50].

هكذا رحب مفهوم الأمة واتسع أفق معيارها، [illegible] واستعانت بالقدماء والجدد، فتداخلت دائرتها في «الدين» [illegible] مؤكدة [illegible] أهدافها بتكوين «الأمة الأممية» [illegible] الموارث الحضارية القديمة [illegible] بالإحياء والتجديد والتمثل [illegible] بتحويلها إلى عداء ومصدر قوة هويتها [illegible]، وتختص الجماعات التي تدخل إلى دائرة الإسلام ـ الدين أو الحضارة ـ فتمد بهذا الاختصاص دائرة الأمة ومفهومها كما يسر هذا الاختصاص والاستيعاب.

● ولقد كان هذا الذي صنعته [illegible] العربية الإسلامية على جبهة «الدين» و«الدولة» نموذجاً لما صنعته على جبهة «الحضارة».

فبعد نحو قرنين من ظهور الإسلام [illegible] على أرض هذه الأمة معالم هذا الطور العربي الإسلامي [illegible] أطوار الحضارة الممتدة لشعوب هذه الأمة إلى أعمق أعماق التاريخ القديم.

فالدين الجديد قد أعلن أن الإيمان به هو [illegible]

---

(٥٠) [رسائل الجاحظ] جـ١ ص ٢٩ ـ ٣١ ـ ١١ ـ ١٤

درجة اليقين. ومن ثم فإن عصبية لا يمكن أن تتأتى بالإكراه [لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي] [51]. وعن العلاقة بينه وبين أمم الرسالات السماوية السابقة، أعلن الإسلام إيمانه « بالتعددية » في إطار « الوحدة » [فدين الله واحد، أزلا وأبدا] ومحمد [رسول من عند الله مصدق لما معهم] [52] من عقائد الدين ومقاصده. والقرآن [كتاب من عند الله مصدق لما معهم] [53]. والله، سبحانه وتعالى، في العقائد، قد [شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه] [54]. [قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون] [55].

ولقد منذ هذا الإعلان عن « وحدة الدين » خيوط وأسباب « التعددية » التي تنحو نحو استيعاب ما يمكن استيعابه من المواريث الدينية لأمم الرسل السابقين. وزاد من متانة هذه الخيوط والأسباب ما أعلنه الإسلام من « تعدد الشرائع الدينية » [أزلا وأبدا]. فإرادة الله هي في تعددية الشرائع والمناهج والسبل في إطار « وحدة الدين » [الأمر الذي ميز الإسلام فجعله يقبل التعايش مع أهل الشرائع السماوية الأخرى - الكتابية كاليهود والنصارى]. ومن اعتبروا أصحاب « شبهة كتاب » كالمجوس [ثم قيست عليهم ديانات وضعية كديانات الهند والشرق الأقصى] تعبيرا عن المفهوم المرن والمفتوح للجماعة والأمة المتدينة - غير المشركة والجاحدة -

(51) البقرة ٢٥٦
(52) البقرة ١٠١
(53) البقرة ٨٩
(54) الشورى ١٣
(55) البقرة ١٣٦

وجسيد هذا المفهوم الذي أسسه الإسلام منذ ظهوره، وطور الفقهاء تطبيقاته وفق ظروف الزمان والمكان.

لقد كانت المرة الأولى التي تأتي فيها دين يعلن رسوله كتابه «التعددية» في الشرائع [إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ... وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ... وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ... وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة] (٥٦)

وعندما وقف أئمة تفسير القرآن الكريم أمام هذه الحقيقة ... قالوا ـ معبرين عن هذا الباب من أبواب «التعددية» و«التنوع» في إطار «الوحدة» ـ قالوا: «إن الشرعة والشريعة هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة ... ومعنى الآية أن الله قد جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا في الشرائع والعبادات والأصل التوحيد، لا خلاف فيه [ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة] (٥٧) أي لجعل شريعتكم واحدة» (٥٨) فكانت المرة الأولى التي تأتي فيها شريعة سماوية لا تحتكر لأهلها طرق النجاة، وإنما تقر بتعدد السبل والمناهج والطرق ـ «الشرائع» في إطار وحدة الدين والاتحاد على التوحيد في الألوهية والإيمان بالبعث والعمل الصالح ... فتقيم ـ بهذه «التعددية» ـ أسباب الغنى والثراء في ميدان

---

(٥٦) المائدة ٤٤ ـ ٤٨

(٥٧) المائدة ٤٨

(٥٨) [جامع الأحكام القرآن] للقرطبي جـ٦ ص ٢ [illegible] ١٩٦٦

خصب ة و ثقافة . موسعة تدبث مفهوم الأمة الخصائص ومقومات
وتصنيفها ن لغة وحدد أنه تفسير القرآن الكريم يروى في هذه المعاني
« لحكمة الإلهية و « مشيئة » بربانية من وراء خلقه . سبحانه ، تعالى
عما يشركون في تفسيرهم لله . سبحانه [ولو شاء ربك لجعل الناس أمة
واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم] [59] .
فقد سعيد بن جبير [٤٥ ـ ٩٥هـ ٦٦٥ ـ ٧١٤م] إلى تفسير الأمة
الواحدة « بأمة الإسلام وحدها » . أي شريعة الإسلام وحدها . أما مجاهد
بن جبر المكي [٢١ ـ ١٠٤هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٢م] وقتادة بن دعامة السدوسي
[٦١ ـ ١١٨هـ ٦٨٠ ـ ٧٣٦م] فيريان بتفسيرها [ولا يزالون مختلفين] بمعنى
اختلاف الناس « على كل أي شرائع شتى » أي جميع العصور [٢١ ـ
١١٠هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٨م] ومقاتل بن سليمان [١٥٠هـ ٧٦٧م] وعطاء ـ
الخراساني [٢٦ هـ ٧٤٤م] فيريان بتفسيرها قوله سبحانه [ولذلك خلقهم] بأن
« الإشارة للاختلاف أي ولللاختلاف خلقهم » [60] .

وهذا ما جاء عليه علماء الأصول ، وجلهم يتحدثون عن شرائع الأمم
السابقة ـ فيقول السرخسي [٤٨٣هـ ١٠٩٠م] في كتابه [أصول الفقه]
مقررا « وأصح الأقاويل عندنا أن شريعة من قبلنا هي شريعة لنبينا عليه
السلام مالم يظهر نسخه » [61] .

وعلى كل فهذا المنهج الذي نهجه الإسلام في الاعتراف بالتعددية في

---

(٥٩) هود ١١٨ ، ١١٩

(٦٠) [جامع لأحكام القرآن] جـ ٩ ص١١٤ ، ١١٥

(٦١) جـ ٢ ص ١ ، ٢ . نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان وطبعة مؤسسة [طبعة عام ١٩٨٤م

الشرائع ... والتعايش معها ، واعتماد ما لم يتسخ منها ، لتستوعبه وتتمثله في نسيجه الحضاري ، موسعاً بذلك مفهوم الحضارة العربية الإسلامية ونطاقها. كانت هذا النهج أداة عظمى في دفع غير المسلمين إلى الإسهام في البناء الحضاري تحت رايات العروبة ودولتها والإسلام وحضارته ... فكم أحيا الإسلام المواريث الحضارية لشعوب البلاد التي دخلت عالم الإسلام بعد موتها ، كذلك وجدناه قد استقر أبناء الشرائع غير الإسلامية للإبداع في بناء الحضارة العربية الإسلامية ، بعد أن كانت كنائسهم وبيعهم وأحبارهم وكهانهم قد فرضوا عليهم ما فرضوه على مواريثهم الفكرية والحضارية من موات !

فالذين يرى قراءتهم « التعددية » في الشرائع ، هو الذي قررت دولته أن هم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، فنهضوا ، مدعوين من « الدين » و« الدولة » ـ للإبداع ، مع علماء المسلمين ، في بناء هذا الطور العربي الإسلامي لحضارة الأمة التي كانت أمماً قبل دخول شعوبها في عالم الإسلام. وإذا كان العلماء المسلمون قد نهضوا بالعبء الأكبر في هذا البناء ، فإن نظرة على بعض أسماء أعلام هذا البناء الحضاري ، من غير المسلمين ، كافية للدلالة على أثرهم الملحوظ ومكانهم البين في هذا البناء ، فعلى امتداد تاريخ الحضارة نستطيع أن نتابع آثار أعلام كثيرين ، تبدأ سلسلتهم بالفيلسوف السرياني إثناسيوس البلدي [٦٦ هـ ٦٨٦ م] ... يتصل إلى السياسي الوطني ويتم مكرم عبيد [١٣٠٧ ـ ١٣٨٠ هـ ١٨٨٩ ـ ١٩٦٠ م] ... فهؤلاء الأعلام الذين أبدعوا في الفلسفة والطب والتنجيم والفلك والشعر والموسيقى والرياضة والهندسة والميكانيكا ... على نفتح حضارتنا العربية الإسلامية على مختلف المواريث الفكرية ... وسعتها

ومشهد ، ثم تطورها كل هذه العوامل [٦٢] بعد ضعف مشهد في دولة مثل دولتنا - من الكل واحد ، وصف ذلك وبعد ... بعد الأمير ... ذلك « التحقق والامتداد والاستيعاب »

فكر الخليفة - بعد عصر الرشيد بثلاثي عام - الخصاف [٢٤٠هـ = ٨٢٣م ٥٨٤ - ٦٤٤م] - تدوين الدواوين على ... وضريبة الأرض - وفق مساحة - التي عرفت بتوظيفها كسرى ... على الفرس [٦٤] ... رأيناها قد تجاوزت ، فيما أبدعت في تفكير مؤسسي حول الإمامة والخلافة والأحكام السلطانية حدود الاقتباس إلى تطبيق نظم متميزة وجديدة فكان نظام « الخلافة » - كممارسة وفكر نظري - عربي إسلامي صرف

وإذا كانت الترجمة إلى العربية قد نالت اهتمام الخليفة علي بن خالد بن يزيد [٩٠هـ = ٧٠٨م] الذي تمثل في جهوده حول الترجمة الأثر العربي الإسلامي لمدرسة الإسكندرية بتقدمها ، فإن إبداع هذه الخلافة في العلوم لصنعة وتطبيقاتها قد كان مبدأ انطلاقها في هذا المجال ... أضاف إليه جورجي

---

(٦٢) تعريف الاعلام بمن ألم [الأعلام] لكل طبعة من ... الثانية سنة ٩٩٩ م ... الم ... العسقلاني [...] ... تحقيق وتعليق ... بدران ... طبعة القاهرة ... ١٩٦٣ م و [تدوين في الإسلام] لأرنولد ... ترجمة ... حسن ... وفهمي حسين ... عبد الله عنان ... القاهرة سنة ١٩٧٠م و [الأعلام في سياسة نصرانية بكر مصطفى العلي ، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥ م

(٦٣) [كتاب الطبقات] لابن سعد ... ج ٣ ق ص ٢٠٢ ... تحرير ... عباس ... الخرج] لأبي يوسف ... تحقيق ... إحسان عباس ... طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥ م

[٦٤] [الأحكام السلطانية] للماوردي ... طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م

[illegible] العنصر والقبائل والكيانات ـ فلا تتجاهل التمايز [illegible] موقف
[illegible] الشعوب [illegible]
[illegible] الجامعة [illegible]
[illegible] الجامعة [illegible] ثم تأتي فيختص [illegible] الإسلامي
[illegible] الجامعة [illegible] الأمة الإسلامية [illegible] الأمم القومية في
[illegible] الإسلامي الكبير [illegible] الفكرية
[illegible] الإسلام، والعصبية تتجاهل أو تعادي جامعته الأشمل [illegible]
[illegible] هذه الجامعة [illegible] مع الدائرة الإنسانية والخطوط [illegible]
[illegible]

هل كانت هناك حكمة ذات دلالة وراء ذلك؟

[illegible] هذه [illegible] المصطلح [illegible] الأمة [illegible] موقف [illegible] الإسلامي ومسيرته [illegible]

- سواء الدين [illegible] وأمة الدين
- القومية [illegible] والأمة القومية [illegible] بمعنى الحضاري [illegible] لا العرقي ـ
- الحضارة [illegible] والأمة الحضارية [illegible] في التخصص [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
الشعوب والبلاد التي دخلها الإسلام، ودخلت في عالم الإسلام [illegible]

منه المعيار الذي قررت به ما هو مقبول [illegible] وفي حاجة إلى التعديل [illegible] أو واجب الرفض من هذه المواريث ؟؟

- فلم تقف بالأمة عند أمة الدين
- ولم تقف بعنصر الأمة وجنسها عند العرب [illegible] العرق
- ولم تقف بفكرة الأمة وعلوم حضارتها عند علوم الوحي والشريعة [illegible] وهي مصاحبة لها - إلى علوم الحضارة وفنونها [illegible] مع تمييزها بإشاعة روح الإيمان والمزاج العربي في مختلف وادق أجزائها

لقد تطلقت الأمة - جماعة - من «الدين» إلى «الحضارة» [illegible] وأقامت العلاقة العضوية والجدلية بين العروبة الحضارية والثقافية - وبين الإسلام العالمي [illegible] «الفرد» «فالأسرة» - أو «القبيلة» - «فالشعب» «فالأمة القومية» «فالأمة الحضارية» [illegible] دوائر، تنفتح الصغرى منها على الكبرى التي تليها، في علاقة جدلية وتضامنية لا تعرف التناقض ولا التضاد كما جعلت «الإقليم» «فالوطن الأدنى» «فالوطن القومي» «فعالم الملة» [illegible] الإسلام والجامعة الإسلامية» [illegible] دوائر، تبدأ من الأخص إلى الخاص إلى العام فالأعم [illegible] كل ذلك إلى الدائرة الإنسانية، شعوبا وحضارات

- إنها أمة الإسلام وإسلامها وثيق الصلة بالعروبة الحضارية والثقافية [illegible] عقيدته عالمية ومعجزته عربية وشريعته عربية [illegible] من فقهها [illegible] مرتبة الاجتهاد والتشريع فيهم إلا من بلغ في فقه العربية وعلومها مبلغ

[illegible] وإلا إذا ضم إلى ذلك [illegible] العربي [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
الإسلام [illegible]

● وهي دائمة الحركة والنمو [illegible]
[illegible]

● [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(٦٥) [illegible] انظر كتابه [مفهوم الأمة بين [illegible] والتاريخ] طبعة بيروت سنة ١٩٧٨ م

[illegible] الإسلام، ثم أحيتها وحددتها وفق معايير التوحيد الإسلامي وصنعت من التعددية كلا حضاريا جديدا، وهي في كل [illegible] من «العقيدة» [illegible] عقيدة [illegible] «الفكر» [illegible] «السلوك» [illegible] «العقيدة» [illegible] «الفكر» [illegible] هذه الأمة [illegible] في حقب الازدهار، وتجاهد كي تحييها، وكي ترمم الثغرات في [illegible] وحدتها، كلما فرضت عليها [illegible] والتراجع والجمود!

هكذا [illegible] مفاهيم وحدود وآفاق أمتنا في «الفكر النظري» الموروث وعبر المسيرة [illegible] التي أبدعها الأسلاف، وهكذا [illegible] التي [illegible] «النهضة» [illegible] الإسلامية [illegible]

فمن «غانة» إلى «فرغانة» ومن أغاني [illegible] حتى [illegible] لاستواء تلك أمتنا، أمة واحدة [illegible] الحديث!

وصدق الله العظيم [إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون] (٦٦)

---

(٦٦) الأنبياء ٩٢

هل للمسلمين حضارة متميّزة ؟

[illegible] إذا كان المسلمون أمة واحدة [illegible] فهل لهذه الأمة [illegible] حضارة متميزة عن غيرها من الحضارات ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ضرورية [illegible] الأمة الإسلامية [illegible] هيمنة الحضارة الغربية على أوطان الشعوب والأمم [illegible] الأمة الإسلامية [illegible] فكريا « متغربا » [illegible] الحضارة الغربية [illegible] العيش والسلوك ، مع إبداعها في العلوم الطبيعية [illegible] « حضارة العصر الإنسانية » [illegible] « وحدة الحضارة الإنسانية » [illegible] كما سبق وأنكروا وحدة المسلمين كأمة [illegible]

فهل لهذه الأمة الإسلامية المتميزة حضارة إسلامية متميزة [illegible] حتى تكون لها في اليقظة والنهضة سبيل متميز عن سبيل النبي للنمط الغربي الحضاري والتقليد لأهله . والبدء من حيث انتهى الغربيون ؟؟

وبمعنى آخر فهل « التعددية » في الأمم تعني « التعددية » في الهوية الحضارية . ومن ثم التميز في سبل اليقظة والنهضة ؟؟

وهل هناك « هوية حضارية » متميزة جمعت الأمة الإسلامية إبان عصر يقظتها وتألق حضارتها ثم جاءت أحقاب زمنية هي أحقاب التخلف والتراجع والجمود لتطمس هذه « الهوية » - أو توارثها خلف غبار « الانحطاط الحضاري » ؟؟

إننا ممن يجيبون على هذه التساؤلات بالإيجاب الأمر الذي يعني إيماننا بأن تميز كامة إسلامية ذات حضارة متميزة ، يجعل ليقظتنا ونهضتنا المنشودة طريقا متميزا ونمطا خاصا فليست الاستعارة للنمط الحضاري الغربي هي سبيل يقظتنا . بل لعل هذه الاستعارة هي جزء من الداء الذي لابد وأن نبرأ منه الأمة كي نسلك إلى اليقظة والنهضة سبيل المأمون .

فكما تميزت أمتنا في مفهوم الأمة ونطاقها وإطارها كذلك تميزت في الهوية الحضارية - التي هي وثيقة الصلة بتميزها في مفهوم الأمة - ولقد كان هذا التميز الحضاري القاسم المشترك الأعظم الذي طبع ذلك البناء الحضاري العملاق الذي أبدعته أمتنا إبان العصر الذي ازدهرت فيه حضارتها العربية الإسلامية فإذا كانت يقظتنا قد أعقبتها عفوة ورقود وإذا كانت نهضتنا قد أصابها التراجع والجمود والانحطاط في عصور العفوة والرقود فإن توجهنا إلى البحث في سبل اليقظة والنهضة الإسلامية كما نستدعي الكشف عن أسباب التراجع وملابساته وأماراته فإنه يتطلب الكشف عن الهوية الحضارية العربية الإسلامية المتميزة . تلك الهوية التي تتحدد مهام اليقظة والنهضة في إعادة اكتشافها . والكشف عن سماتها وقسماتها وخصائصها وتلوينها في مشروع حضاري عربي إسلامي . وذلك حتى تعود لها الهيمنة على عقل الأمة وسلوكها وقيمها ومعارفها وعلومها فتعود هذه الأمة ، ثانية ، إلى

ميدان الإبداع الحضاري المتميز، نرى وتعني بواسطة الفكر الإنساني، كما صنع ذلك، من قبل، أسلافها العظام.

وبالطبع، فإن البداية الطبيعية للإجابة على سؤال: هل تملك أمتنا الإسلامية هوية حضارية متميزة؟؟ إن البداية الطبيعية للإجابة على هذا السؤال لابد وأن تكون بتحديد مضامين المصطلحات... فما هي «الهوية الحضارية»، التي تقول بتميز أمتنا الإسلامية في سماتها وقسماتها؟؟ وما هي أبرز هذه السمات والقسمات التي تتميز بها أمتنا حضاريا عن غيرها من الأمم ذات التميز الحضاري؟؟.

إن «الهُوِيَّة» - بضم الهاء وكسر الواو - مصطلح استعمله العرب والمسلمون القدماء، وهو منسوب إلى «هُوَ»، وهذه النسبة تشير إلى ما جملة من مضمون، فهي تعني، كما يقول الشريف الجرجاني [٧٤٠ - ٨١٦هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣م]: «حقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق شتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق...»[1].

أما معاجمنا الحديثة فإنها لم تخرج عن هذا المضمون، عندما قالت عن «الهوية»: إنها «حقيقة الشيء»، أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره...» وتسمى أيضا: «وحدة الذات»[2].

وبعد أن أدخل في موضوعنا، فإننا نستطيع أن نقول: إن الهوية الحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من

---

(١) [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٢) [المعجم الفلسفي] وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩.

السمات والقسمات العامة . التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات . والتي تجعل للشخصية القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات القومية الأخرى .

[illegible] أن تطرب بعض الأمثال [illegible] في هوية أمتنا العربية الإسلامية ، [illegible] عن الحضارات الأخرى [illegible] من مثل [illegible] والبدين [illegible] والوسطية .

● فالعروبة — [illegible] الحضارية [illegible] التي تعرب بعد الفتح العربي الإسلامي [illegible] الحضارية غير العربية التي سبقت ، في تاريخها ، طور [illegible] في هذا الولاء والانتماء [illegible] العربي [illegible] الحضارية [illegible] الحضارة العربية الإسلامية حتى كانت [illegible] ساحة هذا الميدان !!

وكما أصاب التعريب البشر ، فجعلهم جزءا من نسيج الأمة الجديدة ، [illegible] الحضارية [illegible] الإسلام [illegible] من هذه [illegible] في ظل القهر [illegible] ولم يمارس الإسلام ضدها حرب [illegible] الحضارة العربية [illegible] الحضارية لأهل البلاد [illegible] الاستعمار العربي الحديث .

فكما دخلت شعوب البلاد [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] هذه [illegible]
[illegible] على أرض هذه الأمة [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible]
« الإسلام [illegible]
« الإسلام الحضارة » [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] « للإسلام الدين » ، دون أن تقف عند حدود
أركانه ونطاق عقائده وآفاق شريعته . وأيضا دون أن تناقض هذا الدين
كما جاءت علوم هذه الحضارة وفنونها ثمرة لإبداع المسلمين ، دون أن تكون
حكرا لهم من دون أهلها الذين لم يتدينوا بعقائد الإسلام [illegible]
للإسلام . [illegible] « الدائرة الحضارية » التي انطلقت من حول
« النواة الدينية » [illegible] الإسلام [illegible]
دخلت [illegible] هذه الحضارة [illegible] الإسلام [illegible]
إبداعات الذين تعربوا [illegible]
[illegible] على شرائع [illegible] الإسلام

فعروبة [illegible] الحضارة [illegible]
[illegible] من « الهوية » [illegible]
من الأمم والحضارات

وجدير بالذكر والتنويه أن هذه العروبة ليست خصوصية للأمة العربية

بالمعنى القومي. وإنما هي لازمة من لوازم الإسلام. فهي عروبة اللغة التي يستحيل على المسلم من أي جنس أو لون أو قومية أن يفقه القرآن العربي المعجز. فيبلغ في فقهه مرتبة الاجتهاد والتشريع دون أن يكون عربي اللغة كما يستحيل على هذا المسلم. من أي لون أو جنس أو قومية أن يفقه علوم الشريعة الإسلامية. وفي مقدمتها الحديث النبوي الشريف وعلومه ومدونات الفقه الإسلامي وأصوله وأعلمها عربي اللغة دون أن يكون هذا الفقيه عربي الفكر واللغة والثقافة. فإذا لم تكن العربية شرطاً في التدين بالعقيدة الإسلامية. لعالميتها. فإنها شرط للتفقه في الإسلام والبلوغ في شريعته مبلغ الاجتهاد والتشريع. فأهل الحل والعقد في المجتمع الإسلامي - أي السلطة التشريعية - وأهل الإمامة - أي قمة السلطة التنفيذية - وأهل الحكم بما أنزل الله - أي السلطة القضائية - لابد وأن يكونوا من الذين بلغوا في العربية وعلومها مرتبة التي تتيح لهم فقه القرآن والسنة ومصادر التشريع. أي إن « الدولة الإسلامية » لابد وأن تكون عربية اللغة والفكر والثقافة بصرف النظر عن لغة وقومية الرعية والجمهور. ومن هنا جاء [illegible] الإسلام [illegible] العروبة [illegible] الإسلام [illegible] يعارض في ذلك سوى الشعوبيين [illegible] العروبة [illegible] فقد قام [illegible] الإسلام [illegible]

[illegible] هي العروبة [illegible] الإسلام [illegible] فقهه، ومن ثم [illegible] في [illegible] الحضارة العربية الإسلامية [illegible] كما [illegible] - عروبة الفكر والثقافة العروبة الحضارية، التي أثمرها الإسلام [illegible] عروبة الجاهلية وعصبية العرقية القاصرة الشوهاء!

[illegible]

عباسي سوكل [٢٠٦ ٢٤٧ هـ ٨٢١ ـ ٨٦١ م] ، أي لأكثر من ثلاثة قرون . أي أن هيمنتهم على الدولة و مرادهم به قد امتدت في ترجمة لأكثر من عشرة قرون ؟ !

ثم جاء الأصغر بعرق مختلف على مقدرته وخبرته في عرق من

وفي عهد « المعتصم » ، الذين كانوا فرسان العصر ، وجود ... واختفاء من العصر حتى دخول ... وتسلسل ... يصبح هذه ... « شعبة » شيء فشيء حسب لأمرائهم وأحفادهم ! ... في عهد المعتصم نفسه كان « بابك » عجمياً فهل يعني هذا ... بعروبة بالإسلام ؟ . فقد كان الحاكم غريباً عن روح العصر بالأمة جمعاء من وحدة « الدين بشكل الدين » فقط ؟! فأين العروبة من عجمة المعتصم العلاقة بين العروبة والإسلام ، حتى لقد زعم البعض تناقضهما ؟! وكانت عجمة « الدولة » في مقدمة الأسباب التي أدت بالعروبة إلى التراجع والجمود ؟!

ثم في عهد عجمة « ... » تعتمد ... فتتبع بعض بعروبة عن محاولة بعث عرب كي يحتجوا بها « ... » وكان هذا ... عروبة مصطنعة من أجل أخرى ... وتقف في سبيله ...

ثم تصاعد بعض بعروبة و عربه في عهد عجمة لأصغر به عربة فيع عجمة ! محاولات « قومية عربية » وبعض هذه بعروبة ... لعربي و« عرب » فكرة لأمة وبعروبة بعربة جميع كذلك ... في الأخير فرد « ... » لتخطط بعيده

في الإسلام [illegible] كل صنع خير يأتيه الإنسان في كل لحظة من لحظات
حياته [illegible] هو عبادة دينية [illegible]
سبحانه وتعالى [illegible] سبحانه وتعالى [illegible] العظمى [illegible]
[illegible] [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] [3] [illegible]
[illegible] [illegible]
للإنسان هي مواصلة الشعائر العبادية التي جاءت بها [illegible] من صلاة
وصيام [illegible] كل لحظات حياة الإنسان [illegible]
الإسلام [illegible] وسلم [illegible]
[illegible] في الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] لأن [illegible] لا أرض [illegible] [illegible]

[illegible] هي [illegible] وحدة [illegible]
هي كل عمل خير يأتيه الإنسان [illegible]
الأرض [illegible] وإصلاح المجتمع إلى المتع الإنسانية المشروعة التي
أحلها الله [illegible] فكل فروض العين [illegible]
كل نشاط [illegible] من قبل الإنسان [illegible]
سبحانه [illegible] من عبادة الله [illegible]
[illegible] في حضارتنا عمقا وشمولا لا نلحظهما في غيرها من
الحضارات

[illegible] كانت الحضارة [illegible] قد حوت [illegible] وهي [illegible]

---

(٣) [illegible]

الأولى . [illegible] التصوف [illegible] والسلام المتصوف ـ [illegible] إلى [illegible] قسمة
خالية من الروحانية [illegible] وطقوس [illegible] في هذه الروحانية . في إطار هذه
الحضارة التي [illegible] [illegible] [illegible] وحتى [illegible]
الحديث [illegible] إذا كان هذا هو حال الحضارة الغربية مع « جوهر الدين »
فليس هذا هو حال حضارتنا [illegible] بالطبع و[illegible] مع ما شهدت من شرائع
الأديان

[illegible] الدين الأفغاني [١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ـ
١٨٩٧م] عن أن الدين في حضارتنا قد [illegible] [illegible] [illegible] حتى
[illegible] الإنسانية على الاقتلاع حتى [illegible] [illegible] [illegible] قد
[illegible] [illegible] والمروق من الدين والإلحاد فيه [illegible] من التكاليف التي
حددتها شريعة الإسلام [illegible] وإذا كان أمثال هؤلاء في الحضارة الغربية
[illegible] [illegible] [illegible] عن المروق [illegible] بالإلحاد [illegible] [illegible] من
التكاليف الشرعية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الإلحادي هذا هو « عورة » لا يليق بالعاقل المسئول أن يراها منه غيره
من الناس ؟!

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الإسلام « وطنا »
و « جنسية » و « هوية حضارية » [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] والإلحاد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وليس كذلك ـ ولم يكن [illegible] حال الحضارة الغربية مع [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد [٤١٥هـ ١٠٢٤م] عندما حدث عنه فقال: إن النصرانية عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن المسيحية هي التي ترومت؟!

لقد تحولت المسيحية عن روحها وروحانياتها، وغدت مجرد قسمة من قسمات حضارة ذات طابع مادي غالب [illegible] في الفكر وفي السلوك.

وسنشير إلى حضارة هذا هو موقفها من التدين، وهذا هو حظها من جوهره، وبين حضارتنا العربية الإسلامية التي جعلت من كل مناحي النشاط الإنساني [illegible] عبادة وتدينا، عندما جعلت كل سعي [illegible] لنداء الخالق الذي خلق الإنسان وحمّله أمانة عمارة الأرض، وترقية المجتمعات، والاستمتاع بالطيبات، كالرسالة العظمى للإنسان في هذه الحياة.

وثانيهما: علوم روح التدين في [illegible] الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية.

فالتدين - وخاصة في الحضارة الغربية - قد وقف عند «الفرد» [illegible] على علاقة الإنسان كفرد [illegible] أما في حضارتنا العربية الإسلامية فلقد وجدناه يتعدى علوم الوحي والشرع إلى علوم الدنيا وفنونها، فهو الروح العامة السريان في كل علوم التمدن المدني والإبداع الحضاري وتنمية العمران البشري، وليست محصورة فقط فيما عرفته الحضارة الغربية تحت عنوان «اللاهوت» [illegible] «حضارة مؤمنة» [illegible] «العلوم [illegible]» [illegible] «حضارة مؤمنة» [illegible] يذكر فيها اسم الله في كل شيء، وليس فقط في الصلوات، يستفتح الأكل باسمه، وتختمه بحمده، ويهلّ بذكره على الذبائح، ويلجأ إليه عند

الحزن وعند السرور في وقت الضحك، وسرعة البكاء، كل مسعى لإنسان عبادة حتى تروحه عن النفس [illegible] مشروع [illegible] الحضارة التي قال الإمام الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] عن غاية العلماء من العلم فيها [illegible] يكون إلا لله [illegible] الحضارة التي لم [illegible] فقط صلاح الدنيا بصلاح الدين [illegible] وجعلت صلاح الدنيا شرطا والأساس صلاح الدين [illegible] وعلى حد قول الإمام الغزالي [illegible] إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا فنظام الدين بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة متى يفرغ للعلم والعمل؟ وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة؟ فإذن إن نظام الدنيا أعني مقادير الحاجة شرط نظام الدين [illegible]

فإذا كتب السفاقسي [٥٨٠ - ٦٥١هـ ١١٨٤ - ١٢٥٣م] في «جيولوجيا» طبيعة الأرض - كتابه [أزهار الأفكار في جواهر الأحجار] نراه يفتتحه بـ: «الحمد لله، بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين» على نحو ما يصنع الفقهاء في استهلال مصنفات الفقه الإسلامي [illegible]

وإذا صنف ابن حزم الأندلسي [٣٨٤ - ٤٥٦هـ ٩٩٤ - ١٠٦٤م] [illegible]

---

٤ الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٣٥ [illegible]

٥ ص ٣٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م [illegible]

[illegible] كتابه [illegible] في الإلف والإلاف [illegible] «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين [illegible] أفضل ما ابتدئ به حمد الله عز وجل [illegible] ثم الصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله خاصة، وعلى جميع أنبيائه عامة» [illegible] وفي [illegible] كتابه [illegible] عن «الحب» [illegible] «جعلنا الله وإياكم من الصابرين الشاكرين الحامدين الذاكرين [illegible] والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما» [illegible] فكأنه [illegible] في [illegible] الإلهيات [illegible]

فحضارتنا العربية الإسلامية ليست الحضارة الغربية، التي تدرس ظواهر النفس الإنسانية مقطوعة الصلة بخالق هذه النفس سبحانه وتعالى، والتي تدرس ظواهر الطبيعة كجزء أو أجزاء من عالم بلا خالق. فتكون بذلك لدى العلماء والباحثين والقراء عقولا متحدة، حتى ولو لم تطرح قضية الإلحاد للنقاش [illegible] لأن حضارتنا المؤمنة تدرس كل الظواهر الاجتماعية والنفسية والطبيعية باعتبارها ميادين في عالم له خالق سوّاه ويرعاه، فلا تقف عند الأسباب المادية المؤثرة، وإنما تشير إلى سبب الأسباب وخالق هذه الأسباب الذي أودعها ما لها من فعل وتأثير، ثم إنها تنظر إلى هذه المباحث باعتبارها واجبات شرعية للكشف عن الأسرار التي أودعها الخالق في هذا الوجود، وحمّل الإنسان أمانة إماطة اللثام عن هذه الأسرار، ولذلك فإن علوم هذه الحضارة، لا تسهم فقط في تنمية الروح الإيمانية لدى علمائها، وإنما هي قد ربطت وتربط بين هذه العلوم - كوسائل - وبين الحكم والغايات التي

---

٦) [مائل بن حزم الأندلسي] جـ ١ ص ٣١٠ تحقيق د. إحسان عباس [illegible] سنة ١٩٨٠ م.

وصفي الخالق للانسان كخليفة عنه . عليه أن يتخلق بأخلاق الله في الوجود فعلى حين صنت الحضارة الغربية ان الانتصارات العلمية هي « تحرير للعقل الإنساني من الإيمان بالدين . أكدت حضارتنا ان مباحث العلمية تكشف الي . يريد العقل العلمي بما يخالق هذا الوجود لكي يبحث العلماء عن الأسرار التي أودعها الخالق فيه

وقبل ذلك فصل الحضارة الغربية « السياسة » عن « الأخلاق » والقيم » . عندما حجبت من « الحكومة » مفهوم « السلطة في السياسة الحديثة وجعلت غاية « الدولة هي السلطة في عالم السياسة . « العلاقات بين الدول . وجعلت السياسة تبحث عن أفضل الطرق التي يمكن من خلالها أن تحصل الحضارة الإسلامية قد ربطت « السياسة » بـ « القيم » و « الأخلاق » . وجعلت « العدل » هو القيمة الكبرى في عالم السياسة ، فقصد الأعظم من مقاصد الشريعة ، هو أعظم وأوسع دلالاته يبحث عن أفضل السبل لإقامة العدل بين الناس [٤٣١ هـ ١٠٤٠ م ١٩ م] عندما تحدث عن

« السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ». [7]

فهنا ، الربط العضوي ما بين النسل والحكمة ، ما بين الوسائل والغايات ، ما بين الأعمال والقيم والأخلاق

وهذه الروح المتدينة في حضارتنا العربية الإسلامية [illegible] ومزاجها هو « التوحيد » [illegible] حتى نستطيع أن نقول إن هذا « التوحيد » قد غدا « هويته » [illegible] وحضارتنا عن غيرها من الأمم والحضارات

والتوحيد الإسلامي ، الذي [illegible] في [illegible] في التجريد ، عميق وقديم وأصيل في المكونات الفكرية [illegible] في التراث الديني لمصر القديمة بأناشيد أخناتون [١٣٦٩ ـ ١٣٥٣ ق . م] قد جعل الله إلهاً لكون كله : « إنك الإله الذي دان الجميع حبك

أنت إله ، يا أوحد ، ولا شبيه لك
لقد خلقت الأرض حسبما تهوى أنت وحدك
خلقتها ولا شريك لك » [8]

فنحن هنا أمام جدول من تبع التوحيد الديني الذي عرفته مواريثنا الدينية

---

(٧) انظر ابن قيم الجوزية [أعلام الموقعين] جـ١ ص٣٧٢ وما بعدها ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م و [الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] ص ١٧ ـ ١٩ ، تحقيق [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م

(٨) د. عبد المنعم أبو بكر [أخناتون] ص ٩٧ ـ ٩٨ ، طبعة القاهرة سنة [illegible] م

واحتضر به منذ فجر التاريخ الإنسان حتى غدا [illegible]

[illegible] من [illegible] الإلهة [illegible] وقد [illegible] عن

صورة التوحيد في [[illegible]] [illegible] التوحيد [illegible]

[illegible] بالله [illegible]

الشعوب الأخرى منها آلهتها الخاصة بها ؟!

وحتى [illegible] في [illegible] الإسلام [illegible]

[illegible]

والأرض ليقولن الله] [9] .. [ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله

زلفى] [10] .

وهكذا [illegible] التوحيد [illegible] في [illegible] شريعة [illegible]

[illegible]

[illegible] الإنسان [illegible] العقيدة [illegible]

[illegible] » [illegible] « كما أخرجها عن الإطار الحقيقي للتوحيد الحق ؟! [illegible]

[illegible] الشرق في دين الله [illegible] الإسلام [illegible]

[illegible] ورغم حرية الاعتقاد التي أبقت المؤسسات الكنسية

[illegible] في [illegible] وخرافات في انتشار [illegible] فقد كان التوحيد

الإسلامي [illegible] أعاد إلى هذه العقيدة [illegible]

[illegible]

[illegible] كان هذا التوحيد الإسلامي « الهوية » التي أعادت شريعة الإسلام

(٩) لقمان ٢٥

(١٠) الزمر ٣

الكشف عن جوهرها بعد أن طمسها بعقيدات التثليث والتجسيد والحلول !

وإذا كان الباحثون في تراث العرب الفلسفي يرصدون في ذلك التراث تيارا « ماديا ـ ملحدا » منذ اليونان وحتى عصرنا الراهن [illegible] بعض هؤلاء الباحثين حلو تراثنا الفلسفي من هذا التيار « المادي الملحد » [illegible] الحضاري الطويل [illegible] الشبهات والمقولات والاجتهادات التي يحسبها البعض « شكا » أو « زندقة » أو « إلحاد » [illegible] « واقع » غريب عن روح حضارتنا وفكرها الفلسفي [illegible] « [illegible] » [illegible] « [illegible] » أو « [illegible] » [illegible] الاجتهاد [illegible] « [illegible] » [illegible] « [illegible] » [illegible] العقلاني الإسلامي الوسطي ـ الذي تآخت فيه « الحكمة » و « الشريعة » ـ يضعها في إطار « العقلانية الإسلامية » [illegible] أن يكون « مادية » و « إلحاد » [illegible] التراث الفلسفي العربي منذ اليونان وحتى العصر الحديث

فهو [illegible] الروح [illegible] وعقيدته [illegible] في حضارتنا العربية الإسلامية [illegible] « [illegible] » [illegible] وسمة [illegible] على غيرها من الحضارات

● والوسطية [illegible] حضارتنا العربية الإسلامية [illegible] « [illegible] » [illegible] « [illegible] » [illegible] الإسلامية [illegible] هي الأخرى [illegible] « هوية » [illegible] الحضاري الطويل فهذه الأمة قد أرادها الله سبحانه أن تكون وسطا [illegible] موقف الشاهد

[illegible] ولا [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]

التطرف والغلو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

على الناس][1]

[illegible] « [illegible] الإسلامية » [illegible]

[illegible] في « قسمات [illegible] الهوية » [illegible] [illegible] « الهوية » العربية

الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لقد عرفت الإنسانية العديد من الحضارات [illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible] ومن بعدها [illegible]

[illegible] من هذه الحضارات بالمعنى الخاص [illegible]

[illegible] هذه الحضارات [illegible]

[illegible] العربية الإسلامية [illegible] الوسطية الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلامي [illegible]

[illegible] سلم واحد

---

(١) [illegible] ٤٣

وقبل الحديث عن أبرز معالم هذه «الوسطية الإسلامية» [illegible] في النقطة الإسلامية المرجوة والإحياء الحضاري المنشود. لابد من التنبيه إلى أن تطورات واقعنا وفكرنا قد أصابت مصطلح «الوسطية» بما جعله مصطلحاً «سيئ السمعة»! [illegible] فهو لدى «العامة» من المثقفين، [illegible] «[illegible]» و«[illegible]» [illegible] «[illegible]» [illegible] والرائجة عندما يتطلب الأمر الحسم والتحديد [illegible] مصطلح «الوسطية» ـ لدى كثير من «خاصة» المثقفين [illegible] الأرسطية، أي «نقطة رياضية» بين [illegible] فالشجاعة، مثلاً، هي وسط بين «[illegible]» [illegible] هو وسط [illegible] «[illegible]» [illegible] [illegible]

[illegible] الإسلامية

فهي ليست الموقف الوسط بين أمرين ـ على هذا النحو [illegible] ـ وإنما هي «الموقف الثالث» الذي يرفض طرفي الاختيار لأي من القطبين المتناقضين والمتقابلين، دون أن يكتفي بالوقوف في نقطة ثابتة تتوسطهما، وإنما يجمع ويؤلف ما يمكن جمعه وتأليفه من سماتهما وقسماتهما [illegible] «البخل» وعن «الإسراف» [illegible] لكنه موقف ثالث ـ لا متوسطهما ـ وإنما هو جامع سمات وقسمات من كل من «البخل» و«الإسراف» [illegible] من «الحرص» ومن «[illegible]» [illegible] ما يمكن جمعه وتأليفه من

القطبين المتناقضين مع المغايرة لهما والتميز عنهما. وقس على ذلك كل الفضائل والمواقف والقسمات الحضارية التي كونت ملامح الحضارة التي أبدعتها هذه الأمة الوسط.

وإذا كان الله سبحانه قد نبه على اختصاص هذه الأمة بهذه الخصيصة التي تستطيع كل من أمتلكها أن تدخل في إطارها فقال سبحانه: [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس] ، فإن نجاح المسلمين في الحفاظ على هذه الخصيصة في بنائهم الحضاري هو الذي مثل سر تقدمهم إبان عصر ازدهار حضارتهم كما أن اختلال التوازن ومن ثم افتقادهم هذه الوسطية، هو الذي أفقدهم ميزتهم فدخلوا دروب الجمود والتراجع والتخلف الذي ساد حياتهم لعدة قرون. ومن هنا تبرز العلاقة العضوية بين « الهوية الحضارية » وبين النقطة المنشودة للأمة العربية الإسلامية. ففي المشروع الحضاري الكافل لنقطة الأمة ونهضتها لابد وأن تكون الهوية الحضارية للأمة هي الصبغة التي يصطبغ بها هذا المشروع. وذلك حتى تكون النقطة حقيقية ونهضة مواصلة لروح الخلق والإبداع العربية الإسلامية. وليست قيودا تشد الأمة إلى نمط من « التحديث » مناقض في هويته لشخصيتنا القومية والنمط الحضاري الذي تميزت به أمتنا عبر تاريخها الحضاري الطويل.

إننا مع القائلين [illegible] هذه الأمة [illegible] [illegible] فهي تعني أن ازدهارنا الحضاري [illegible] بالخصائص الأساسية والهوية الحضارية [illegible]

[illegible]

● رئيس الإسلام – [illegible] لذى جاء رجعة بعض [illegible] لاختلاف بعض [illegible] و خبر من [illegible] لأخرين [illegible] مع عليه [illegible] حاصل موقع [illegible] سر بلاغ [illegible] [illegible] لا يجعل [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] على وجه الخصوص [illegible]
[illegible] « جوهر » الإسلام [illegible]
مع الإسلام [illegible] الإسلام [illegible]
إلى العروبة ضد الإسلام [illegible]
العضوية والحديثة بينهما [illegible]
[illegible]

● وبالوسطية الإسلامية [illegible] فكر [illegible] إبان ازدهارها [illegible]
[illegible] « النظر » [illegible] « الممارسة »
[illegible]
[illegible]
في علوم الكون والطبيعة أيضا [illegible] الأرسطي
والمنطق الشكلي الصوري [illegible]
[illegible] « المنهج التجريبي » [illegible]
« أصول الدين » [illegible] علم الكلام الإسلامي [illegible] في « أصول
التشريع » [illegible] « أصول الفقه » أيضا [illegible] وكذلك [illegible] في « الفروع » [illegible]
[illegible] « الفقه » [illegible] « المعاملات » مع فقه « العبادات »

وعندما ساد ذلك النهج في حضارتنا كان تفوق [illegible]
[illegible] « النظر » في « الحواشي » و « المتون » و « [illegible]
و « التهميشات » و « التعليقات » [illegible] فقه « الواقع » وعلومه [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

● وكانت الوسطية الإسلامية قد حددت [illegible] في هذا الكون [illegible] كما قالت الحضارات ذات الطابع [illegible] فكان الإنسان في الكون كما حدده الإسلام [illegible] سيد في هذا الكون ـ سيد فيه وليس سيده ـ لأنه مع تفضيله حتى على الملائكة المقربين وتسخير الطبيعة وقواها وظواهرها له [illegible] في هذا الكون مكان الخليفة والوكيل والنائب عن السيد الحقيقي سبحانه وتعالى لا مكان هذا السيد الحقيقي فهو سيد في نطاق الخلافة والنيابة والتوكيل [illegible] الطبيعة لعمارتها وترقيتها . وليس للعدوان عليها والتدمير لمقوماتها [illegible] الحرية والمسئولية [illegible] يكون في عمارة الكون وسياسة الدولة [illegible] مصدر السلطة والسلطان في إطار مقاصد الشريعة وحدودها [illegible] الوسطية ربطت حضارتنا بين العلم و[illegible] الحكمة بين الوسائل و[illegible] الغايات وعرفت فيها أن السياسة هي « الأعمال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد » وليست هي « فن الممكن من الواقع ـ بصرف النظر عن الوسائل والأساليب ونصب الغايات من الفضائل والأخلاقيات »

[illegible] كانت سائدة في حضارتنا هذه الوسطية [illegible]

ثم جاء طور آخر صفوة مفكريهم الاجتماعيين والاقتصاديين المتعالين إلى قطبي التطرف الوافدين من الحضارة الغربية المسيحية المطلقة أو الشمولية المطلقة غابت الوسطية الإسلامية ودخل المسلمون إلى التخلف من هذا الباب!

● وكانت الوسطية الإسلامية قد أبدعت التوازن بين «الدين» و«الدنيا» بين «الروح» و«المادة» فنحن نعمل للدنيا كأننا نعيش أبدا ونعمل للآخرة كأننا نموت غدا، وإيماننا بالآخرة هو الذي يدعونا إلى أن نعمر في الدنيا فنغرس الغرسة حتى عندما تقوم القيامة ونشهد بأعيننا أشراطها؟!

لقد دمجت هذه الوسطية وجمعت وألفت بين العالمين «الدين» و«الدنيا» حتى جعلت من رتبة الحياة الدنيا عبادة دينية، ومن صلاح أمور الدنيا وتوفر الاحتياجات المادية للإنسان، الشروط الضرورية لصلاح أمر الدين - كما قال حجة الإسلام الغزالي - وأصبح مألوفا في فكرنا الإسلامي مقولات تقول: ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وأن المسلم الحقيقي حتى لو كان أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره الله، وأن صلاة الجائع والخائف لا تجوز، لأن «الأمن المادي» و«الروحي» هو أساس التدين بالدين.

وعندما ساد هذا التوازن، الذي صنعته الوسطية الإسلامية، كان تقدمنا وتفوقنا، فلم غابت هذه الوسطية، فأدار البعض منا ظهره للدنيا وعلومها وقيومها باسم الدين، وأدار البعض الآخر ظهره للدين وعلومه ومناهج الهداية للنفس وتوفيقه للقلوب باسم الدنيا، حتى التوازن، فكان ذلك الباب ما

أبواب التخلف الذي دخل فيه المسلمون !

● وكانت حضارتنا قد [illegible] ذلك التوازن الفريد بين « فروض العين » و« فروض الكفاية » [illegible] بتعبير حديث [illegible] بين « الفرائض الفردية » و« الفرائض الاجتماعية » ـ كجزء من [illegible] بين « الفرد » و« المجموع » ـ فكانت هذه [illegible] تقدمنا [illegible] الأمر المعروف [illegible] الاهتمام [illegible] ـ [illegible] في مقدمة فرائض الإسلام [illegible] لا [illegible] الإسلام ـ لا [illegible] ولكنها تخرج إلى الجهاد عندما يتعين باحتلال العدو أرض [illegible] روحها خروجها للجهاد ؟! وكانت مجالس العلم [illegible] من حلوات عبادات الفروض العينية [illegible] الخ

[illegible] هذا التوازن [illegible] مهتمون [illegible] الأمة ويناضلون [illegible] « الجماعة » [illegible] من [illegible] [illegible] حتى [illegible] مصالح « المجموع » [illegible] الذي دخل فيه المسلمون !

● وكانت حضارتنا قد [illegible] بين [illegible] « حقوق المحكومين » [illegible] حكامها « [illegible] » [illegible] عن الأمة [illegible] فوضعتهم الأمة فيه ، مما هو لازم لبلوغ الغاية من [illegible] وحدودها [illegible] وللمحكومين على حكامهم حق [illegible] أعظم

مقاصد الشريعة، وبعثه من رسالات كل رسل، وسمى من أسماء الله سبحانه وتعالى [1].

فلما حل هذا التوازن، سكت الحكام سبيل العدل إلى مسالك الظلم والاستبداد، فرأوا في أموال المسلمين «طعمة» لهم ولأعوانهم، وتوزعت الرعية إلى أرقاء للرغبة والترهيب [2]. أما المحكومون فإنهم سلكوا سبل التواكل والاستسلام والتدليس، إفشالا لخطط الحكام، ونكاية بهم، وانتقاما من ظلمهم واستبدادهم. فكان الفقر والإفلاس من مقاصدهم أحيانا ـ حتى تضمحل سلطة غاصبيهم وظالميهم [3] ـ «ليس بأحد من نفسي بالرديء [4]». [illegible] والإنصاف وضمحلت الحضارة الإسلامية مع اضمحلال قدرات الحاكمين والمحكومين وكان ذلك [illegible] من أبواب التخلف الذي دخل المسلمون فيه [5].

● وكانت وسطتنا الإسلامية قد أقامت لنا توازنا عبقريا بين «العقل» و«القوة» [illegible] من مثل [illegible] وبهذا التوازن صارت القوة الضاربة أداة بيد العقل والفكر والحضارة، عليها أن تحمي الحمى. ولها حق «الوعي» الحضاري عندما يطلب منها أن «تضع» [6].

وعندما كانت هذه القوة الضاربة «عربية الفكر والحضارة» ـ أي من ذات الأمة ـ ساد التوازن بينها وبين «عقل الأمة». فكان التقدم والازدهار. فلما أصاب الترف بأمراضه هذا القطاع من قطاعات الأمة، وأعجزت الرفاهية وأقعدت العرب المسلمين عن النهوض بمهمة القوة الضاربة اللازمة والقادرة على مواجهة التحديات الداخلية ـ كالتشرذم الإقليمي والثورات المذهبية

والتمردات الطائفية والمحلية ـ والتحديات الخارجية ـ بيزنطية وصليبية ومغولية ـ عند ذلك جاءت الدولة إلى الترك المماليك ، فلما تضخمت مؤسسة العسكر المماليك ، احتل التوازن كأبشع مايكون الخلل ، فتحولت المؤسسة العسكرية المملوكية من أداة بيد الخلافة ـ كما كان مأمولا ـ إلى القوة الحقيقية التي تلعب بمنصب الخلافة ـ وكانوا غرباء عن حضارة الأمة ولم يلتقوا ـ لأنهم عسكر وترك مماليك ـ مابعينه عقلانية الإسلام من استنارة وماعقده الإسلام الحضاري مع العروبة الحضارية من عروة وثقى فاختل التوازن لحساب « القوة » على حساب « العقل » لحساب « النصوصية الجامدة » وعلى حساب « العقلانية المستنيرة » ثم كان أن فرضت الأخطار الخارجية ـ وخاصة الصليبية والمغولية والغربية الحديثة ـ على الأمة أن تسلم القياد لهذا اللون من ألوان « القوة » وطالت حقبات الخطر الخارجي فامتدت قرون الحكم للترك المغول ـ المماليك ـ والترك العثمانيين ـ فلما طال ليل التخلف النابع من غيبة التوازن وسيادة الخلل ، لاختفاء الوسطية أو تراجعها رأينا التراجع وقد صار جمودا ورأينا هذا الجمود وقد أثمر ـ بمرور القرون ـ هذا التخلف الذي استنفر واستنفر القوى العاقلة في الأمة لتجاهد من أجل اليقظة الإسلامية وفي سبيل النهضة التي تخرج المسلمين من المأزق الذي دخلوا فيه !

● وكانت وسطية الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذا الإطار [illegible] هي مصدر [illegible] في [illegible]
محكوم بروح الشريعة الإلهية ومقاصدها ، تلك التي وقفت عند الثوابت
والأصول

وفي ظل هذا [illegible] [illegible] [illegible]
و [illegible] . وجدنا [illegible] وقد [illegible] [illegible] فيها [illegible] الأمم
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الحرب الذي دخلوه . رغم [illegible] النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [illegible] من هذا
[illegible] ـ [illegible] [illegible] بما يشبه « الكهانة » و « الدولة الدينية » وقال
آخرون « [illegible] » تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ! وتوزعت مذاهب [illegible]
من تجرد الأمة من كل سلطة وسلطان ومنها من يجرد الإسلام من طابعه [illegible]
ومدخله في سياسة الدولة وتنظيم المجتمعات فكان هذا الباب من أبواب
التخلف الذي دخله المسلمون يستعيرون « مشكلا » كي يستعيروا له
« الحلول » ذاهبين عن وسطيتهم الإسلامية ، وغافلين عن التوازن الذي [illegible]
في هذا الميدان !

*

[illegible] هي « الوسطية الإسلامية » [illegible] [illegible]

كانت « زاوية الرؤية » [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible]
ازدهارها وعطائها

وكانت « المزاج » الذي طبع [illegible] هذه [illegible] ، عندما كانت منارة
الدنيا بأسرها

[illegible]

هذه الحضارة و «جوهرها»

وصدق الله العظيم إذ يقول: [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس]

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] جعلناكم أمة وسطا»[12]

[illegible] أمة عربية إسلامية [illegible] ولا [illegible] الحديثة [illegible] على مشروع حضاري [illegible] الحديثة [illegible] حكم الضرورة [illegible] الحكم [illegible] في طريق [illegible] النموذج الحضاري العربي [illegible] بالخناق!

إن تميز أصالتنا بهذه «الهوية» الحضارية [illegible] معاصرتنا [illegible] وذلك إذا شئنا ليقظتنا [illegible] الأغلال [illegible] أغلال التبعية للقاهري [illegible] ولا يزالون يفعلون [illegible] فتسهم، مرة أخرى، في [illegible] الفكري [illegible]

---

(١٢) رواه الإمام أحمد

ان حضارتنا إسلامية . كي أن أمتنا إسلامية ولقد أنجزت هذا طور ازدهارها الحضاري عندما صنعت حضارتها بهدى نور الإسلام . فأسهمت مختلف ميادين الإبداع الحضاري

وليس معنى أسلمة اليقظة والنهضة ومشروع الحضاري أن يتطابق « الحضارة » مع الدين فـ « الحضارة إبداع » بشري ـ عقلي » وإسلاميتها تعني تغيرها بسيادة المعايير الإسلامية مختلف ميادين إبداعها فهي ثمرة لتفاعل « العقيدة » الدينية مع « الواقع » من خلال وبواسطة الإبداع » الإنساني إن الحضارة الإسلامية » هي الفنون الإسلامية » ليست « الدين الإسلامي » ولكنه إبداع الإنسان المسلم عندما يكون مسلما حقا وكذلك الحال في مختلف ميادين الإبداعات الحضارية إنها ـ بإختصار ـ « الوضع البشري » المؤسس على « الوضع الإلهي » ـ « الدين » ـ » والمحكوم بأطره » والمطبوع بطابعه الإلهي » والمصبوغ بصبغته الإلهية

وفي الإبداع الحضاري [illegible] « الخبرة » [illegible] وتعني قد تكفل خصائصه [illegible] خطوط) [3] وسماته المميزة » ونهضة مستنيرة هي إسلامية قد ستهدي بنور الحضارية الإسلامية في الإبداع الحضاري الذي يسود عصرنا هذا العصر الذي نعيش فيه

---

(١٣) خير ٩

تاريخ التراجع الحضارى وأسبابه .. ومظاهره

لم يشأ «الإسلام ـ الدين» ولم تضعف حصيلة المسلمين من فقه أسراره ومراميه، بل لعل التقدم الذى أحرزته علوم الشريعة والعلوم الصنعية أن يكون قد أتاح للخلف من أسرار الإسلام ومراميه ما لم يتح للأسلاف.

فلماذا تقدم «السلف» وتخلف «الخلف»؟ حتى [illegible] عليه، ووجدنا أنفسنا ـ وغيرنا ـ مدفوعين إلى الخوض فى الحديث عن [illegible] النقطة الإسلامية التى تخرج الأمة من السبات والنوم؟ والصحوة التى تنقذها من السكرة؟ والنهضة التى تغادر بها الركود؟ والتقدم الذى يعتقها من التخلف؟ والتجديد الذى يخرج بها من الجمود؟ والاجتهاد الذى يعصمها من التقليد؟ والارتقاء الذى يرفع عنها عار الانحطاط؟ والتواصل الحضارى الذى يجدد الخيوط التى وهنت، وتبعث الحياة؟ فثوابت الاتصال بين حياة المسلمين ودينهم الحنيف؟!

لقد زادت معرفتنا الإسلام، وزادت كشوف المسلمين بثروات أوطانهم المادية، وبلغ تعدادهم مليارا، وهم أكثر أهل الأرض زيادة فى معدل التوالد الجديد؟!

فلماذا تقدم السلف؟ ولماذا تخلف الخلف؟

سؤال طرحه العقل المسلم منذ القرن الثامن عشر الميلادى، وأضاف إليه

[illegible]

[illegible]

وإذا كانت إجابات هذا السؤال قد تعددت بتعدد مذاهب الذين طرقوا مباحث هذا الميدان، فإني أعتقد أن رصد التحولات الواقعية التي أحالت تقدمنا تخلفاً عبر مسيرتنا التاريخية، هو أقوم السبل لحسم النزاع بين المحسنين على هذا السؤال!

*

[illegible] سعد بن هشام بن عامر [illegible] رضي الله عنه [illegible] عائشة [illegible] رضي الله عنها [illegible]

[illegible] عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

ـ قالت: فإن خُلُق نبي الله كان القرآن[1]!

[illegible] كان القرآن قد تحول [illegible] عبر الذين فقهوه [illegible] تتجسد فيه [illegible] القرآن [illegible] ولم تقف الأمر عند [illegible] وترتيل الآيات، بل ولا الفقه للمرامي والأغراض[2]!

وعندما ساوم الباطلُ ـ ممثلاً في مشركي قريش ـ الحق ـ ممثلاً في [illegible] صلى الله عليه وسلم ـ بالترغيب والترهيب [illegible] الشمس في يميني والقمر في يساري على [illegible]

[illegible]

الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»[٢].

[illegible]

[illegible]

[illegible] كما تداعى الأكلة على قصعتها!

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لأعدائهم [illegible] ومنهم [illegible] على عالم الإسلام من كل الملل والقوميات ـ ومن الحضارة العربية وقواها العدوانية على وجه الخصوص ـ ؟!

[illegible] وتتابع مسيرة حضارته [illegible] ومظاهره [illegible] على سبيل النقطة التي هي الغاية من وراء هذه الصفحات

* * *

لقد كانت قيادة الشرق [illegible] في صراعه التاريخي ضد الغرب [illegible] ومارست هذا الدور [illegible] بعدة قرون [٤٩٠ ق م ٦٢٧ م]؟!

لكن هذه الدولة [illegible] ـ من [illegible] الإقطاعي [illegible] الصفة [illegible] المعلقة [illegible] التفويض الإلهي ـ [illegible] هذه الأمراض [illegible] الإغريقي [illegible] الإغريقية [illegible] على عالم الشرق [illegible] الأكبر [٣٥٦ـ٣٢٣ ق م] [illegible] على [illegible] سنة ٣٣١ ق م ومنذ ذلك التاريخ

- [illegible] الشام ومصر وبلاد الشمال الإفريقي [illegible] الإغريقي فالروماني فالبيزنطي
- وظل العراق تحت الهيمنة الفارسية
- [illegible] الفرس والأحباش [illegible] على اليمن [illegible] العربية

● وكاد وسط شبه الجزيرة العربية أن يسقط [illegible] كل [illegible] في غزو الحبشة لمكة عام [illegible] سنة ٥٧١ [illegible] ولادة الرسول محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام؟!

لكن ظهور الإسلام قد جاء إيذانا بتغير صورة هذا الواقع البائس، وتبدل اتجاه التاريخ العالمي

● ففي عام البعثة المحمدية، ومع تباشير الوحي برسالة الإسلام [illegible] للعرب أول انتصار على الفرس في «يوم ذي قار»؟!

● [illegible] الوحدات [illegible] العرب [illegible] دولتهم العربية الإسلامية [illegible] على سنة الجزيرة [illegible] الأولى [illegible]

● [illegible] شعوب [illegible] على [illegible] العربية [illegible] المسلمين في موجة الفتوحات العربية الإسلامية كالإعصار التحريري [illegible] العربية [illegible] في أعلاه لأكثر من عشرة [illegible]

● [illegible] الفتوحات [illegible] الشرق [illegible] الأمة العربية [illegible] الدولة العربية الإسلامية [illegible] الشرق في [illegible] العرب [illegible]

لكن العرب لم [illegible] الإسلامية [illegible] مشتعلة بوقائع الغزو والجهاد

[illegible] حركة [illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible] العلاقة العضوية [illegible] «وحدة الأمة الإسلامية» [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] وحدة الأمة [illegible]
[illegible] العوامل الداخلية [illegible]
[illegible] في القوة [illegible] في الانتصار
[illegible] الأعظم على صدق «المنهج
[illegible]
[illegible] العلاقة العضوية [illegible] والعروة وثقى بين العوامل الداخلية
[illegible] في صراعات هذه الأمة. وفيما حققت من تقدم [illegible]
[illegible]

فاشتداد مخاطر التحديات الخارجية فتح الباب للاهتمام ـ «الدولة» أكبر من «الأمة» والتركيز على «القوة» على حساب «العدل» فتغير النهج الإسلامي تدريجيا منذ تأسيس الدولة الأموية [٤١ هـ ٦٦١ م] فشابت «الشورى» سلسلة «الملك العضود» وأصبحت الأموال دولة بين الأغنياء بعد أن كانت نهرا أعظم والناس شربهم فيه سواء [illegible] الأمر الذي فجر على أرض الواقع الداخلي سلاسل من «الثورات» و«الانتفاضات» و«الأزمات» [illegible] عالجتها «الدولة» [illegible] من «الأدواء» [illegible] الداخلي بتنمية «القوة» بدلا من إشاعة «العدل» و«الشورى» حتى جاء الوقت الذي تضخمت فيه هذه «القوة» الضاربة ـ وكانت قد أصبحت غريبة عن الروح الحضاري للأمة ـ فتم «الانقلاب» الذي قاد النهضة إلى التراجع والجمود *

[illegible] الأمة الحنيفية هي نقيض [illegible] وعنده كل فرق نقض وحدة الأمة، وكان ابن عمر يشير إلى قوة [illegible] فيسير بكتيبة إلى [illegible] ليس بكتيبة يصيح الأمراء على جيشه بالغزو والجهاد

● في [illegible] ٧٠ هـ ٦٨٩ م [illegible] الأمة في [illegible] عبد الملك [illegible] ٢٦ ٨٦ هـ ٦٤٦ ٧٠٥ م] وعبد الله بن [illegible] ٧٣ هـ ٦٢٢ ٦٩٣ م] فيقول: [illegible] بن ضعف [illegible] مهدية [illegible] مبرقين [illegible] حرقة [illegible] هكذا [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] لكنه [illegible] روح الشرعية في عروق [illegible] الإسلام [illegible] مناكبه [illegible] [٧٤ ـ ٧٧٥ م] [illegible] وقدمه [illegible] في [سنة ١٣٨ هـ سنة ٧٥٥ م] ؟!

● [illegible] الأمة [illegible] [سنة ١٤٠ هـ سنة ٧٥٧ م]

● [illegible] [١٤٩ ـ ١٩٣ هـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م] [illegible] الأمين [١١٠ ـ ١٩٨ هـ ١٨٧ ـ ٨١٣ م] والمأمون [١١٠ ـ ٢١٨ هـ ٧٨٦ ـ ٨٣٣ م] [illegible]

وفي [illegible] الإسلامي [illegible] وظواهر ذات دلالة بالغة في موضوع هذا الحديث

● [illegible] الخوارج [illegible]

● والعلويون [illegible] [سنة ٢٤٢ هـ سنة ٨٥٦ م] [illegible] [سنة ٢٥٠ هـ سنة ٨٦٤ م] [illegible] [سنة ٢٥٠ هـ سنة ٨٦٤ م] وقزوين [سنة ٢٥٠ هـ سنة ٨٦٤ م] والكوفة [سنة ٢٥٠ هـ سنة ٨٦٤ م] [illegible] وفارس [سنة ٢٤٩ هـ سنة ٨٦٣ م]

● والشعوبية . التي احترفت الكيد بكل ما هو عربي [illegible] أحلامها في إحياء الموروث [illegible] الفارسية [illegible]

الكيد لوحدة الأمة وقوة الدولة ... وما توقف نشاطها بنكبة [illegible] [سنة ١٨٨ هـ سنة ٨٠٣ م] ... استثمروا هذه النكبة ... في الكيد للعروبة ودولتها وللإسلام ووحدة أمته.

● وغير الثورات المذهبية والفكرية، تفجرت في الكثير من ولايات الدولة انتفاضات محلية لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو عرقية أو قبلية، وذلك من أمثال ما حدث في مصر [سنة ٢١٣ هـ سنة ٨٢٨ م] و [سنة ٢١٤ هـ سنة ٨٢٩ م] و [سنة ٢١٥ هـ سنة ٨٣٠ م] و [سنة ٢١٦ هـ سنة ٨٣١ م] وما حدث في فارس [سنة ٢٢٠ هـ سنة ٨٣٥ م] وما حدث في طبرستان [سنة ٢٢٤ هـ سنة ٨٣٩ م] وما حدث في البحرين [سنة ٢٨٦ هـ سنة ٨٩٩ م].

● وغير هذه الثورات والمكائد والتمردات، شهد هذا القرن، والذي تلاه عدد من الأزمات الداخلية ذات الطابع الفكري، أضعفت وحدة الأمة، فسرى الضعف إلى الدولة والخلافة على نحو مهد السبل لعوامل التراجع والجمود والاضمحلال.

ففي سنوات [٢١٢ ـ ٢١٩ هـ ٨٢٧ ـ ٨٣٤ م] حدثت المحنة التي اشتهرت بمحنة «خلق القرآن» عندما استخدمت الدولة قوتها في فرض لون من ألوان الفكر على رافضيه، فكان ما كان من انقسامات في صفوف العامة والخاصة على حد سواء.

وفي [سنة ٢٣٦ هـ سنة ٨٥٠ م] شرع المتوكل العباسي [٢٠٦ ـ ٢٤٧ هـ ٨٢١ ـ ٨٦١ م] في اضطهاد الشيعة والمعتزلة والعلويين، وتصاعد هذا الاضطهاد في عهد القادر بالله [٣٨١ ـ ٤٢٣ هـ ٩٩١ ـ ١٠٣١ م] قصد ما عرف «الاعتقاد القادري» الذي حرم فكر

[illegible]
الإسلام

● [illegible] والأندلس [illegible]
[illegible]
[illegible] سنة ٢٥٤ هـ
/ ٨٦٨ م [illegible] ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م [illegible] [٣٩ هـ / ٩٩٩ م] [illegible]
لسلطة [illegible] تركية وديلمية [illegible] وذلك فضلاً عن المغرب
والأندلس [illegible]

تلك كانت أبرز التحديات التي واجهت الدولة الإسلامية في [illegible]
الهجري [illegible] فماذا صنعت هذه الدولة إزاء هذه التحديات؟

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لكن [illegible] شاهد على أن للإسلام نهجا متميزا في [illegible]
[illegible] السياسية والاجتماعية والاقتصادية [illegible]
[illegible] من أن الدولة العباسية لم تكن أمامها خيار آخر غير
[illegible] «عسكرة» [illegible]

لكن الذي حدث قد حدث!

[illegible] [٢١٨ - ٢٢٧ هـ ٨٣٣ - ٨٤٢ م]
[illegible] على ذلك «الخطأ القاتل» [illegible]
[illegible] مدينة «سامراء» معسكرا، [illegible]
[illegible] في القوة العسكرية [illegible] الخلافة [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible]
الإسلام، لأنهم لم يحصلوا منه [illegible] شهادة التوحيد، إلا شكلا [illegible]
لا تغني عن جوهر هذا الدين؟!

[illegible] الدولة - كي تواجه حدة التحديات - [illegible]
[illegible] العسكرية [illegible] فتعبرت موازين القوة بينها وبين
«الخلافة - الدولة» [illegible] فبعد أن كان المطلوب والمنتظر أن يكون العسكر المماليك
أداة طيعة بيد الخلافة، لعدم ارتباطهم بأطراف الصراع الداخلي في
الدولة [illegible] عدت الخلافة لعبة في يد أمراء الأجناد الترك وقادة المماليك
«وسامراء» التي بنت معسكر هؤلاء العسكر، تابعا للعاصمة «بغداد» [illegible]
- في سنة ٢٢١ هـ سنة ٨٣٦ م - العاصمة التي تتبعها «بغداد» [illegible] وكان
مقتل الخليفة المتوكل [illegible] قادة الجند المماليك بداية هذا التحول الجذري في

مسيرتنا الحضارية، فدخل ازدهارنا الحضاري، عبر مراحل طويلة، ومن خلال دروب متعرجة، وبمصاحبة صحوات عدة، ومقاومات باسلة ـ كما هو شأن التطور الحضاري ـ صعود وهبوطا ـ دخل ازدهارنا الحضاري منذ ذلك التاريخ نحو الهبوط والتراجع والانكسار.

[illegible] الأمر [illegible] الإسلامية [illegible] حضاري بين «السلطة والدولة» وبين «الأمة وحضارتها» [illegible] مقاصد الأمر [illegible] من مثل «[illegible]» و«[illegible]» و«[illegible]» و«[illegible]» و«[illegible]» و«[illegible]» [illegible]

[illegible] ويسحبونه ويقدمون له اسم فلا يملك إلا [illegible] الموت [illegible] الشاعر [illegible] شهد ذلك [illegible] وصف [illegible] الخليفة المستعين بالله [٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ ٨٦٢ ـ ٨٦٦ م] مع [illegible] «[illegible]» [illegible] الخلافة [illegible]

[illegible]

[illegible] [٢٠٦ ـ ٢٨٤ هـ ٨٢١ ـ ٨٩٨ م]

[illegible]

[illegible] في كل الأمور [illegible]
[illegible]
[illegible] أما الخليفة [illegible]
[illegible] هذه العصابة المملوكية [illegible]
[illegible] [2] .

لقد قضى الأمر [illegible] وعسكرت [illegible] ثم جاء دور التحديات الخارجية [illegible] في عصر هذه الدولة العسكرية [illegible] فالغزوة الصليبية قد دامت قرنين [٤٨٩ ـ ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١ م] والغزوة التترية قد روعت كل الأمة عندما دمرت بغداد سنة ٦٥٦ هـ سنة ١٢٥٨ م حتى لقد واجهت الأمة أمام هذين الخطرين ـ [illegible] في بعض مراحل عروبتها [illegible] الإسلام ـ وواجهت الأمة خطر الإبادة الحضارية والاقتلاع من وطنها بالاستعمار الصليبي الاستيطاني [illegible] العسكري حيث [illegible] حديد فرسان الإقطاع الصليبيين و[illegible] فرسان [illegible] . لم يكن بالإمكان مواجهته وصده إلا بـ « حديد » مماثل و « بأس » مماثل . هو « حديد » و « بأس » الفرسان المماليك !

وكان طول عمر هذه التحديات الخارجية سببا في [illegible] العسكر [illegible] الإسلام [illegible] الأتابكية [٥٢١ ـ ٦٤٨ هـ ١١٢٧ ـ ١٢٥٠ م] و[illegible] [٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ ١١٧١ ـ ١٢٥٠ م] والمملوكية البحرية [٦٤٨ ـ ٧٨٤ هـ ١٢٥٠ ـ

(٢) انظر كتابنا [العرب والتحدي] ص ١٢٥ وما بعدها . طبعة الكويت سنة ١٩٨٠ م

١٣٨٢ م، فالمملوكية - برجية - [٧٨٤ - ٩٢٢ هـ ١٣٨٢ - ١٥١٧ م] التي أسلمت الزمام للترك العثمانيين ؟!

ولم يقف الأمر عند «عسكرة الدولة» بل لقد امتدت تأثيرات هذه «العسكرة» إلى مجتمع فأحدثت وأقامت أكثر العوامل السلبية التي فعلت فعلها في التخلف والتراجع والجمود لحضارتنا العربية الإسلامية.

[illegible] «العسكرة» على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مواجهة التحديات التي تواجه الدولة [illegible]

عمر بن عبد العزيز عندما [illegible]

[illegible] الثورة بواسطة عنصر [illegible]

[illegible] ولا من العرب [illegible]

[illegible] الإجابة على [illegible]

[illegible] المعتصم للترك [illegible]

[illegible] ٢٠٨ هـ

٧٨٦ - ٨٣٣ م] [illegible] ٢٢١ - ٢٢٨ هـ ٨٤٢ - ٨٤٦ م [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لم يلجأ المعتصم إلى «العرب» [illegible]

واستحلت بدلا منهم « الترك ـ مماليك » فإن مرجع ذلك ـ في اعتقادنا ـ إلى أسباب ، في مقدمتها

١ ـ أن تيار العنوى ، [illegible] للعباسيين [illegible] للعنصر العربي إلا [illegible]

٢ ـ [illegible] أسهل في [illegible] الصراعات [illegible] إلى عنصر غريب [illegible] عن أطراف الصراع ، سيكونون أداة [illegible] طيعة وكاملة الولاء للخلافة والدولة [illegible]

إذن هو « الترف » و « الرفاهية » اللذان أعجزا العرب عن حماية الدولة والحضارة التى صنعتها ثورة الإسلام وعقلانية القرآن وحشود الجند العربي

[illegible] ٢٣ هـ ٥٨٤ ـ ٦٤٤ م] [illegible]

[illegible] فكان عمر لأصحاب [illegible] في البلاد [illegible]
[illegible] في [illegible] في [illegible] البلاد [illegible]
[illegible] البلاد [illegible] بل وكان حريص على غيرهم في
الرئ عن أهل البلاد [illegible] وربما يعد هذا الحرص إلى [illegible] الذي [illegible]
[illegible] البلاد [illegible] كتاب [illegible] أهل الإسلام [illegible]
[illegible] عمر [illegible] على [illegible]
[illegible]

كان عمر يصنع ذلك بالذين خرجوا إلى مواطن [illegible]
في [illegible] من أشراف قريش ورءوس الصحابة [illegible]
خروجهم إلى مواطن [illegible] في [illegible]
[illegible] ٢٢٤ [illegible] ٣١٠ هـ ٨٣٩ [illegible] ٩٢٣ م [illegible] «إن عمر بن
الخطاب كان قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان
إلا بإذن وأجل [illegible] فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان عمر يأخذهم به
فخرجوا إلى البلاد، فلما نزلوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس، فانقطع إليهم
الناس وتقربوا إليهم، وقالوا [illegible] يملكون فيكون لنا في ملكهم حظوة» فكان
ذلك أول وهن على الإسلام وأول فتنة كانت في العامة»

[illegible]
[illegible]

---

(٧) ابن أبي الحديد [شرح نهج البلاغة] جـ ١١ ص ١٢، ١٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة
القاهرة سنة ١٩٥٩ م

الحياة المدنية المترفة . [illegible] « فكان ذلك أول وهن على الإسلام » [8]

[illegible] ٧٣٢ [illegible] ٨٠٨ هـ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م] [illegible] وكيف أن ذلك التحول هو « سن الوقوف بعمر العالم في العمران والدولة » [illegible] [illegible] الاضمحلال

[illegible] الدولة العربية الإسلامية [illegible]

[illegible] [وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا] [9] [illegible] من « القراء » من يقرأ [أمَّرنا] ـ بتشديد « الميم » مفتوحة . أي [illegible]

هكذا تعسكرت « الدولة » [illegible] فلما طال عليها الأمد ـ بسبب طول التحديات [illegible] وجانبها ـ امتدت تأثيرات « العسكرة » إلى مجتمع . فأصابت [illegible]

---

(٨) [المقدمة] ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٧٢ هـ

(٩) الإسراء : ٢

[illegible]

[illegible] Alfred Guillaume [illegible] ان قوة الحركة الاعتزالية مردها [illegible] اقامة علم الكلام الاسلامي على اسس [illegible] من الفلسفة [illegible] مصرين في الوقت نفسه على ان تكون تلك الأسس منطقية [illegible] مع وجوب ان تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية

[illegible]

[illegible] Anselme [١٠٣٣ ـ ١١٠٩ م] [illegible] وحيات الإنسان [١٠] [illegible] لان النظر العقلي هو سبيل معرفة الله [illegible] وعليهما [illegible] الإيمان [illegible] والكتاب [illegible] ومن هنا جاء اعتمادهم على العقل مع الكتاب [illegible] والإجماع [illegible] وتقديمه عليها [illegible] لا تقديم تفضيل [illegible] وانما تقديم ترتيب [illegible] الأدلة [illegible] دلالة العقل [illegible] لأن له تمييزا بين الحسن والقبح ولأن له يعرف ان الكتاب حجة [illegible] وكذلك السنة والاجماع [illegible] من هذا الترتيب بعضهم [illegible] الأدلة هي الكتاب والسنة والاجماع فقط [illegible] العقل اذا كان يدل على امور فهو موجز [illegible] وليس كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب الا اهل العقل [illegible] ولأن له يعرف ان الكتاب حجة

---

(١٠) جيوم [الفلسفة وعلم الكلام] ص ٣٧٩ [illegible] كتاب [illegible] الاسلام [illegible] طبعة [illegible] سنة ١٩٧٢ م

[illegible] ص ٣٣٣ [illegible] طبعة [illegible] سنة ١٩٠٨ م

وكذلك [illegible] والإجماع فهو الأصل في هذا الباب [illegible] الكتاب هو الأصل من حيث أن فيه التنبيه على ما في العقول كما أن فيه الأدلة على الأحكام ومتى عرفنا بالعقل [illegible] منفردا بالإلهية وعرفناه حكيما نعلم في كتابه أنه دلالة ومتى عرفناه مرسلا للرسول ومميزا له بالأعلام المعجزة من الكاذبين علمنا أن قول الرسول حجة وإذا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لا تجتمع أمتي على خطأ[12] وعليكم بالجماعة[13]» علمنا أن الإجماع حجة»[14]

فاعتماد العقل هنا، وتقديمه ليس غضا من شأن «النقل» بل موازرة ومواخاة وتأييدا فهم لم يقولوا بانفراد العقل بالمعرفة وإنما اعتمدوه دليلا لمعرفة الأصول الشرعية فعندهم ـ كما يقول الماوردي [٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ ٩٤٥ ـ ١٠٥٥ م] أن «السبب المؤدي إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيئان أحدهما علم الحس، وهو العقل، لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول فالعقل أم الأصول وثانيهما معرفة لسان العرب ـ وهو معتبر في حجج السمع خاصة»[15]

فالعلاقة عضوية والعروة وثقى ـ في هذه العلاقة الإسلامية ـ بين «العقل» و«الشرع» باعتبارهما دليلان خلقهما خالق واحد وجعلهما سبيل لهداية الإنسان. وإذا قلنا «إن لكل فضيلة [illegible] ولكل أدب ينبوعا فأس

---

(١٢) [illegible] لا تجتمع على ضلالة

(١٣) رواه ـ بألفاظ متفاوتة ـ مع اتحاد المعنى [illegible] البخاري ومسلم والترمذي [illegible]

(١٤) قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد [فضل الاعتزال [illegible] ٩٧٣

(١٥) [أدب القاضي] جـ ١ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م

الفضائل ونبوغ الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا . فأوجب التكليف بكماله . وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم وجعل ما يعبدهم به قسمين فقسم وجب بالعقل فوكده الشرع وقسم جاز في العقل . فأوجبه الشرع . فكان العقل لهما عمادا . »[1]

وعلى عكس العقلانية الغربية الملحدة التي جعلت من أعطاء المادة والطبيعة حظها من النسبة والفعل أمرا ينفي وجود الألوهية . كالسبب الأول والأعظم في هذا الكون على العكس منها جمعت العقلانية الإسلامية بين الأمرين فللطبيعة فعل ومادتها وظواهرها وعوامل أسباب مسببات ومع ذلك فإنها ـ مع فعلها ـ مخلوقة للسبب الأعظم والأول في هذا الكون وتلك واحدة من إنجازات علم الكلام الإسلامي الذي أبدعه التيار العقلاني في حضارتنا ولنتأمل عبارة الجاحظ [١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ ٧٨٠ ـ ٨٦٩ م] التي يقول فيها « وليس يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا من الصناعة يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة ! والعالم عندنا هو الذي يجمعهما والمصيب هو الذي يجمع حقيق « التوحيد » وإعطاء « الطبائع » حقها من الأعمال ! ومن زعم أن « التوحيد » لا يصلح إلا بإبطال حقائق « الطبائع » فقد حمل عجزه على الكلام في « التوحيد » وكذلك إذا زعم أن « الطبائع » لا تصلح إذا قرنها « بالتوحيد » ومن قال هذا فقد حمل عجزه على الكلام في « الطبائع » وإنما ييأس منك الملحد إذا لم يدعك التوفر على « التوحيد » في

---

[1] [illegible] ١٩٧٣ .

نحس حقوق « الصانع » لأن في رفع « أجره » رفع « الصنيع » . وإذا كانت « الأعيان هي الدالة على الله » فرفعت الدليل فقد نفيت المدلول عليه ! ولعمري ! إن في جمع بينهما لبعض الشدة ، ولن نعود بالله تعالى أن نكون كمن عمر قلبه باب من الكلام صعب المدخل ، فقصد ركب من ركبه مقصبي ! ومن كان كذلك لم يتقع به [17]

[illegible] على [illegible] وفي موجهة كل « الشئون [illegible] علاقات مبنية على [illegible] الإسلامية ، [illegible] « بالمقصد » ، جمعوا وتحزبوا [illegible] جمعه وتشتته من [illegible] والأقطاب [illegible] لأجل [illegible] لأجل [illegible] فتلاقوا [illegible] وتأنس [illegible] وتعاونوا [illegible] وتعاضدوا [illegible] لإثبات وجود [illegible] وتحقيق [illegible] ويعرف [illegible] بحكمة [illegible] ويعلم [illegible] ولا [illegible] شروح [illegible] وتحرير [illegible] ويعلم [illegible] وتحقيق [illegible] وتحقيق كل [illegible] [18]

[illegible] وتصنيف [illegible] في [illegible]

---

(١٧) [كتاب الحيوان] جـ ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥ لتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [illegible]

(١٨) [كتاب الحيوان] جـ ١ ص ٣١٢ ، ٣١٧

[illegible] العقلاني [illegible] وهذه العقلانية الإسلامية [illegible] الأسلاف [illegible] أحدثته عسكرة [illegible] عسكر [illegible] المماليك ؟؟

* * *

كان الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م] [illegible] في [illegible] العباسية [illegible] تصريح بفكرية [illegible] العقلاني الإسلامي [illegible] المفهوم [illegible] قاده إلى معاداة علم الكلام الإسلامي وتخريج جميع المتكلمين [illegible] من العقلانية وقف به عند النصوص وحدها [illegible] وعند ظواهر النصوص [illegible] ولم يكن الإمام أحمد [illegible] ولا متكلما [illegible] ولم يكن في الحقيقة فقيها [illegible] محدثا [illegible] جمع واحدا من أكبر مسانيد الحديث النبوي الشريف [illegible] وضاع أصول «المنهج النصوصي» [illegible] المعتمد على الأخبار وحدها [illegible] النصوص من أدوات التفكير والبحث والبرهان

وكان منهجه [illegible] كما حدده الإمام [illegible] [٦٩١ - ٧٥١ هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م] [illegible] «فالأصل الأول [illegible] النصوص [illegible] والأصل الثاني [illegible] الصحابة [illegible] وهي النصوص [illegible] والأصل الثالث [illegible] الصحابة [illegible] من [illegible] «والأصل الرابع [illegible] الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف» [illegible] وهي النصوص [illegible] على [illegible]

(١٩) [أعلام الموقعين] جـ١ ص ٧٦ - ٧٧ [illegible] بيروت سنة ١٩٧٣ م

سبل الاستدلال [illegible] والأصل الخامس [illegible] القياس للضرورة [illegible] لم يكن عنده في [illegible] نص، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثر مرسل أو ضعيف [illegible]!

لقد كان معاديا «للرأي» وأصحابه، ينهى عن سؤال أصحاب الرأي ويقول [illegible] «ضعيف الحديث أقوى من الرأي»!

بل لقد صاغ الإمام أحمد بنفسه منهجه النصوصي هذا [illegible] صاغه شعرا فقال:

ديني [illegible] محمد آثار ... نعم [illegible] الأخبار
لا تخدعن عن الحديث وأهله ... فالرأي ليل والحديث نهار[20]
وربما جهل الفتى طرق الهدى ... والشمس [illegible] أنوار

فالدين عنده «النصوص» [illegible] وظواهر هذه النصوص [illegible] فقط!

وهذه «النصوص» وحدها هي «العلم» [illegible] ووفق الصناعة الشعرية لواحد من أعلام هذا التيار، قال:

العلم: قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين النصوص وبين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة ... بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا [illegible] النصوص [illegible] ... [illegible] من التجسيم والتشبيه
حاشا النصوص من الذي رميت به ... من فرقة التعطيل [illegible]

فالنصوص وحدها هي العلم [illegible] ولا [illegible] حتى [illegible]

---

(٢٠) المصدر السابق جـ١ ص٧٩

[illegible] التجسيم والتشبيه في حق ذات الله[١]

وتعاظمت نزعة منهج النصوصيين [illegible] الإمام أحمد [illegible] النصوص — إلا [illegible] النصوص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العقل [illegible] نسبية [illegible] من [illegible] الاستدلال[٢]

ولقد كان هذا المنهج النصوصي يستقطب قطاعا من [illegible] يحكم القصور الفكري الذي يقف بهم عند المحسوس وظواهر النصوص فلم [illegible] من المرتبة — وليس تبرير المعتزلة كما يظن كثيرون — خطيئة استخدام سلطة الدولة في الضغط على الإمام أحمد كي يقول بقولهم في خلق القرآن. [illegible] ذلك [illegible] في مسألة [illegible] من الاضطهاد في عهود الخلفاء الثلاثة الذين كانوا على مذهب الاعتزال المأمون والمعتصم والواثق [illegible] وأعطاه [illegible] قطاعات عريضة من جمهور العامة وكثير من المفكرين والعلماء [illegible] فأصبحت محنة على مذهبه الفكري [illegible] يجتمه ولا يكتسه بغير هذه المحنة وهذا الاضطهاد[١]

ثم حدث الانقلاب التركي [illegible] وتعسكرت الدولة [illegible] وكان هؤلاء الترك المماليك عسكرا جفاة ضيق الأفق لا دراية لهم ولا قدرة على استيعاب

---

(٢) [illegible] [علاء [illegible]] [illegible] ص٧٩، ٨٢، ٨٣، [illegible] ٦١، ٢٦٩، ٥٣، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٦٧، ٢٦٨، ٣٥٠، جـ٤ ص٣٥٠، جـ٣ ص٢٩٨، ٢٩٩. وانظر لابن تيمية [illegible] [العبودية] ص٨ [illegible] [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان] ص١٣٣، ١٣٦ [illegible] والحنفي] ص١٤٨، ١٤٩ طبعة دار [illegible] [illegible]

العقلانية الإسلامية. إذ كانت مداركهم وأحلامهم أدنى من مستوى العامة في هذا الميدان، ثم هم كانوا بحاجة إلى تأييد العامة فيما اعتزموا من تغييرات وما دخلوا فيه من صراعات مع التيار العقلاني، الذي كانت له السيادة والهيمنة حتى ما قبل عهد المتوكل العباسي. لكل ذلك وجدنا هؤلاء الترك الممالك ينتزعون أئمة التيار العقلاني من مواقع القيادة والتأثير الفكرية والسياسية، بل ويزجون بالكثيرين منهم في السجون، وينفونهم من الأرض، ويأتون بمصطهدي الأمس أقطاب التيار النصوصي يمكنون بهم هذه المراكز للتوجيه والتأثير والتنفيذ. لقد كان انقلابا فكريا كاملا، عدت فيه مقولات التيار العقلاني فكرا مُحرّما ومجرّما يلاحقه الاضطهاد، وعدى فيه أئمة هذه العقلانية موضع التنديد وأسرى للملاحقة والسجن والاضطهاد.

وها هو شاعر هذا الانقلاب - علي بن الجهم [٢٤٩ هـ ٨٦٣ م] - المعتزلي من جلسة المتوكل بسبب معتزليته، وبضعهم وشيعة مع [illegible] واحدة. ويتحدث عن [illegible] المتوكل على [illegible] خليفة المعتزلي «الواثق» الذي حدث الانقلاب على فكرية عهده وتوجهاته. ها هو علي بن الجهم [illegible]

تصافرت الروافض والنصارى ... وأهل الاعتزال على هجائي
وعابوني ومادتني إليهم ... سوى علمي [illegible]
أنا المتوكلي هوى ورأيا ... [illegible]

ثم يوجه سبابه إلى رجل الدولة المعتزلي أحمد بن أبي دؤاد [١٦٠ - ٢٤٠ هـ ٧٧٧ - ٨٥٤ م] - وكان يومئذ معزولا - مضطهدا ومريضا، فيشير إلى طابع فكري لهذا الانقلاب الذي قلع [illegible]

[illegible] موقعه [illegible] يقول علي بن الجهم ، موجها الحديث إلى [illegible] بن أبي دؤاد

[illegible] فوق [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] كي لا يحدث فيه بالإسناد
[illegible] حتى تزول عن [illegible]
[illegible] ومحدث أوثقت في الأقياد
[illegible]

[illegible] أصحاب [illegible] « الإسناد » [illegible] على [illegible] علي بن الجهم في هجاء ابن أبي دؤاد عندما نفاه المتوكل [illegible] من الوزير — يقول علي بن الجهم

يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة بعثت إليك جدلا وحديدا
[illegible] بالجهل منك [illegible] [22]

[illegible] الاضطهاد [illegible] العقلاني [illegible] فكرهم [illegible] [illegible] [٣٨١ - ٤٢٣ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م] [illegible]

---

٣٢) الأصفهاني [الأغاني] جـ ١ [illegible] ٣٦٧٢ - ٣٦٩٣ [illegible]

القادري » ، حرموا فيه فكر التيار العقلاني ، وحرموا فيه فكرية العدل والتوحيد ، وعلى حواشيه مراسم الكتبة العربية عن روح الإسلام وتبادله الحدوث في تاريخ المسلمين . وفي هذا « الاعتقاد » صدرت أوامر الخليفة :

١ ـ تمنع تدريس علم الكلام والمناظرة في مسائله ، خاصة الاعتزال ومقالات أهله ، وأنذر المخالفين بالعقوبة والنكال ، نفيا وسجنا وقتلا .

٢ ـ ويلعن المعتزلة على منابر المساجد ، حتى يصير ذلك سنة من سنن الإسلام !

٣ ـ ويتحرم قول المعتزلة في « التوحيد » ، وفي « خلق القرآن » .

٤ ـ كما يحرم قول المعتزلة في « العدل » ، ويتحدث عن [illegible] خلق الأفعال لهم بل « كلهم مجبورون » !

٥ ـ ويحرم قول المعتزلة في « المنزلة بين المنزلتين » ، ويقرر مذهب « المرجئة » في هذا الموضوع .

ولقد صدر هذا « المرسوم الفكري » باعتباره « اعتقاد المسلمين ، ومن خالفه فقد فسق وكفر »[٢٣] !

نعم [illegible] الإسلام وحصار [illegible] على الاجتهاد فرض كفاية [illegible] فريضة [illegible] أكثر [illegible] في [illegible] فروض العين [illegible] ثم [illegible] على الأمة [illegible] الاجتهاد في الأمة على مشروعية [illegible] الفكرية [illegible] للمجتهدين الآخرين !

---

٢٣ [illegible] ٣٨ / ٢٨٣ [illegible] ١٩٦٧ م

وعلى الذين يحرمهم معرفة الأسباب والملابسات التي صاحبت إبداع حضارى في التصدي لمعرفته ، إغلاق باب الاجتهاد عليهم ، فيسكن خطوط هذا التحول الذي أحدثه هذا الانغلاق الفقهي تكمن لديه وعند مدأ مرجع والجمود والتخلف والانكسار

وفيما يتعلق بالانحراف عن شريعة الأمة

فلقد تراءى لتصور الذين أصاب طاقات الإبداع ويسكن الاجتهاد عندما سادت فكرية النص المنصوص ، الذين أصابهم الانغلاق الفقهي أصاب الانحراف في مقتله ، تراءى لذلك مع حركة الحركة الإسلامية ـ وبصورة الأولى في مسيرتها الذاتية ، حضارية عن شريعة الأمة ، وقيمها ومقاصدها ، وقيامها بتحقيق [illegible] شريعة حركت [illegible] مشروعيتها في كل [illegible] شرع [illegible] فقهية [illegible] فقه حكمه شريعة من أجل [illegible] فقهاء [illegible] في [illegible] فيه قد [illegible] ، [illegible] القديم الذي كان سائدا في عصر الأصيلة التي [illegible] ، والذي وضعه [illegible] وفي حكمه [٥٦٢ ـ ٦٢٤ هـ ١٦٧ ـ ١٢٢٧ م] فالحكم [illegible] لأجل ، تغريب عن طبيعة الأمة ، على شريعة حضارية وجهد ، تغيير عن غربة عديدة عن حضارة الأمة ، وشاهدا على انحلال في مثل مرجع والتخلف لازدهارها حضارى

[illegible] العصر المقريزي [٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ ١٣٦٥ ـ ١٤٤١ م] تتبع [illegible]

على ملابسات هذا [illegible] ، فيقول [illegible] جنكزخان قرر قواعد وعقوبات اثبتها في كتاب سماه «ياسة» [illegible] جعله شريعة لقومه [illegible] فالتزموه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن» فلما حكم الترك المماليك البلاد «جمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد إلى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية ، من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية [illegible] واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكزخان والاقتداء بحكم الياسة ، فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم على مقتضى الياسة ، وجعلوا إليه ، مع ذلك ، النظر في قضايا الدواوين السلطانية »[٢٤] !

صحيح أن هؤلاء الترك المماليك قد أسلموا [illegible] وبعبارة المقريزي فهم «قد [illegible] الإسلام ، [illegible] وعرفوا أحكام الملة المحمدية ، [illegible] وفقه [illegible] الإسلام [illegible] في [illegible] في [illegible] وطبقات [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] الاستعمار الغربي الحديث في [illegible] [illegible] !

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الهوة تتسع بين «القانون الإسلامي ـ فقه المعاملات ـ وبين واقع المسلمين» فصمور طاقات الاجتهاد قد تطور منحدرا إلى ما عرف بـ «إغلاق باب الاجتهاد» وعزل القانون الإسلامي عن [illegible]

---

(٢٤) [الخطط] جـ٣ ص [illegible] ٩ ، ٦٣ طبعة القاهرة دار التحرير

على جهاز الدولة وحكامها وجيشها قد أعجزه عن مجاراة الواقع ـ المتطور دائما ـ فجمدت الأحكام. وتطور الواقع بعيد عن سلطان هذه الأحكام. وقنع فقهاء السلاطين بالتبرير لما حدث ويحدث. وقنع فقهاء العامة بالتفصيل في فقه العبادات. وذلك هو السر وراء الغنى الزائد عن الحد في «فقه العبادات». والفقر المخل في «فقه المعاملات». فالأول قد استمر حيا متطورا لدواعي الممارسة والاستعمال. أما الثاني فلقد جمد وتحجر عندما عزل عن ميدان الواقع. فذبلت مباحثه وأصابه جفاف شديد. وعدونا، عندما تلمسنا طريقنا إلى اليقظة والنهضة، ندرك أكثر فأكثر فداحة الخطب والحرم الذي صنعه بشريعتنا ـ وهي القانون الطبيعي للأمة ـ هؤلاء الترك المماليك!

وفيما يتعلق بالظلم الاقتصادي والاجتماعي للرعية

لقد أحرز المماليك أعظم الانتصارات على الجبهة العسكرية. وكانوا فرسان الشرق المهرة في ميادين القتال لعدة قرون. ولولاهم لتغير وجه العالم والتاريخ. فهم في عين جالوت [سنة ٦٥٨ هـ سنة ١٢٦٠ م] الذين أنقذوا الشرق وحضارته من مصير الدامي والمرعب الذي لقيته بغداد على يد جحافل الهمج التتار [سنة ٦٥٦ هـ سنة ١٢٥٨ م] ونسائهم في التصدي للغزوة الصليبية هي التي أنقذت بلادنا من مصير المستعمرات الاستيطانية اللاتينية الذي خططت له الكنيسة الكاثوليكية الأوربية. ومولت تنفيذه المدن التجارية الأوربية، وانخرطت في الجيوش لتحقيقه الجماهير الأوربية الغوغائية المتعصبة

تحت قيادة فرسان الإقطاع الصليبي

تلك صفحة ناصعة – على جبهة الحرب – في تاريخنا الإسلامي – لفرسان المماليك

وتقدم [illegible] كتب هذا [illegible] عقب [illegible] في سنة [illegible] بل [illegible] ١٧

[illegible] الصليبيون إذا دخلوا بلدا من بلاد الإسلام حولوا أرضه إلى "الإقطاع" لجنودهم وقادة هؤلاء الجنود [illegible] كانت تلك [illegible] من [illegible] والأمراء [illegible] في بلادهم [illegible] دون [illegible] من [illegible] والملوك. فهم [illegible] فرسان من [illegible] الصليبيين – في هذا الميدان – [illegible] احتلاله. فلما [illegible] أرضها لجنودهم وقادة هؤلاء الأجناد [illegible] الفلاحين [illegible] وكيف [illegible] هؤلاء الفلاحين [illegible] في [illegible] الإقطاع [illegible] على [illegible] الأرض [illegible]

[illegible] المؤرخ أبو شامة [٥٩٩ – ٦٦٥ هـ ١٢٠٢ – ١٢٦٧ م] أن [illegible] [سنة ٥٦٤ هـ سنة ١١٦٨ م] عن [illegible] الصليبيين [illegible] إقطاع على جنودهم [illegible] تحركوا فيها لهذا الغرض في [illegible] وأمره بإقطاع بلاد مصر لجنده [illegible] وكان لعنه الله [illegible]

مصر ... قد قام من أصحابه من كتب له أسماء قواد ... ويعرف له ... [دخلها] ... (٢٥) ...

... شيركوه [٥٦٤ هـ ١١٦٩] ... أقطع بلاد مصر ... كما يقول مؤرخ أبو شامة أيضا ... (٢٦)

وصارت سنة من سنن دولة العسكر ... الأرض الزراعية ... الفلاح ... وعن هذه السنة السيئة ، التي مثلت المصدر الأول للبؤس الاجتماعي والظلم الاقتصادي ... بالأوبئة والمجاعات ... مؤرخ ... وأعلم أنه لم يكن في الدولة الفاطمية ، ولا فيما مضى قبلها من دول العساكر لبلاد إقطاعات ... ما عليه الحال اليوم في أجناد الدولة التركية ... وإنما كانت البلاد تضمن لقبالات معروفة لمن شاء ـ [نظام الالتزام] ـ ولم يعرف ما يسمى اليوم بالفلاحة ، والذي يسمى فيه المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا ـ [أي مربوط بالأرض مقيد إليها] ـ فيصير عبدا قنا من أقطع تلك الناحية ... إلا أنه لا يباع ولا يعتق ... بل هو قن ما بقي ... ومن ولد له كذلك ... حدث ذلك عندما تغير الرسم ... وفرقت الأرض إقطاعات على الجند » (٢٧)

---

(٢٥) [كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية] جـ١ ص ٤٣٠ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢ م

(٢٦) ... ص ٢

(٢٧) [الخطط] جـ١ ص ١٥٧ ، ٥٣

لقد أقطع مماليك الأرض، وحولوها إلى إقطاع حربي لأجنادهم وأمرائهم. واستمر هذا الإقطاع الحربي سنة متبعة في استغلال الأرض الزراعية ـ وهي الثروة الأولى في ذلك العصر ـ حتى [illegible] روث [illegible] [illegible] مسح الأرض ـ فك الزمام] [illegible] في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون [٦٨٤ ـ ٧٤١ هـ ١٢٨٥ ـ ١٣٤١ م] في [سنة ٧١٦ هـ سنة ١٣١٦ م] تقسم الأرض إلى أربعة وعشرين قيراطا [illegible] وهو مملوك ـ أربعة وللأجناد ـ وهم مماليك ـ عشرة وللدولة ـ وهي مملوكة ـ عشرة ولا شيء للفلاح[٢٨] !!

وكم أفقدوا الأرض من [illegible] وتضحيتهم. فلقد أفقدوا ما على هذه الأرض من فكر وحضارة عطلت تقاوم وتبث أشعة التقدم والاستنارة لكل الاتجاهات [illegible] لكن [illegible] كان [illegible] والنهر كان [illegible] فلقد أصبت قسمة [illegible] التي ميزت إسلامنا وحضارتنا [illegible] الإقطاع الحربي ! الصميم !

وفيما يتعلق بالعروبة الحضارية :

كانت [illegible] الدولة [illegible] في دول [illegible] وكانت في الدولة العثمانية ثغرة وحاجز [illegible] بين الحكام وجمهور الأمة في اللغة [illegible] هي في حال [illegible] العربية أكثر من [illegible]

---

(٢٨) القلقشندي [صبح الأعشى] جـ٣ ص٣٢ [illegible] طبعة دار الكتب [illegible] محمد [illegible] النقطة القومية] ص ١٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م.

فهي لغة القرآن والشريعة والسنة، وقسمة من [illegible] في [illegible]
العربية الإسلامية

ولقد أصابت العربية من تأثيرات التراجع الحضاري في ظل دول العسكر
[illegible] أمراض كثيرة، فهي أداة الإبداع [illegible]
[illegible] الإحاطة التي [illegible]
العربية لغة الحضارة، في مختلف [illegible] وعلومها وفنونها [illegible]
[illegible] «الركاكة» وعرفت في «الشكل السطحي» [illegible]
[illegible] هذا الشكل السطحي [illegible]
[illegible] كثير من [illegible] في ذلك الحين [illegible]
العربية [illegible] لكن [illegible]
[illegible] الحياة الفكرية والإبداع العقلي [illegible] والأداة العربية [illegible]
[illegible] المضامين والأغراض [illegible] في أشعار ذلك العصر شواهد كثيرة على هذا
الذي نقول

ولقد كانت [illegible] العربية في ظل الدولة العثمانية [illegible]
[illegible] الركاكة [illegible]
[illegible] للأمة العربية [illegible] الركاكة [illegible]
[illegible] من العربية [illegible]
[illegible] الدولة [illegible]
[illegible] الدولة [illegible]
[illegible] العربية فقط [illegible] في
الولايات العربية التي حكمها العثمانيون [illegible] في ظل

ما عرف بمحاولة الأتراك وتتريك العرب ؟ ـ تعدى الأمر وتصاعد إلى حد إزاحة التركية للعربية من مدارس المشرق العربي ، حتى عد تعلم أبناء العرب للغتهم العربية في المدارس مطلبا يناضل في سبيله الأحزاب والجمعيات ، وقضية تناقش في المؤتمرات[29] ؟

صحيح أن من العثمانيين علماء عربوا وبرعوا في العربية ، وسلاطين ـ كمحمد الفاتح [٨٣٣ ـ ٨٨٦ هـ ١٤٣٠ ـ ١٤٨١ م] ـ كان من رأيهم أن يتعرب الأتراك العثمانيون حتى يندمجوا في « الأمة الأم » ـ الأمة العربية ـ فيسلحوا بأدواتها الحضارية ، ويشرفوا بشرفها النابع من ذواتها الخاص في حياة الإسلام ، لكن هذا الشأن لم يكن بعيدا ولا مؤثرا ، وهذا الرأي لم يقدر له الانتصار ، فظل الأتراك العثمانيون على عجمتهم ومغايرتهم العرب لغويا وقادتهم التطورات إلى أن شنوا الحرب على العربية ، وتوهموا ـ بسفاهتهم ـ إمكانية تتريك العرب وتحويلهم عن لغة القرآن ؟

لقد كانت مأساة حدثت في موقف الأتراك العثمانيين من العربية ، وعن هذه المأساة حدث فأجاد جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م] عندما قال : « لقد أهمل الأتراك أمرا عظيما ، وهو اتخاذ اللسان العربي لسانا للدولة ، ولو أن الدولة العثمانية اتخذت اللسان العربي لسانا رسميا ، وسعت لتعريب الأتراك ، لكانت في أمنع قوة ، إنها لو تعربت لانتفت بين الأمتين ـ [العربية والتركية] ـ النعرة القومية ، وزال داعي النفور والانقسام ، وصاروا أمة عربية ، بكل ما في اللسان من معنى ، وفي الدين

---

(٢٩) انظر [وثائق المؤتمر العربي الأول] ـ الذي عقد بباريس سنة ١٩١٣ م ـ ص ١١٥ ، ١١٦ ، تقديم ودراسة د. وجيه كوثراني ، طبعة [illegible] سنة ١٩٨٠ م

الاسلامي من عدن . وفي سيرة أفضل العرب من اخلاق . وفي مكارمهم من عادات . كيف يعقل تبريك العرب ؟! وقد سارت الأعاجم في الاستعراب وتسابقت ؟! وكان اللسان العربي لغير المسلمين ، ولم يزل من أعز الجامعات وأكبر المفاخر . فالأمة العربية هي « عرب قبل كل دين ومذهب[٣٠] » .

لكن إذا كانت العربية قد أصابها ما أصابها من ركاكة وتوقف عن التطور وملاحقة الجديد في الفكر ومصطلحات العلوم ، مثلها في ذلك مثل الأعضاء التي تكف عن الحركة الحيوية فتصيبها الضعف والضمور ، فإن هذا الذي أصابها قد ظل في نطاق الأعضاء ، وبعيدا عن القلب النابض بمصدر الحياة ! ذلك أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم ، وارتباط العروبة بالإسلام ، قد جعل من هذه القسمة هوية ثابتة وخصيصة لهذه الأمة تستعصي على الزوال . فحيثما كان القرآن يبقى كانت العربية تحيا . وعلى امتداد وطن الأمة صمدت المؤسسات العريقة والمنارات الصامدة من الأزهر إلى الزيتونة إلى القرويين إلى الجامع الأموي ... الخ ... اختصت بشعلة ، وحافظت عليها ، فلم تستطع إطفاءها الرياح التي هبت في ظل عسكرة الدولة وتأثيراتها السلبية على قسمات الحضارة العربية الإسلامية .

---

(٣٠) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ٢٢٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م

وفيما يتعلق بعلاقة الفقهاء بالسلاطين

في بداية تطور الفكر السياسي الإسلامي اختصر هذه الأمة . وعندما كانت هذه الفكرة بسيطة ساذجة تتمشى مع حرية العربية . كان مفهوم الأمة هو « القرية » . قرية بمثل فكرة وخصائصه . ومع نشأة العلوم والفنون وتعقد الحياة الفكرية تعقدت المشكلات وتشابكت فتضايقت المساحة وازداد البحث الفكرية في البلاد التي فتحها العرب مسلمون ، عرفت هذه الفكرية « الفقهاء » و « المتكلمين » و « المحدثين » و « المفسرين » و « المؤرخين » و « علماء الطبيعة وجواهرها » و « الفلاسفة » ، مع ابتداع الفنون ، شعر ، ونثرا ، وموسيقى الخ ... وكانت موسوعة هي طابع العصر ، فكان العالم الواحد يجمع العديد من هذه العلوم والفنون . وكانت علوم الشريعة في المقدمة . يشرفها تتبع من جمعها بين مئونة بين وبدن . وبذلك كان « الفقهاء » هم الزهاد والمتقون « لأمة في ذلك الترتيب

وقبل عسكرة الدولة وتعسفها كان استقلال الفقهاء عن سلطة الدولة أمرا عاديا ومتجاوزا وقصة العلاقة بين الإمام مالك [٩٣ـ١٧٩ هـ ٧١٢ـ٧٩٥م] والإمام أبو حنيفة [٨٠ـ١٥٠ هـ ٦٩٩ـ٧٦٧م] والإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ـ٢٤١ هـ ٧٨٠ـ٨٥٥م] وبين الدولة العباسية تتوضح ومثل هذه الصفة التي عبرت موقف الأغلبية الساحقة من فقهاء الأمة ، تتضح بتواضع ، واستقلالية الأمة سند على سعة المحتوى ، والإباء ... تحدث عن مدح الحسن البصري [٢١ـ١١٠ هـ ٦٤٢ـ٧٢٨م] ووصل من عصره [٨٠ـ ١٣١ هـ ٧٠٠ـ٧٤٨م] وعمرو بن عبيد [٨٠ ـ ١٤٤ هـ ٦٩٩ ـ ٧٦١م] وجعفر الصادق [٨٠ ـ ١٤٨ هـ ٦٩٩ـ٧٦٥م] و ... عن

[٧٩ ـ ١٢٢ هـ ٦٩٨ ـ ٧٤٠ م] من الفقهاء والرواة والمتكلمين الزاهدين المجاهدين الثوار

تلك سمة غلبت على الحياة الفكرية للأمة ـ سمة استقلالية الفكر والمفكر ـ وهي قد لعبت دورها العظيم في تنمية ملكات الخلق والإبداع ، ونمت ، هي أيضا ، عندما ارتوت من نبع هذا الخلق والإبداع ، فالحرية تثري الفكر ، والفكر الحر يزيد عود الحرية قوة وعزما !

لكن عسكرة الدولة والمجتمع ، وقد أصابت الإبداع الفكري في الصميم ، نراها قد قللت من شأن العلم والفكر ، ومن ثم من شأن المفكرين والعلماء ، فلم تعد الإمامة لمن بلغ في العلم مرتبة الاجتهاد ، وإنما غدت السلطة لمن غلب ؟! وعندما ماتت الكفة لحساب « القوة » على حساب « العقل » ، تبدلت مؤهلات « الصفوة » ، فغدت الفروسية والمكر والدهاء وقهر الخصوم هي سبل الوصول إلى السلطة والدولة ، وهي الموازين التي تزن بها الدولة من تقربهم من الرجال

وحدث أن اهتم العسكر بالتراث كعادتهم ـ بشكل التدين أكثر من اهتمامهم بجوهره ، فهم لا يستطيعون غيره ، وهو أكثر جدا برضا العامة ؟! ففي الوقت الذي عزوا فيه الشريعة عن أن تكون قانون الدولة وحكامها ، تراهم يستبدلون الفخامة المترفة بالبساطة في إقامة المساجد وما ألحق بها من المدارس ، فتحول المسجد إلى مؤسسة ضخمة لا قبل للفقراء بإقامتها مستقلين ، فأقامتها الدولة ، بواسطة السلاطين والأمراء ، وأوقفت عليها الأوقاف الدارة ، بعد أن انتزعت أرضها من ملاكها وفلاحيها ، وغدا الفقهاء الذين يعلمون تلاميذهم في هذه المؤسسات التي أقامتها وتنفق عليها الدولة ، غدوا « موظفين » لدى دولة العسكر المماليك ، فغلبت سمة التبعية للدولة على كثير من الفقهاء ، للمرة الأولى في

تاريخ أمتنا الحضاري. وكان ذلك تحولا سلبيا أصاب حياتنا الفكرية والسياسية في الصميم!

ففريق من الفقهاء أبطأتهم السعية الاقتصادية بالدولة، فعضوا الطرف عن تجاوزاتها، ووقفوا إزاء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أضعف الإيمان؟!

وفريق قادته هذه السعية الاقتصادية إلى «التبرير» [illegible] التي تقترفها الدولة ضد الرعية. ورحم الله من قال: «من يأكل عيش الكافر يحارب بسيفه»؟ [illegible] «يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»؟!

بل لقد ألجأت المخاطر الخارجية المحدقة بالوطن والأمة والحضارة [illegible] بعض من الفقهاء المجتهدين المجاهدين إلى أن يغضوا الطرف عن تجاوزات الدولة وانحرافات الأمراء والسلاطين. إيمانا منهم بأن الخطر الخارجي هو الأعظم، وأن مجاهدة الدولة ـ مع ظلمها ـ لن يفيد ـ في ذلك الظرف العصيب ـ سوى العدو الخارجي الذي يهدد الأمة وحضارتها بالفناء. فرأينا مجتهدا مجاهدا مثل ابن تيمية [٦٦ ـ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م] [illegible] العقيدية تقف مع الدولة المملوكية، تنصرها وتناصرها، وتجمع لنصرتها الأعوان والإمكانات، بل وتطوع الأحاديث النبوية [illegible] كي تشهد بأن المماليك هم الفئة المنصورة التي تنبأ بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم [illegible] الإسلام وحضارته [illegible] هذه الدولة وانتصارها على [illegible] فلقد كانت الأمة في «حالة حرب ضروس» [illegible] الموحشين إلا [illegible] والضرورات

[illegible] قد أجازوا إمامة المفضول [illegible] إذا كان أفضل سياسة وأقدر على مواجهة [illegible] ثم إنه ـ ابن تيمية ـ على مذهب شيخه الإمام أحمد بن [illegible]

[illegible] ابن تيمية عن مناهضة [illegible] الخروج على الأئمة وقتالهم [illegible] ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى [٣٢].

وهو كما ترى موقف من موقف «السياسة» الإسلامية [illegible] بما نسميه في اصطلاحاتنا المعاصرة [illegible] لأمة [illegible] لأنه هو «[illegible]» على نحو [illegible] لأمة مع دولتها الظالمة، فقد كان [illegible]

---

٣١ [illegible] ٩٢٩

٣٢ [illegible]

[illegible]

في [illegible] وهذا

[illegible] مع [illegible] لأمر [illegible]

[illegible]

مات الرجل في سجن [illegible] !؟ [illegible]

بالعنف والثورة والقتال . لا [illegible] أو [illegible]

[illegible]

في [illegible]

[illegible]

والعسكري والحضاري [illegible] عندما [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وهم [illegible] حتى ذكروا [illegible] أرسطو

[illegible] هؤلاء [[illegible]] ! [illegible]

[illegible]

لله ، وأهل [illegible]

[illegible] ، في هذا الموقف [illegible]

[تونس] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولو استولى التتار على هذه البلاد لكان

[illegible]

[illegible] على أهل المغرب [illegible] فهذه وغيرها مما يبين أن هذه العصابة
-[عسكر المماليك]- التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة
الإسلام وعزهم عز الإسلام فلو استولى عليهم التتر لم يبق للإسلام عز ولا
كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه [illegible] فهم
-[المماليك]- من أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة التي ذكرها
النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله في الأحاديث المستفيضة عنه "لا تزال
طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى
تقوم الساعة" [33] وثبت عنه في الصحيح أنه قال "لا يزال أهل
الغرب ظاهرين" [34] والنبي تكلم بهذا الكلام وهو بالمدينة النبوية، فما يغرب
عنها فهو غرب، كالشام ومصر" [35].

[illegible]

---

٣٣ [illegible]

٣٤ [illegible] مسلم

٣٥ [illegible]

[illegible]

[illegible] ضوء هذه الظروف والملابسات

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وأصابت تصورات العامة وعقائدهم الكثير من [illegible] حتى [illegible] والأموات [illegible] وتشفع لهم وتقضي لهم [illegible] وبدلا من [illegible] حكمة [illegible] ومجامع الإبداع والترجمة ومدارس الفقهاء ومذاهب المتكلمين [illegible] المدن والحواضر بالتكايا والخوانق [illegible] مشايخ الطرق الصوفية [illegible] لا علاقة لهم بحقيقة التصوف [illegible] أو فلسفيا [illegible] أعلام العصر [illegible] الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة [illegible] في علوم الطبيعة وأسرارها

[illegible] الحضاري [illegible] مظاهر وظواهر هذا [illegible] الذي أصاب حضارتنا العربية الإسلامية [illegible]

* * *

[illegible] شهادة على صدق هذا [illegible] الكثير مما سطره أئمة النهضة الإسلامية الحديثة في هذا الموضوع

● [illegible] الشيخ محمد عبده (٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥) [illegible] عقلانية حضارتنا وعروبتها [illegible] كان الإسلام دينا عربيا [illegible] لحقه العلم فصار علما عربيا، بعد أن كان يونانيا [illegible] حتى سيطر الترك والديلم وغيرهم [illegible] ممن لم يكن لهم ذلك العقل الذي رضيه الإسلام، والقلب الذي هديه الدين [illegible] جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم فلبسوا ثوبه على أبدانهم، ولم ينفذ منه شيء إلى وجدانهم، فمالوا على العلم وصديقه الإسلام ميلهم [illegible]

العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة ، وحملوا كثيرا من أعوانهم على أن يندرجوا في سلك العلماء ، وأن يتسربلوا بسرابيلهم ، ليعدوا من قبيلهم . ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبغض إليهم العلم ، ويبعد بنفوسهم عن طلبه ، ودخلوا عليهم – وهم أعزاز – من باب التقوى وحماية الدين ، زعموا الدين ناقصا ليكملوه أو مريضا ليعللوه ، أو متداعيا ليدعموه ، أو يكاد ينقض ليقيموه

نظروا إلى ما كانوا عليه من فحفحة الوثنية وفي عبادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للإسلام ما هو براء منه ، لكنهم نجحوا في إقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شعائره ، وتفخيم أوامره ، والغوغاء عون الغاشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة وأركس[٣٦] الناس في الضلالة ، وقرروا أن المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم ، وجعلوا ذلك عقيدة ، حتى تقف الفكر ، وتجمد العقول ، ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الإسلامية ، ينشرون من القصص والأخبار والآراء ما يقنع العامة بأن لا نظر لهم في الشئون العامة ، وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ، ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه ، وأن ما يظهر من فساد الأعمال واختلال الأحوال ، ليس من صنع الحكام ، وإنما هو تحقيق لما ورد في الأخبار من أحوال آخر الزمان ، وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل ، وأن الأسلم تفويض ذلك إلى الله ، وما على المسلم إلا أن يقتصر على خاصة نفسه ، ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك ، وفي الموضوعات

---

٣٦ أي أعادهم إلى حالتهم الأولى في الضلالة قبل أن يهتدوا

والضعاف[37] ما شد أزرهم في بث هذه الأوهام

وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضللين ، وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف . واتخذوا من عقيدة القدر مثبطا للعزائم وعلا للأيدي عن العمل . والعامل الأقوى في حمل النفوس على قبول الخرافات إنما هو السذاجة . وضعف البصيرة في الدين . وموافقة الهوى ـ أمور إذا اجتمعت أهلكت ـ فاستتر الحق تحت ظلام الباطل . ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يتضارب وأصول دينهم ويباينها على خط مستقيم

هذه السياسة ـ سياسة الظلمة وأهل الأثرة ـ هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه ، وسلبت من المسلم أملا كان يخترق به أطباق السموات ، وأخلدت به إلى يأس يجاور به العجماوات !

فحل ما تراه الآن مما تسميه العامة إسلاما فهو ليس بإسلام ، وإنما حفظ من أعمال الإسلام صورة الصلاة والصوم والحج ، ومن الأقوال قليلا منها حرفت عن معانيها ، ووصل الناس ـ بما عرض لدينهم من البدع والخرافات ـ إلى الجمود الذي ذكرته ، وعدوه دينا ، نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله وعلى دينه . هناك استعجم الإسلام وانقلب عجميا[38] »

هكذا صور الإمام محمد عبده الانقلاب الحضاري الذي صنعه الله المماليك ، وهو الانقلاب الذي جعل الإسلام « عجميا »[39]

---

(٣٧) أي الأحاديث الموضوعة المكذوبة والضعيفة الإسناد

(٣٨) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٣ ص ٣١٧ـ٣١٩ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م

● والإمام الشهيد الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م] - هو الآخر - يلقي شهادته في هذه القضية ، فيقول : « إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيا ، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ! وقد جاء في الأثر : « إذا ذل العرب ذل الإسلام » ! وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى أيدي غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ... فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه ... ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها .. [٣٩] » !

تلكم شهادتان ... إن كان الأمر لا يزال بحاجة إلى إثبات بعد هذا ... قدمناه ؟

* * *

لقد حققت دول العسكر المماليك لأمتنا نصرا مؤزرا ضد التتار وضد أطول وأبشع غزوات العصور الوسطى ، الغزوة الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] لكنها على الجبهة الحضارية ، أصابتنا بالتراجع والهزيمة والجمود ... ولقد حدث وتزامنت هذه المفارقة مع نهضة الغرب الأوربي الذي اكتشف من خلال صراعه المسلح معنا تراثه اليوناني ، فأضاف إليه إبداع حضارتنا في المنهج التجريبي ، وإضافاتها في العلوم الطبيعية ، فبنى عليهما نهضته الحديثة العملاقة ... فكان أن انتصر المهزوم عسكريا في الميدان

---

(٣٩) [illegible] [الخامس] ص ٤٦ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م

الحضارى ، وانهزم المنتصر عسكريا فى هذا الميدان (٤٠) وشهد التاريخ كيف تبادلنا المواقع الحضارية ـ من حيث النهضة والتراجع ـ مع الغرب الأوربى فلقد كنا سادة العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، وكان يعيش جهل المطلع وعندما أهدى هارون الرشيد [١٤٩ ـ ١٩٣ هـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩ م] ساعة [illegible] إلى ملكهم شرلمان [٧٤٢ ـ ٨١٤ م] فأحضر [illegible] مفكرى العرب يومئذ [illegible] [illegible] (٤١) حدث ذلك على عهد الرشيد [illegible]

[illegible] شيوخ الأزهر [illegible] مقر بعثة [illegible] الفرنسية على مصر [١٢١٣ ـ ١٢١٦ هـ ١٧٩٨ ـ ٨٠١ م] [illegible] ساعة الرشيد فى بلاط شرلمان ؟ [illegible] تحدث الجبرتى عن علم الفرنسيين هذا فقال : « وهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ، تنتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا » [٤٢] (٤٠)

والأزهر ، الذى كان يدرس طلابه علم الفلك ، ويشتغل [illegible] عندما كانت الكنيسة الأوربية تحاكم جاليليو [١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ م] [illegible] مع الغرب المواقع [illegible] الفلكية [illegible] حتى [illegible] [١١٦٧ ـ ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢ م] ذلك الحوار الذى دار بين الوالى التركى على مصر سنة ١١٦٢ هـ ١٧٤٩ م [illegible] شيخ الأزهر [illegible]

---

(٤٠) [عجائب الآثار] جـ٣ ص ٣٧

[١٠٩٢ - ٧٠ هـ ١٦٨ - ٧٥١ م] حول مكان علم الفلك [illegible] من المهتمين [illegible] في مناهج الأزهر [illegible] وهو حوار شاهد على [illegible] الموقع مع [illegible] في الاهتمام بهذه العلوم [illegible] الحضارية

الوالي [illegible] [illegible] [illegible] وكنت في [illegible] [illegible] كما قيل [illegible] [illegible]

شيخ الأزهر [illegible]

الوالي [illegible] وقد [illegible] [illegible] وعليه تخصيصكم [illegible] والمعقول، والوسائل وبدتم المقاصد!!

شيخ الأزهر [illegible] [illegible] وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة إلى علم الفرائض والمواريث!

الوالي وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية، بل هو من [illegible] صحة العبادة، كالعلم بدخول الوقت، واستقبال [illegible] وأوقات الصوم والأهلّة، وغير ذلك

شيخ الأزهر [illegible] معرفة ذلك من فروض [illegible] [illegible] وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كرقة الطبيعة، وحسن

الوضع - والخط - والرسم والتشكيل - والأمور العطاردية -
وأهل الأزهر بخلاف ذلك - غالبهم فقراء - وأخلاط مجتمعة
من القرى والأقاليم فيسر فيهم التضايق لدنيا ...

لقد كانت حال الأزهر - أعظم مدارس العلم في أمة ومنبعه - وما هو
حصن من العلوم في بعض بلاد المغرب وتونس - ثم خرج للاستكشاف والاستعلام
والهيمنة والاحتواء ؟

وبعد حركة قلة شاذة - قضت لأندلس بعد صمود عرقوه [سنة
٨٩٧ هـ سنة ١٤٩٢ م] - وكشف المغرب طريق رأس الرجاء الصالح [سنة
٩٠٣ هـ سنة ١٤٩٧ م] فانتفض من حول الأرض العربية ؛ ليحتل بلاد الإسلام
في شبه القارة الهندية وشرق أفريقيا تمهيدا للاقتناص على الشاطئ الغربي من
مرفأ عدن - مصر - حملة ونابليون [١٧٦٩ - ١٨٢١ م] في [سنة ١٢١٣ هـ
سنة ١٧٩٨ م] - والجزائر في [سنة ١٩٤٦ هـ سنة ١٨٣٠ م] - وعدن في
[سنة ١٢٥٤ هـ سنة ١٨٣٨ م] - ثم الاحتلال الإنجليزي لمصر [سنة
١٢٩٩ هـ سنة ١٨٨٢ م] - وفرنسي لتونس [سنة ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م]
- وإيطالي لليبيا [سنة ١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١ م] - وفرنسي لمراكش [سنة
١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ م] - ثم عمت سنوات عديدة تحصنت خلف جنبيه
أولى [١٣٣٢ - ١٣٣٧ هـ ١٩١٤ - ١٩١٨ م] على كيان هيمنة غربية على
كل وطن العروبة وعالم الإسلام !! - فوصل مستعمرون وعنهم في قلب بلاد
الصين بلادنا وسحت خيوطه شركة حضارية في صميم عسكرة بلادنا
والتحم في كل دول معجمة في بلادنا بمزيد بحث - قد تحجو عسكري -

---

[١] عبد الله العلايلي [مرجع الأحمدي] عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الله

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] كي التعليم [illegible] في مائة وخمسين وعشر [illegible] مدرسة [illegible]

[سنة ٥٦٦ هـ سنة ١١٧٠ م] [illegible]

٨٨ [illegible] سنة ٤١١ [illegible] محمد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] من [illegible] المستوى [illegible] هذه الأمة وحضارتها

[illegible] الحضارة العربية ، مركز التحديات

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] ، لم يكن ، إذا ما قيست [illegible] في [illegible]

[illegible] العربية [illegible]

[illegible] من [illegible] الصراع [illegible]

[illegible] عالم الإسلام

و[illegible] هو [illegible] كان [illegible] على [illegible]

الاستعمارية العربية الحديثة . و[illegible]

لأمة [illegible]

---

٤٢ ، [illegible] مدارس مصر [illegible] التي كانت مدارس للعلم [illegible]

[illegible] الأمين [illegible] ص ٢ — ٣٢ [illegible] القاهرة سنة ١٩١٧ .

[illegible] الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية ويجاهد لاحتواء عقلها بفكرته التغريب

وثانيهما : أن الدولة العثمانية [٦٩٩ - ١٣٤٢ هـ ١٢٩٩ - ١٩٢٤ م] قد [illegible] والتف العرب حول وطنها بعد اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح [سنة ٩٠٣ هـ سنة ١٤٩٧ م] [illegible] العثمانيون في نقل المعركة إلى قلب أوربا ، فمدوا حدود عالم الإسلام ، [illegible] موقع الهجوم عندما عجزت الدولة المملوكية عن [illegible] العثمانيون في توحيد أغلب بقاع العالم الإسلامي في إطار الإمبراطورية العثمانية ، فمدوا في عمر الوحدة الإسلامية ، واستثمروا قوتها في تأخير الاجتياح الأوربي لعالم الإسلام بعدة قرون

لكن هذا الإنجاز العثماني ، على أهميته الكبرى ، لم يكن على مستوى الخطر القادم من الغرب ، المزاحف بأسلحة النهضة الأوربية وعلومها . فبداوة العثمانيين التي صبغت دولتهم بالصبغة العسكرية ، قد جعلت منهم قوة عسكرية ضاربة لا تستند إلى إبداع حضاري ينمي العمران ويمدن الحياة في البلاد التي تفتحها الجيوش . وهم لذلك كانوا تجديدا « للقوة » التي ضعفت في دول العسكر المملوكية ، ولم يكونوا تجديدا « للحضارة » العربية الإسلامية

[illegible] من « الزاد الحضاري » اللازم لعمران البلاد المفتوحة [illegible]

حتى [illegible] من [illegible] العربية الإسلامية [illegible] العرب ، فوقفوا ـ كالترك المماليك ـ في كثير من الأحيان [illegible] الإسلام [illegible] الإبداع الحضاري الإسلامي [illegible] عربية هوية والمزاج !

[illegible] العربية الإسلامية ، خلال الحقبة العثمانية [illegible] الصعود

[illegible] ضعف الدولة العثمانية ، [illegible] الضعف خلل الإدارة ، وفوضى الجند ، [illegible] هناك الإبداع الحضاري [illegible] العسكري العثماني [illegible] على الإصلاح !

وحتى عندما فكرت في الإصلاح ، [illegible] الموجة للتعرب وتحديد الحضارة العربية الإسلامية ، وتأسيس إصلاحها على [illegible] [١٢٠٣ـ١٢٢٢ هـ ١٧٨٩ ـ ٨٠٧ م] [illegible] على [illegible] العنصري للقومية ، فكانت محاولاتها الخرقاء [illegible] عشر الميلادي [illegible] الصعود [illegible] حركة [illegible]

المعادية للعرب والعروبة. الأمر الذي أتاح الفرصة لبروز فكر قومي عربي معاكس، شحنته قوى مواتية للعرب بالعداء للرابطة العثمانية، والفصل بين العروبة والإسلام.

تلك هي «الثغرة القاتلة» التي أعجزت الدولة العثمانية عن تجديد الحضارة العربية الإسلامية، والتي تقف بها عند حدود «تجديد» القوة الضاربة لدول العسكر المماليك التي سبقتها. ولذلك عجز العثمانيون عن تجديد شباب قوتهم عندما دب فيها الضعف، فتبدل صمودهم أمام الغرب خضوعاً وتسليماً. فتسللت أوربا أولاً بالامتيازات إلى ولايات الدولة العثمانية[43]، ثم أخذت تقتطع الأجزاء تلو الأجزاء من هذه الدولة. وطلب تحرس ضعف «الرجل المريض»، ترتيباً لأوراق تنافسها الاستعماري على تركته، وحسباً للطرف المناسب للإجهاز عليه، حتى كانت الحرب العالمية الأولى، فأجهزت على «رمز» الخلافة الإسلامية و«وعاء» وحدة عالم الإسلام، وقسمت أشلاءه بين دولها الاستعمارية. وذلك حتى لا تظل «الرمز» و«الوعاء» العربيان، وأداة اليقظة الإسلامية بتحويل «الرمز» إلى «حقيقة فاعلة»، وملء «الوعاء» بما يصلح شأن المسلمين ويجدد شباب حضارة الإسلام.

فلا الومضات التي ظلت تبعث الضوء في أماكن متفرقة وميادين متناثرة من عالم الإسلام.

ولا القوة الضاربة للدولة العثمانية، قد استطاعت الحيلولة بين التراجع الحضاري وبين النهاية المأساوية التي انتهت إليها الأمور. وصدق جمال الدين

---

43 انظر كتابنا «فجر اليقظة القومية» ص ٢٨٧ - ٢٨٩، طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م.

الأفغاني عندما [illegible] حتى وقدرا مقدورا [illegible] فقد قال

«إن مبدأ تدهور ممالك المسلمين في الشرق كان من شاهق عظيم ولا يمكن للحكيم الوقوف في سبيل سقوطه وهو في وسط الانحدار وتقربه من نقطة المركز

ذلك الشاهق العظيم شاهق حكمة الدين [illegible] وإذا كان انحطاط الأمم مرضا، وله سير معلوم فيتعذر على الطبيب الحاذق توقيف السير بل غاية ما يمكنه الإتيان بالملطفات والمسكنات، حتى ينتهي السير، ويبل العليل، ويدخل في دور النقاهة نعم لو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع ولا ضعف قوي، ولا انهدم مجد، ولا تقوض سلطان [illegible]»

[illegible] الأفغاني ص ٢٤١ ، ٢٤٢

اليقظة الإسلامية

١ - البدايات .. والتحديات

لكن [illegible] العربية الإسلامية بالموات ، بل إن المرء يتردد كثيرا في وصف ما أصاب هذه الحضارة ، يومئذ ، بمصطلح « الانحطاط » !

فحيوية الإسلام ، [illegible] في عقل الأمة وضميرها [illegible] دائما [illegible] قوة دفع وطاقة مقاومة [illegible] كم على [illegible] من قيود [illegible] وبدع وخرافات . وكون هذا الإسلام دينا ودنيا ، [illegible] وشريعة ، [illegible] ودولة ، شعائر ونمط سلوكي في [illegible] علوم وحي [illegible] والحضارة [illegible] [illegible] الأمة [illegible] الحضاري ، بالاجتهاد والتجديد [illegible] الاجتهادات في [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] على كل الجبهات ، وفي مختلف الميادين [illegible] في الحرب [illegible] الدولة [illegible] الحضارة [illegible] في ذلك حي ، جمعه [illegible] أعلام التأليف [illegible] يتحرك لمواصلة النهوض برسالة الأسلاف

[illegible] ٧٣٢ [illegible] ٨٠٨ [illegible] ٣٣٢

١٤٠٦ م] والقلقشندي [٧٥٦ ـ ٨٢١ هـ ١٣٥٥ ـ ١٤١٨ م] وتقي الدين المقريزي [٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ ١٣٦٥ ـ ١٤٤١ م] وبدر الدين العيني [٧٦٢ ـ ٨٥٥ هـ ١٣٦١ ـ ١٤٥١ م] وابن تغري بردي [٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ ١٤١٠ ـ ١٤٧٠ م] وابن إياس [٨٥٢ ـ ٩٣٠ هـ ١٤٤٨ ـ ١٥٢٤ م] كان لابد وأن تحفظ للأمة ذاكرتها الحضارية التي تستنفرها للاجتهاد والجهاد كي تتجاوز النقطة وتنهض من الوهدة التي أوقعتها فيها دون العسكر الترك المماليك.

ولقد كان معدن الأمة هو الآخر عاملا إيجابيا يدفع النقطة في اتجاه النقطة ومقاومة هذا التحدي والتراجع والجمود في كل المنعطفات الراجحة. وأمام التحديات الكبرى التي هددت كيان الأمة وسيرها عبر مسيرتها الراجحة والحضارية المليئة بالتحديات، كانت دائما وأبدا تمتلك الإجابة الإيجابية والحركة الفاعلة تجاه ما يفرض عليها من تحديات. فأمام الحصار «البيزنطي ـ الفارسي»، ومحاولات الاجتياح نهضت بالفتوحات الإسلامية فامتلكت أمام قيادة الشرق، وحررته من القهر البيزنطي ـ الفارسي العتيق. وأمام التحدي الفكري للمذاهب الغربية، «الهلسنة» و«العوضية» و«اللاهوت» مسيحيا تحول عن أصوله الشرقية إلى نسق فكري مليء بالتأثيرات اليونانية. أمام هذا التحدي، تسلح الفلسفة اليونانية وعقلانيتها فصاغت الأمة عقلانيتها الإسلامية، وفلسفتها المتميزة، فنشرت إسلامها وأعلنت حضارتها منتصرة على هذه التحديات. وأمام جحافل الدم الصليبي والتتري قامت الأمة بطاقة فروسيتها ـ الذي جاء الأسباب سريا إليها ـ تركيا مملوكا ـ فكسرت به شوكة أطول وأبشع حملات الغزو والإرادة التي شهدها ذلك التاريخ.

واستمر هذا التاريخ ، وإعمالا لذات القانون الذي حكم تاريخ الأمة ومواقفها إزاء التحديات العظمى ، اختلج عقل الأمة ووجدانها فقدم ، من ترسانة مقاومتها ومخزون طاقاتها ، صور المقاومة للتخلف والتراجع والجمود الحضاري . وكان ذلك في صورة الجهود الفكرية والعملية التي تمثلت في أعلام الاجتهاد والتجديد .

ذلك هو السلاح الذي استشفته الأمة لتقاوم به عوامل التخلف والتراجع والجمود . فرسول هذه الأمة ، عليه الصلاة والسلام ، قد علمها أن المنظومات الفكرية ، دينا كانت أو حضارة ، إذ أصابها التطور لما تقلل من فعاليتها ، بالبدع والخرافات والتخلف والجمود ، فإن التجديد هو السبيل للنقطة والنهوض من جديد بمواصلة الطريق . فهو القائل : « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها »[1] .

وإذا كان حديث الاجتهاد والتجديد ، والأعلام الذين ساروا على دربه يحاولون مقاومة عوامل التخلف ومظاهره ، سعيا إلى إيقاظ الأمة وبعث نهضتها من جديد . إذا كان هذا الحديث من الثراء حيث احتاج إلى عمل مفرد وجهد مستقل وكبير ، فإننا نكتفي في هذا المقام بتأييد الوهم شريع بحسب صحابته أن الظلام كان تاما ، والاستسلام كان عاما ، نكتفي بذكر أسماء كوكبة من العلماء والأعلام الذين تميزت إبداعاتهم الفكرية بمقاومات جديدة ، مثلت عوامل مقاومة لما شاع في ذلك العصر من تخلف وتراجع وجمود .

فمن سلطان العلماء ، العزيز عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ)

---

(١) رواه أبو داود

١١٨١ ١٢٦٢م] ومسند عبد لإله شرق ، عباس حمد ن
درس [٦٨٤ هـ ١٢٨٥] وحي عصر برهن مدت وتأثرت جهة
بعمله المحدثين من مثل : ابن ، محمد ن براهيم ، ير
[٧٧٥ـ٨٤٠ هـ ١٣٧٣ـ١٤٣٦م] ويشي ، علي صحح ن مهدي
[١٠٤٧ ١١٠٨ هـ ٦٣٧ ١٦٩٦ م] وولي الله الدهلوي [١١١٠ ـ
١١٧٦ هـ ١٦٩٩ ـ ١٧٦٢ م] وبرنصي ، يس | ١٤٥ ١٢٠٥ هـ
١٧٣٢ ١٧٩ م] وصحح ن محمد ن صح سلاقي [٦٦ ـ
١٢١٨ هـ ١٧٥٣ ١٨٠٣ م] وعثمان دن فودي (فولني)
[١١٦٨ ـ ١٢٣٢ هـ ١١٥٥ ١٨١٧ م] وعمر مكرم ، ١١٦٨
٢٣٧ د ٧٥٥ ـ ٨٢٢ هـ ، ومحمد ن علي شوكاني [١١٧٣ ـ
١٢٥٠ هـ ١٧٦٠ ١٨٣٤ م ، محمد عطار [١١٩٠ ـ ١٢٥ هـ
١٧٧٦ ـ ١٨٣٥ م] والشهاب الألوسي [١٢١٧ ـ ١٢٧٠ هـ ٨٠٣ ـ
١٨٥٤ م] ومحمد بن علي لسنوسي [١٢٠٢ ـ ١٢٧٦ هـ ١٧٨٧ ـ
١٨٥٩ م] ، وحاج عمر ، سعيدي) [١٢١٧ ـ ١٢٨٠ هـ ١١٩١ ـ
١٨٦٤ م] ورفاعه فع طهطاوي ١٢١٦ ٢٩٠ هـ ٨٠١ ـ
٨٧٣ م] ومحمد عبده حرّاني ، ١٢٢٢ ـ ٣٠ د ١٨٠٧
١٨٨٣ م] ومحمد أحمد ، مهدي) ١٢٦٠ ٣٠٢ د ٨٤٤ ـ
١٨٨٥ م ، ومحمد فريد بك [١٢٣٧ ٣٠٦ هـ ١٨٢١ ـ
١٨٨٨ م] و ، محمد محمد حسنين | ٢٤٨ ـ ١٣٠١ د ١٨٣٢
١٨٨٩ م ، وحمد بن سالم سنوسي [١٢٢٥ ١٣٠٨ هـ ٨١٠ ـ
١٨٩٠ م ، وعبد الله بن ،] ١٢٦ ١٣١٤ هـ ٨٤٥ ـ ١٨٩٦ م
وحمد بن علي لأنصاري [١٢٥٤ ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ ٨٩٧ م] وعبد

رحمن الكواكبي [١٢٧٠ ـ ١٣٢٠ هـ ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢م] ومحمد عبده [١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] ومصطفى كامل [ ] [١٢٩ ـ ١٣٢٦ هـ ١٨٧٤ ـ ١٩٠٨م] وحسين بن محسن الأنصاري [١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩م] وعبد الحميد الزهراوي [١٢٧٢ ـ ١٣٣٤ هـ ١٨٨٥ ـ ١٩١٦م] وعبد العزيز جاويش [١٢٩٣ ـ ١٣٤٧ هـ ١٨٧٦ ـ ١٩٢٩م] ومحمد شبه رضا [١٢٨٢ ـ ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م] ومحمد فريد [١٢٨٩ ـ ١٣٥٧ هـ ١٨٧٣ ـ ١٩٣٨م] وعبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ ـ ١٣٥٩ هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠م] ومحمد مصطفى المراغي [١٢٩٨ ـ ١٣٦٤ هـ ١٨٨١ ـ ١٩٤٥م] ومصطفى عبد الرازق [١٣٠٢ ـ ١٣٦٦ هـ ١٨٨٥ ـ ١٩٤٦م] وشكيب أرسلان [١٢٨٦ ـ ١٣٦٦ هـ ١٨٦٩ ـ ١٩٤٦م] وحسين بن [١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م] ومحمد فريد وجدي [١٢٩٥ ـ ١٣٧٣ هـ ١٨٧٨ ـ ١٩٥٤م] وعبد الوهاب خلاف [١٣٧٥ هـ ١٩٥٦م] وعبد القادر المغربي [١٢٨٤ ـ ١٣٧٦ هـ ١٨٦٧ ـ ١٩٥٦م] ومحمد الخضر حسين [١٢٩٣ ـ ١٣٧٧ هـ ١٨٧٦ ـ ١٩٥٨م] ومحمود شلتوت [١٣١٠ ـ ١٣٨٣ هـ ١٨٩٣ ـ ١٩٦٣م] ومحمد الفاضل بن عاشور [١٣٢٧ ـ ١٣٩٠ هـ ١٩٠٩ ـ ١٩٧٠م] ومالك بن نبي [١٣٢٣ ـ ١٣٩٣ هـ ١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م] وعلال الفاسي [١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م] وأبو الأعلى المودودي [١٣٢٠ ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م] وعبد الجليل عيسى [١٣٠٥ ـ ١٤٠٠ هـ ١٨٨٨ ـ ١٩٨٠م] ومحب الدين الخطيب [١٣٠٣ ـ ١٣٨٩ هـ ١٨٨٦ ـ ١٩٦٩م] ومحمد أبو زهرة [١٣١٦ ـ ١٣٩٤ هـ ١٨٩٨ ـ ١٩٧٤م] وعلي الخفيف ... الخ ... الخ

إنهم أمثلة مجرد أمثلة الأعلام شهدت جهودهم في الفكر والممارسة أن تخلفنا الحضاري، على قسوته وبشاعته، لم يصل بحضارتنا إلى حد «الموات». فلقد كانت روح المقاومة دائمة الفعل، تجاهد لإيقاظ الأمة وإنهاضها وبعث حضارتها من جديد.

ونحن نلاحظ أن سمات التجديد والاجتهاد لم تكتمل [illegible] كل مجتهد ومجدد من هؤلاء المجتهدين المجددين. فكثيرون منهم كانت تجديداتهم في ميدان دون ميدان أو ميادين. كما نلاحظ أن توجهاتهم التجديدية لم تكن متطابقة في كثير من الأحيان وعديد من المجالات. وهذه الحقيقة تضع يدنا على أمور هامة، منها:

١ ـ أن تغاير الزمان والمكان وتنوع التحديات لابد وأن يترك بصماته على فكر المفكر واجتهاد المجتهد. وأن مراعاة هذه الحقيقة شرط للتقييم الموضوعي لإضافات أي من هؤلاء المفكرين.

٢ ـ وأن تنوع ميادين التجديد والإبداع وتغايرها عند الواحد منهم بالمقارنة مع غيره، يوجب علينا اختصاص تراثهم جميعا، لنستخلص من كل عناصر التجديد والإبداع. فبذلك نبلغ أقصى درجات الاستفادة، ونتجه من نهج التعصب لمفكر بعينه ومذهب [illegible] نهج [illegible] نفرض عليه ضم الغث إلى الثمين، وخلط السلبيات والجمود، [illegible] هذا المفكر [illegible] قدم من إيجابيات وتجديد. فهم جزء متميز من تراثنا، وعلينا أن نختصهم جميعا مع نظرائهم ـ لنستخلص ما تركي في واقعنا [illegible] توجهات وعوامل الاجتهاد والنهضة والنقطة والتجديد.

٣ ـ إن تعدد الرؤى والمناهج لدى كثير من هؤلاء الأعلام تضع يدنا على

سمة من السمات الهامة التي تتميز بها حضارتنا. وهي سمة «التعددية» في ميادين «الاجتهاد». فأصول الإسلام وعقائده وأركانه وغيباته ومبادئه عددية. هي جميعا مما اتفق المسلمون عليها، فتلقوها جميعا مجمعين عليها ومجتمعين. حتى لقد قال خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز: «إن هذه الأمة لم تختلف في الدين، أما الفروع، والنسل والوسائل والأدوات والمناهج، وشئون الدنيا المتعلقة بسياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران أي الحضارة - التي هي إبداع بشري محكوم بمقاصد الشريعة الإلهية - فإنها هي التي شهدت الاجتهاد، والتعددية في هذا الاجتهاد.

ومن الأمور التي استقر عليها أمر هذه الأمة أن اجتهاد المجتهد غير ملزم لغيره من المجتهدين. وقصة الإمام مالك عندما رفض عنه المنصور العباسي [٩٥-١٥٨هـ ٧١٤-٧٧٥م] جعل كتابه [الموطأ] القانون الملزم للدولة والأمة، شهيرة ودلت دلالة في هذا الباب. لقد رفض أن يكون اجتهاده ملزما لغيره من المجتهدين. وهذه الحقيقة تفرض علينا؛ ونحن نتوجه لإزكاء روح اليقظة في أمتنا، احتضان عواملها أينما وجدناها في مختلف ميادين الإبداع لدى جميع المجتهدين والمجددين. وأيضا تفرض علينا الإيمان بمشروعية التعددية في الرؤى والنسل والمناهج عند الأعلام والمفكرين والجماعات الساعية إلى هذه النهضة، والعاملة في ميدانها. فإذا كان الإسلام هو فكرية - «أيديولوجية» - الأمة. وإذا كانت هذه الأمة قد اتفقت وتتفق على أصوله وأركانه وعقائده وغيباته كما جاءت في السمعيات، فإن قضية الحضارة العربية الإسلامية، سياسة واجتماعا واقتصادا وعمرانا وعلوما إنسانية، هي مما تتعدد فيها الرؤى وتتمايز فيها الاتجاهات بتعدد وتمايز جماهير الأمة ومفكريها إزاء هذه المعضلات. فالتعددية إذن في الدعوات

والاجتهاد والحركات والجماعات العاملة في ميدان الإحياء الإسلامي واليقظة الإسلامية هي ظاهرة طبيعية، بل وصحية. أما الذين يتصورون الوحدانية والانفراد بالنجاة في هذا الميدان لفرقة بذاتها وجماعة بعينها، قائلين إن من عداها هم في النار، فإنهم يخلطون بين «عقائد الإسلام» و«حضارة الإسلام»!! ففي عقائد الإسلام وأصوله وأركانه، لا تعددية، بل ولا رأي ولا اجتهاد. وفي هذا الميدان نعم النجاة للفرقة «المتبعة» دون «المبتدعين» الذين مآلهم جميعا إلى النار. أما في ميدان «الحضارة» فإن الاجتهاد، ومن ثم التعددية، هما السبيل الطبيعية، بل الواجبة لتنمية «الإبداع» الذي هو السبيل إلى بناء الحضارة، وإلى تجديدها ونهضة أمتها.

بهذا الروح، وفي ضوء هذه الحقيقة، يجب أن ننظر إلى تمايز اجتهادات الأئمة المجتهدين، وإلى التعددية في مجال الدعوات والحركات والجماعات الساعية إلى البعث الحضاري لأمة الإسلام.

٤ ـ لا بد أن نبينه، وآخر النظر في فكر اليقظة الإسلامية وأهمية دعاتها وحركاتها، إلى أن الهجمة الاستعمارية الغربية الحديثة قد أحدثت إضافات وتحولات في أهم أعلام هذه اليقظة وحركاتها. فقبل هذه الهجمة كانت جهود الاجتهاد والتجديد منصبة على إنجاز مهمة محددة، هي كسر قيود الجمود والبعث الحضاري الذي يتيح للأمة نقض غبار التخلف عن عقلها وطاقاتها كي تواصل مسيرتها الحضارية من جديد. وعندما بدأت الهجمة الاستعمارية الغربية الحديثة الحملة لونابرت على مصر أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وعلى امتداد القرن التاسع عشر، وضعت حركة اليقظة الإسلامية في مقدمة مهامها، إلى جانب محاربة الجمود بالاجتهاد والتجديد، مهمة التصدي للزحف الاستعماري

الغربي على بلاد الإسلام. ولقد ظل الحال كذلك حتى سقوط الخلافة العثمانية أوائل العقد الثالث من هذا القرن العشرين، عندما نجح الغرب الاستعماري في احتلال مجمل عالم الإسلام، وفرض عليه التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية، وأخيرا - أيضا - قدرا كبيرا من النجاح في فرض التبعية الفكرية على بلادنا، بأدواته المباشرة، و«بالتحية» و«بالصفوة» التي صنعها على عينه، وضرب عقولها وفق مناهج حضارته وصاغ توجهاتها وأذواقها وفق فلسفة الحضارة الغربية. هذا، وعند هذه المرحلة من مراحل المواجهة بين دعوات وحركات اليقظة الإسلامية وبين التحديات التاريخية القابعة للنهضة الأمة، بدأ تركيز رواد اليقظة ومفكروها وحركاتها على محاربة آثار ومظاهر «التغريب» في عقول الأمة وواقعها.

وهذه الحقيقة، تستدعي منا - قبل الإشارة إلى أن دعوات اليقظة الإسلامية وحركاتها - إشارات إلى ما يعنيه «التغريب».

* * *

التغريب:

لقد جاء الغرب إلى بلادنا في غزوته الاستعمارية الحديثة، وقد وعى دروس غزوته الصليبية في العصور الوسطى. فلقد كان في الغزوة الصليبية مجرد من الفكر والحضارة. ليس لديه ما يغري أهل البلاد التي استطاع عليها فرسانه الصليبيون، الذين كانوا كما قال الفارس المؤرخ أسامة بن منقذ [٤٨٨ - ٥٨٤هـ/١٠٩٥ - ١١٨٨م] كانوا «بهائم» ليس لديهم سوى «فضيلة القتال»[٢]. فلما استقرت فروسيتهم الهمجية فروسيتنا الإسلامية، وانحدرت غزواتهم واستسلمت حصونهم لم يخلفوا وراءهم - بعد قرن من

[illegible] في عقل الأمة الإسلامية يعرف بالاقتداء [illegible] والتقليد [illegible] خلال [illegible] كاملا للاستقلال [illegible]

[illegible] العرب في عروبته الحديثة وهو على وعي كامل [illegible] وكان [illegible] على أن [illegible] عالم الإسلام [illegible] مركز العرب [illegible] فخطط [illegible] [illegible] مصيره في عروبته [illegible] والاحتلال العسكري لابد يوما أن [illegible] الوطني [illegible] الاقتصادي لابد وأن [illegible] المصالح القومية فتنتزع الأمة [illegible] من مغامراته وشركاته [illegible] [illegible] جهودها لابد وأن [illegible] الاستعلاء [illegible] على هذا الاستعلاء [illegible] كيف [illegible] تبعية [illegible] الإسلامي للعرب وحضارته ؟!

[illegible] وهم [illegible] عروبتهم الحديثة — في هذا الأمر [illegible] وكانت روح الاستعلاء [illegible] مميزة لحضارتهم العربية قد [illegible] مؤمنين [illegible] [illegible] الرجل الأبيض !! فالحضارة العربية — [illegible] هي الحضارة الإنسانية الوحيدة بدأت باليونان [illegible] العرب في العصر الحديث [illegible] العرب [illegible] خلال [illegible] العرب في عصره الوسيط [illegible] وفلسفة هذه الحضارة [illegible] Darwin [illegible] [١٨٠٩ — ١٨٨٢ م] في [illegible] للأصلح [illegible] الأصلح هو الأقوى [illegible] الرجل الأبيض [illegible] وهو الأقوى [illegible] هذا « القانون » [illegible] [illegible] الحضارة للأمم والبلاد التي [illegible] في [illegible] [illegible] مركز الأرض ومصدر حضارتها الوحيدة في العرب ! [illegible] « رسالة » [illegible] الرجل الأبيض [illegible] « القانون » العلمي ؟ [illegible] من هذه العروبة لا يقف [illegible] عند احتلال الأرض [illegible] [illegible] واستعلال

الإنسان، وإنما يتجاوز ذلك، لكي يؤيد ويؤيد كل ذلك ـ إلى احتلال العقل، حتى تظل التبعية ـ تبعيتنا ـ للمركز الغربي قائمة دون جيوش احتلال، لأنها ستكون أي التبعية مذهبنا نحن، ومطلبنا نحن التابعين. وعلى هذا الدرب بدأت جهود الغرب الاستعماري في تسميته بـ «التغريب»، أي إلحاق الشرق بالغرب، باحتلال عقله، وشده إلى المركز الغربي بخيط من التبعية الفكرية، خفي وناعم ولذيذ؟!

لقد بدأ فأطلق على بلادنا أسماء، فقبلناها، دون أن نفطن إلى أنها «طعم» و«طعام» يؤدي بدوره إلى ترسيخ فكرة: أن الغرب هو «المركز» وما عداه فهو «الهامش ـ التابع». فـ «الشرق الأدنى» هو كذلك لأنه الأدنى من المركز الغربي، وكذلك «الأوسط» و«الأقصى»؟! إنه هو «وحدة القياس»؟! ثم مضى على هذا الدرب حتى غدت مفاهيمه وتجاربه ومذاهبه، بل و«تقاليعه»، هي أول ما يقفز إلى ذهن «النخبة» و«الصفوة» التي تغربت كمغاوير ووحدات قياس. عندما يذكر أمر من الأمور، فسيرته هي النموذج للبرازيل، وشمولته هي النموذج للشموليين منا، ومذاهبه الأدبية ونفسه هي الغاية والنموذج، وفلسفته هي الفلسفة، والروح المادية الحاكمة لعلومه الإنسانية، هي التي سرت في دراساتنا لهذه العلوم الإنسانية، وكل ما هو غربي فهو للتحضر، وما عداه رجعية وتعصب وتخلف ملكي في مجرى تطور التاريخ؟!

وعلى درب «التغريب» هذا، وفي مبادئه نستطيع الباحث أن يرصد الكثير من المعالم والشواهد التي مثلت، ولا تزال، «جهودا» و«معارك» و«أفكارا» و«دعوات» حاول بها الغرب وعملاؤه والذين خدعوا بمقولاته أو اندهشوا وانبهروا بحرف دعاوية، إغواء أمتنا بالالتحاق بحضارته الغربية، والتخلي عن

درب «التواصل الحضاري» الذي يجعل [illegible] الامتداد [illegible] حضارتنا [illegible]

● و«[illegible]» خلق [illegible] كثر وكنائس في بلادنا [illegible] أصبح [illegible] مراكز اللاهوت في بلاده. وكان ذلك على حساب إسلامنا حينا، وعلى حساب كنائسنا الوطنية الشرقية في أغلب الأحايين؟!

● و«الاستشراق»، الذي ارتاد أعلامه [illegible] تحقيق مخطوطات تراثنا وكتابة عن مذاهبنا وفرقنا ومجتمعاتنا، سلط الضوء على كل ما يؤدي إلى ضعفنا وتشرذمنا، يسهل التبعية ويسر الإلحاق. فتوجهت جهود كثير من الدراسات الاستشراقية لتسليط الأضواء على الفرق الشاذة، والأقليات النافرة، والمذاهب الدخيلة، تعطيها أكثر من حقها، وتضفي عليها جمالا لا تملكه. وثبت أغلب هذه الدراسات في عقول قرائها أن أسلافنا لم يكونوا غير نقلة وحفظة لتراث اليونان، ليتولد في هذه العقول اقتناع باستحالة إبداعنا لمستقبل متميز ونهضة مستقلة، طالما أن التميز والاستقلال ليسا أكثر من خرافة حتى في تاريخنا الحضاري وتراثنا الذي نفخر به وبه؟ وحتى الدراسات التي لم تقل ذلك ولم تقصد إليه جعلت معاييرها في تقييم تراثنا معايير غربية، فأسهمت، هي الأخرى، في تكريس روح التغريب في ثقافتنا المعاصرة؟!

● وانطلاقا من «المعايير الغربية» التي جعلت حضارة الغرب، وتطوره التاريخي «وحدة القياس» في كل شيء، شهدت ساحات الفكر في بلادنا تحت هيمنة الاستعمار ودعاة التغريب ـ الكثير من الدعوات التي قامت حولها المعارك الفكرية.

فالمستشرقون يدرسون «مقدساتنا» كتاريخ بشري لا قداسة له. وفي هذه

[illegible]

[illegible]

● [illegible]

ذهبوا بوجوده بوحدة نمط التطور في تاريخنا وتاريخهم، منطلقين من الاستعلاء الذي يريد أن يفرض على الأمم والشعوب النمط الغربي، لا للمستقبل فقط، وإنما للماضي وتطوره الحضاري أيضاً!

فكما كانت علاقة دينهم بدولتهم «كهانة» و«ثيوقراطية» و«تفويضاً إلهياً» و«حكماً بالحق الإلهي»، زعموا أن إسلامنا كان كذلك، وأنه قد جعل خلافتنا الإسلامية حكماً مطلقاً، الخليفة فيه يستمد سلطانه من الله، لا من الأمة، وولايته على دين الناس ودنياهم عامة ومطلقة كولاية الله سبحانه، ورسوله صلى الله عليه وسلم، على الناس.

ولما كانت مسيحيتهم قد طلبت أن يدع الناس ما لقيصر لقيصر وما لله لله، لأنها رسالة روحية مهمتها خلاص الروح وتنظيم مملكة السماء، ولا مدخل لها في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران المدني، فلقد حاولوا تصوير إسلامنا مسيحية، ليجردوه من حيويته المدنية، فزعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم ـ ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين، لا لشؤون نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وأنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة، وأنه صلى الله عليه وسلم ـ لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولاً كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة، ولا داعياً إلى ملك.»[2]!

وهم بذلك لا ينكرون حقائق التاريخ وحدها، بل وينكرون حقيقة التمايز بين الحضارات والأمم في أنماط التطور، فإذا كانت هيمنة الكنيسة على الدول والمجتمعات الغربية قد أصابتها بالجمود والجهل والتخلف في كل الميادين، فإن

---

(٢) علي عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم، ص ٦٤، ٦٥، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م.

احتكام أمتنا إلى شريعتها هو الذي أثمر أزهى عصور ازدهارها الحضاري، وقمة استنارتنا وعقلانيتنا. ولم تدخل أمتنا - كما سبقت إشاراتنا - إلى طور التراجع والتخلف والجمود إلا عندما أزاحت دون العسكر الممالك الطبيعة الإسلامية عن قطاعات من الواقع وعن القانون الذي ينظم حركة هذا الواقع!

ولما كانوا قد حلوا مشكل استبداد كنيستهم بدولتهم وفق «المعيار الإنجيلي» دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلقد أرادوا أن تكون «علمانيتهم» - التي تفصل «الدين» عن «الدولة» - هي النهج الذي يحكم علاقة الإسلام بالسياسة في بلادنا. فارتبط تزايد نفوذهم الاستعماري بين ظهرانينا باستبدال قانونهم المعبر عن فلسفة حضارتهم - بفقه المعاملات الإسلامي، الذي هو القانون الطبيعي للأمة الإسلامية، المتسق مع عقيدتها، والمحقق لمقاصد شريعتها، والذي تكن له الاحترام.

● وعلى عكس مفهوم حضارتنا «للأمة» - وهو المفهوم الذي نرى من عصبية العرق - حتى لقد وفق وجمع وألف بين الولاء للدوائر «الوطنية» و«القومية» و«الإسلامية»، دونما تعارض أو تناقض. على عكس هذا المفهوم، رأيناهم يزرعون في واقعنا الفكري والسياسي «المفاهيم القومية» للحضارة الغربية، فقامت، تبعا لها، في عقول البعض وتوجهاتهم وبرامج أحزابهم التناقضات بين هذه الدوائر، ورأينا من يقف عند الدائرة «الوطنية» دون «القومية»، ومن يهمل، بل وينكر الدائرة «الوطنية» و«الإسلامية»، معا، ما يجر ولاءه فقط للدائرة «القومية»، لأن المفاهيم والمعايير الغربية لهذه المصطلحات، وتطبيقات تلك المفاهيم قد صنعت ذلك في التطور القومي لأمم الحضارة الغربية؟!

● نعم، لقد نجح الغرب الاستعماري، مستخدما سلطانه السياسي

، عسكرى و لاقتصادى ، ومستفيد من هيمنة الاستعمارية على مبادئ سير
عسكرى وأدواته فى بلاده ، ومستفيد من الإعجاب بالغرب فى حضارته بصفة
الحضارية الحديثة نجح فى خلق « نخبة » و « صفوة » متغربة من أبناء أمتنا ،
عليه سبيل هذا السبيل عندما تبهر بروعة حضارة غربية وهو يقدم بمختلف
عوامل عن نفسه وأحاسيسه دون تفكير عميق وبحث ، فتصدق هذه
المبشر ، هو حتمية الإسلام وحضارته ، وعلى « مختلف » و« مختلف » [٢]
الفصل بين تقدم ، وبين معتقداته العربى ، ولا يعلق من قيوده الاستعمارية هو
فى سبيل حضارة غربية حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، فدعا إلى أن تكون
غربة ، نصب كل نصبيه ، وخطى كل خطوة ، وحتى يدعم من مطلبه
هذه الدعوى ، وجمع شامل العرب ، ذهب بزعمهم لأمة ، و عرب جميعها
جميع حضارى واحد هو حضارة بحر المتوسط ، وأن هذا الجميع هو أكثر
جوامع حضارية أصالة وعمقا وجدوى فى تاريخنا ، وأن غيره من التأثيرات
الحضارية ـ الرقيقة أو السوية (إسلامية) ـ إنما هى عابرة وسطحية
وموقوتة [٣] .

وبالفعل فالحقيقة ، وهذا الفريق من « نخبة » و « الصفوة » متغربة ، هو
الكثير من أعلام هذا الفريق ، قد عاد بعد مرحلة الانبهار ـ فراجع موقفه
و حاسم من حضارة الغرب الإسلامى ومنهم من نقد مرحلة « متغربة »
بكثير [٤] ومنهم من أعلن بحثا ، علميا ، بالأهمية ما أعلى كل شىء فى
إنتاجه الفكرى الجديد

---

٣ ـ من هذا ـ ما ذهب إليه فى كتابه [مستقبل الثقافة فى مصر] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ .

٤ ـ نقصد هنا على سبيل المثال موقف الدكتور محمد حسين هيكل [ج ١ ص ٣٧٥ ـ ٨٨٨ ـ ١٩٥٦ م] فى كتابه [حياة محمد] ص ١٩٥ ـ ١٧٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦ م

لكن فريقاً آخر من الذين تعرفوا لم يكن [illegible] إلى [illegible] وندعوه إليه [illegible] الحضارة الغربية [illegible] الأمة كي [illegible] من [illegible] وإنما كان [illegible] للإسلام. [illegible] في [illegible] المنشودة. فكان [illegible] في [illegible] كي لا تضطلع [illegible] الإسلام الذي يكرهون ؟!

وهذا الفريق من المتغربين هو الذي يكون من عدد من المسيحيين [illegible] من [illegible] الدولة [illegible] على [illegible] المعتمد البريطاني في مصر، ثم جعلوا من صحيفة «المقطم» [١٨٨٩ـ١٩٥٢م] [illegible] من فكرته [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] وكان سلامة موسى [١٨٨٨ـ١٩٥٨م] [illegible] الفريق [illegible] «إنه إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، لأنها تقوم على أصل كاذب، فإن الرابطة الدينية وقاحة [illegible] أن [illegible] على [illegible] وحكومة ديمقراطية [illegible] كما هي في أوربا، وأن يعاقب كل من [illegible] مثل حكومة هارون الرشيد أو المأمون [illegible] دينية. وكلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي. يجب علينا أن نخرج من آسيا [٥]، وأن نلتحق بأوربا. فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني. وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد

---

٥ [illegible] الإسلام [illegible]

حتى لها وتعلق بها. وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها. وهذا هو مذهبي الذي أعمل به طول حياتي سرا وجهرا. فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب»[1].

هكذا أراد «بالتغريب» نفي «الإسلام الحضاري» عندما أنكروا التمايز الحضاري بين الحياة والتعددية الحضارية بالأمم العريقة في موازينها الحضارية، ومن ثم أنكروا التمايز في سبل اليقظة والنهضة الحديثة، وأراد «الحياة العربية» في «التحديث» تأييد تبعية أمتنا العربية الإسلامية لمركز الغرب وهيمنة الغربية.

وهكذا وجدت دعوات اليقظة الإسلامية وحركاتها وجماعاتها منذ أواخر القرن التاسع عشر أن التحديات التي تواجهها والعقبات التي تجابهها قد أضيفت إليها مخاطر «التغريب». فكان عليها أن تبذل جهدا ملحوظا على الجبهة الحضارية، لصناعة مشروع حضاري عربي إسلامي، يكون دليل اليقظة الإسلامية إلى النهضة المستقلة استقلالا حقيقيا عن الحبائل والشراك التي صنعها ويصنعها الاستعمار على جبهة «فكرية التغريب».

ومنذ تلك المرحلة أضيف هذا التحدي إلى المهام الأولى لليقظة الإسلامية مجابهة الجمود بالاجتهاد والتجديد، والتصدي لعروة الاستعمارية بالجهاد والتحرير.

---

(1) سلامة موسى [اليوم والغد] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧م [وانتصار الجود ما كتبه ... محمد محمد حسين [الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر] جـ ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠م]

اليقظة الإسلامية

٢- أبرز الدعوات.. والتيارات والجماعات

على امتداد تاريخ حركة اليقظة الإسلامية، تعددت في إطارها الرؤى والنسل والمناهج والأساليب والأدوات، وتعددت كذلك، في هذا الإطار الرموز والجماعات.

فعلاوة على الأعلام والعلماء المجددين، وفضلاً عن المؤسسات «الفكرية التعليمية» من مثل الأزهر، ومن سار على دربه، والتي وإن تحدث من فاعليتها في «حركة» اليقظة علاقاتها وروابطها بـ «الدول» و«الحكومات»، إلا أنها كانت في كثير من المراحل، «ترسانات» الصياغة «لفكر» اليقظة والإعداد «لدعاتها»، علاوة على هؤلاء الأعلام وهذه المؤسسات كانت هناك الدعوات المنظمة، والتيارات المتميزة، والجماعات والجمعيات، تلك التي تحدث من «سلاح التنظيم» سبيلاً لزيادة فعاليات «الأفكار والنظريات».

ولقد أثبتت هذه التجربة وجدتها، ولا تزال تثبت، الأهمية العظمى «لسلاح التنظيم» في حركة اليقظة الإسلامية، وفي الحركات الفكرية والعقائدية على وجه العموم.

● فتعبير «الجماعة» و«سلطة الدولة والإمارة» ما كان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [١١١٥-١٢٠٦هـ/١٧٠٣-١٧٩٢م] أن تصنع ما صنعت، بل ولا أن تبقى حية فاعلة بعد وفاة رائدها.

● [illegible]
على [illegible] [١٢٠٢ – ١٢٧٦ هـ ١٧٨٧ – ١٨٥٩ م] [illegible]
من [illegible]

● [illegible]
[١٢٥٤ – ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ – ١٨٩٧ م] بمصر في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من فلاسفة الإصلاح

● [illegible] [١٣٢٤ – ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ – ١٩٤٩ م] [illegible]
في [illegible] من مرتبة الإمام محمد عبده [١٢٦٦ – ١٣٢٣ هـ
١٨٤٩ – ١٩٠٥ م] [illegible]
[illegible]
على [illegible]
والعشرين من عمره[٢] . والذي أحدث به ما أحدث ، [illegible]
ما أحدث ، وما ترك بصماته [illegible] على امتداد عالم الإسلامي ، حتى في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والوعاظ ، رغم استشهاده وهو في سن الشباب !

وإذا كانت اليقظة الإسلامية قد بدأت بالاجتهادات التي أبدعها علماء أعلام، فإن واحداً من أبرز دروس مسيرتها هو ضرورة حشد هذه الاجتهادات - بالتنظيم - في المجامع والمؤسسات البحثية والمنابر الفكرية والجماعات والجمعيات. ورحم الله عبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠-١٣٢٠هـ ١٨٥٤-١٩٠٢م] - مؤسس الجمعية أم القرى - فلقد قال عن هذه الجمعيات المنظمة: «إنها تلقى ما لا يلقى به عمر الأفراد»[1].

ولذلك، كان ضرورياً عند هذا الحد من هذه الدراسة أن نلقي بعض الضوء على أبرز التيارات والدعوات والجماعات الناهضة برسالة اليقظة الإسلامية في عصرنا الحديث. وعلى وجه التحديد - وبإيجاز يفرضه المقام -

١ - الوهابية في شبه الجزيرة العربية

٢ - السنوسية في ليبيا وشمالي إفريقيا

٣ - المهدية في السودان

٤ - الجامعة الإسلامية

٥ - جماعة الإخوان المسلمين

٦ - الجماعة الإسلامية بالهند وباكستان

٧ - تيار «الرفض» الجديد - (التيار الانفلاتي) -

وذلك حتى تكتمل معالم حركة اليقظة الإسلامية، وما في ساحتها من رؤى ومناهج وتيارات

---

(١) الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي [ص ٢٤٣] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة ... سنة ١٩٧٥م

(١)
الوهابية

في بيئة بدوية بسيطة، هي «نجد» بشبه الجزيرة العربية، ولد ونشأ محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦هـ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م]

وكانت السيادة الإسمية والرسمية على موطنه لخلفاء آل عثمان، وكان ابن عبد الوهاب سليل أسرة من الفقهاء، أخذ عنهم علوم الدين، كما درس على علماء مكة والمدينة، وظهر بروعة المنكر إلى النهج السلفي، فرفض ما طرأ على عقائد الإسلام وعباداته من بدع وخرافات وإضافات.

لقد نظر ابن عبد الوهاب فوجد عامة الناس يتخذون الوسائل والوسائط شفعاء إلى الله، بل ويتوجهون إليهم بالطلب والدعاء والاستعانة في الملمات، كما وجد البدع قد أصابت العبادات بالزيادة والنقصان، فلم تعرض صورة «إسلام العامة» هذا على حقيقة «إسلام السلف» وجد أن الإسلام الأول، إسلام السلف، قد أصبح «غريبا»[1]، فكان أن وجد نفسه في ذات الموقف الذي وقفه إمام السلفيين القدماء الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١هـ ٧٨٠ - ٨٥٥م] عندما دعا إلى العودة لإسلام شبه الجزيرة، الأول، إسلام ما قبل عصر الفتوحات، ذلك الذي يكفي الإنسان منه النصوص، دون حاجة إلى العقلانية الكلامية أو الفلسفية، وما أثمرت من «قياس» و«رأي» و«تأويل»[2]، وكانت بيئة «نجد» البسيطة، أكثر ملاءمة للإسلام

---

١ - [illegible] ص ٢٥

لتبقى البسيط ـ فظواهر النصوص كافية للإجابة على علامات استفهام الإنسان البسيط ـ كي تكون عقيدته صحيحة [illegible] الإسلام الصحيح والبسيط.

[illegible] ومن بعده [١٢٦١ ـ ١٣٢٨م] ـ ١٢٠٣ ـ ١٣٢٨م [illegible] ٧٥١هـ ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠م] وتركز على إصلاح [illegible]

[illegible]

[illegible] التي كان يرعاها حماة من عثمان!

ولم تقف عند هذا التصادم عند الحدود الفكرية فلقد كان من عند الوهابية أكبر من «شيخ» وأعظم من «فقيه» وأكبر من «داعية» ومن مؤلفه لم يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها ومواعظ يلقيها ومذهب فقهي ينشره [illegible] وحتى جماعة من الأتباع والمريدين [illegible] أن تكون

(٢) ابن عبد الوهاب: رسالة [مسائل الجاهلية] مطبوعة ضمن [مجموعة التوحيد] ص ٥٦
(٣) المصدر السابق: رسالة [هذه مسائل جاهلية] ص ٨٧
(٤) عبد الكريم الخطيب [الدعوة الوهابية] ص ١٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤م

«لدعوته دولة» تضمن لها التطبيق والانتشار والاستمرار. فالله يزع «بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[5]. ولقد زاد هذا العزم والمسعى من احتمالات التصادم ومن حجمه مع خلفاء آل عثمان.

غادر ابن عبد الوهاب «حرملا» [illegible]

[illegible]

[illegible] وكان قبر الصحابي زيد بن الخطاب [١٢هـ ٦٣٣م] [illegible] قاد ابن عبد الوهاب عملية هدمها [illegible]

[illegible]

١١٥٨هـ سنة ١٧٤٥م

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وكان ابن عبد الوهاب يقود جهاد [illegible] في طليعة جيش [illegible] سعود [illegible] «كربلاء» [illegible] على [illegible] مشاهدها ومزاراتها سنة ١٢١٦هـ سنة ١٨٠١م [illegible] سنة ١٢٢٠هـ ١٨٠٥م [illegible] في مقابر [illegible] سعود [illegible] مكة [illegible] وهكذا [illegible] الوهابية [illegible] على [illegible] «الفكرية» [illegible]

لكن [illegible] في مواجهة [illegible] [١١٨٤ ـ ١٢٦٥هـ ١٧٧ ـ ١٨٤٩م] [illegible] في ٧ ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٨ سبتمبر سنة ١٨١٨م) [illegible] وبعد ثلاثة [illegible] «دعوة» [illegible] الثاني والثالث من [illegible] سعود [٢٩٣ ـ ١٣٧٣هـ ١٨٧٦ ـ ١٩٥٣م]

● كانت الوهابية [illegible] «العقائد والشعائر الدينية» [illegible] في [illegible] تعقيدات [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

« التوحيد » الإسلامي الخالص ـ كما تشرب به الوهابية ـ إسهاما [illegible]

[illegible]

● والوهابية كامتداد للفكر السلفي الرافض للتأثيرات الفلسفية اليونانية في حضارتنا ، قد نسب إبداع أعلام السلفية ـ وخاصة ابداع ابن تيمية ـ في صناعة « منطق إسلامي » متميز لحضارتنا بدلا من « منطق أرسطو » الذي تبناه عدد من فلاسفة المسلمين أو تأثروا به . فإزاء هذه القسمة من قسمات المأثرة الحضارية كانت السلفية ـ عند ابن تيمية ـ نتوجا لجهود عربية إسلامية استقلالية بذات وتمت [illegible] بإبداع الإمام الشافعي محمد بن إدريس [١٥٠ ـ ٢٠٤هـ ٧٦٧ ـ ٨٢٠م] في « أصول الفقه » التي قدمها في مقابل منطق أرسطو الذي رفضه باعتباره ابنا للغة اليونان يستحيل أن يكون منطقا لأهل اللغة العربية ! وتمت هذه الجهود بإبداع المتكلمين المسلمين ـ من المعتزلة وغيرهم ـ لأصول الدين ـ علم الكلام ـ الذي رفضوا فيه وبه منطق أرسطو الأرسطاطاليسي « بالميتافيزيقا » اليونانية الوثنية ـ التي لم تعرف الوحي ولم تعترف به ـ والمخالفة لأهداف المسلمين والإسلام !

ولقد نوح ابن تيمية هذه الجهود ـ التي تمت على درب التأثير والاستقلال الحضاري ـ بنقده لمنطق أرسطو الذي رآه مفيدا للفطرة الإسلامية بقوانين صناعية متكلفة ، وحائلا بقوانينه الكلية الثابتة دون الوفاء بالحاجة الإسلامية المتغيرة ، وداخلا في لا ضرورة له ، حيث لم يشتغل به الصحابة ولا الأئمة

ومع ذلك فقد توصلوا - كما يقول - إلى كل نواحي العلم [1]. توجت هذه الجهود بتطور منطق الحضارة العربية الإسلامية الاستقرائي القائم على الملاحظة والتجريب في مقابل منطق أرسطو القائم على المنهج القياسي والنابع من روح الحضارة اليونانية التي لم تحفل بالتجربة بقدر ما ركنت إلى النظر الفكري والفلسفي [2].

وعلى هذه الجبهة الفكرية كانت الوهابية كامتداد للفكر السلفي إسهاما في الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية وإن لم تكن بداوة نسبها. وفقر الفكر الفلسفي عند علمائها قد جعل إسهامها على هذه الجبهة متمثلا في رفض التبعية الفكرية مع العجز عن الإبداع في بلورة البديل وتطويره!

● [illegible]

لقد مثلت الوهابية - بهذا الموقف الفكري والعملي - في يقظتنا الحديثة

---

(٦) [illegible] مناهج البحث عند مفكري [illegible] الإسلامي ص ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٦٣ ، ٣٠٥ ، ٣٧٨ - ٣٨٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ .

بعد قومياً ... لم يصل بها إلى حد جعلها حركة قومية عربية ـ بالمعنى المتعارف عليه في الأدب السياسي الحديث ـ لكنه مثل إسهاماً بارزاً على درب العروبة الشاعية كي تنفض عن كاهلها سلطة الترك العثمانيين !

● لكن الوهابية ... من ... [illegible] ... غير ودي من « العقلانية » ومن « التمدن » ... [illegible] ... للإجابة على ما تثيره نشأة البدوية البسيطة من مشكلات ... [illegible] ... علامات استفهام ... وموارثتها السلفية ، التي بدأت بإمام السلفية أحمد بن حنبل ... [illegible] ... « عقلانية المسلمين » ضمن ... « العقلانية » ... [illegible] ... وجاءت الوهابية ، محكومة بوضوح نشأة بدوية ... [illegible] ... كجزء من ... [illegible] ... « تمدن عربي » ... [illegible] ... الإسلام من تلك الثغرات التي فتحها العرب في جدار آل عثمان ؟

ولقد دفع الوهابية على هذا الدرب ، ووعى ... [illegible] ... الشديد بين ما هو « دنيا » وما هو « دين » ... [illegible] ... حسبت أن تجديد « الدنيا » يتحقق بما يتجدد به « الدين » ... فدعت إلى السلفية الدنيوية كما دعت إلى « السلفية الدينية » ... وغفلت عن أن تجديد ثوابت الدين لابد فيه من « الاتباع » دون « الابتداع » ... بينما تجديد متغيرات الدنيا لابد فيه من « الابتداع » ... في إطار المقاصد الدينية والأطر العامة التي نزل بها الروح الأمين على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ... ولم تدرك الوهابية أن « الاتباع » هنا لا يثمر « التجديد » ، بل يؤدي إلى « الجمود » !

[illegible] الإمام محمد عبده [١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] عن هذه السلفية في ... [illegible] ... السلفية ...

[illegible] فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كتب معارفه إلى ينابيعها الأولى [illegible]

[illegible] الإمام محمد عبده عن [illegible] على جبهة [illegible]

[illegible] أنهم أضيق عطنا [illegible] وأخرج صدرا من المقلدين فهم وإن أنكروا كثيرا من البدع ونحوا عن الدين كثيرا مما أضيف إليه وليس منه إلا أنهم يريدون وجوب الأخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين وإنها كانت الدعوة ولأجلها منحت النبوة فلم يكونوا للعلم أولياء ولا للمدنية أحباء [illegible]

[illegible] وعند هذه الحدود وقفت الوهابية على جبهة نضال [illegible] لاستعادة [illegible] في عصرنا الحديث

[illegible] لكنها تخلفت عن [illegible] على هذه الجبهة [illegible] فوقفت صلاحيات فكريتها في [illegible] حدود [illegible] التي نشأت [illegible] فيها وعجزت عن تلبية حاجات النشأة العربية الإسلامية المتحضرة ذات الفكر المركب والتطور الحضاري المتقدم!

لكنها كانت طليعة الدعوات المنظمة ذات التأثير [illegible] الحديث [9]

---

(٧) [illegible] محمد عبده [illegible] سنة ١٩٧٢ م (٨) المصدر السابق جـ٣ ص ٣١٤

(٩) لمزيد من التفاصيل انظر كتابنا [باب الفكر الإسلامي] ص ٢٥٣ - ٢٥٨

(٢)
السنوسيّة

[illegible] السنوسية محمد [illegible] علي السنوسي [١٢٠٢ - ١٢٧٦هـ ١٧٨٧ - ١٨٥٩م] [illegible] محمد بن عبد [illegible] فقد ولد السنوسي بقرية [illegible] عربية لا تغلب عليها البداوة.

وكان طموحه إلى العلم والفروسية ملحوظاً منذ النشأة المبكرة [illegible] يقسم يومه إلى قسمين: أحدهما يطلب العلم، والثاني للفروسية [illegible] وهو قد درس في «القرويين» [illegible] القاهرة [illegible] من طرق [illegible] من شيوخ مكة والمدينة.

[illegible] السنوسي [illegible] [١٩٣ - ١٧٩٠هـ ٢ - ٧٩٥م] [illegible] «العقلانية» [illegible] من [illegible] السنوسي طريقته [illegible] يبث الدعوة ويصنع الدعاة.

● [illegible] السنوسية [illegible] فهي [illegible] فكرية السلطة العثمانية [illegible] إسلامها من [illegible] الطريقة السنوسية قد مزجت «الشريعة» بشيء من «التصوف» [illegible]

عروه حلاقه وقرميه ... وفي كتاب السنوسي [...] نسبه في حين سلاله لإدريسية] يدافع عن هذا الشرط من شروط الجمعة ، ويستشهد برأي ... الحسن عبد الرحمن [٣٦٤ - ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ - ١٠٥٨م] ويرفض رأي ... يشيعون في غير العرب من المسلمين !

ثم يبدأ السنوسية سياسية قد اتخذت من الدولة العثمانية موقفا وسطا بين "التعصب الجنسي" و"الرابطة الدينية" فهي في نفس الوقت تطالب المد الاستعماري الغربي على إفريقيا . وتقف الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، وخاصة في الجزائر ، حتى عندما كتب وزير خارجيته المؤرخ جابرييل هانوتو G.Hanotaux [١٨٥٣ - ١٩٤٤ م] وهو يتحدث عن "المسألة الإسلامية" ، فعبر عن ارتياحه من "كفاح" السنوسيين ضد الأهالي ، و"كراهيتهم للمدنية" الأوربية] وصرح بأن مقاومتهم غير ... من سلالة العثمانيين ، ومقاطعتهم لكل منتوجات هذه الدولة وبين ... في علاقات ... وعبر عن مخاوفه من مقاومتهم المستمرة لأوربة المسيحية لاستعمارية فقال : " ... إن جرائم الخطر لا تزال موجودة في نفوس الفتوح وعلى أفكار المقهورين الذين أنعشهم الكتب التي حافظت بهم ولكن ما نشط همتهم " ... ثم يستمر هانوتو في حديثه عن خطر السنوسية على الاستعمار الفرنسي وتقسيمه خطيرا في قوله : " لقد أسس الشيخ السنوسي في جهة ليست بعيدة من الأصقاع التي يملأ ملاكا في الجزائر ...] - مذهبا خطيرا له أشياع وأنصار ومن مذهبهم التشدد في القواعد لديه ولقد نشؤوا زمنا مديدا لا يرتبطون بعلاقة مع الدولة العلية والعثمانية بسبب ما بينهم من العلاقات وبين الدوب المسيحية - [الاستعمارية الأوربية] - وهم يطرحون جانبا المسائل التي أوقفت رجال بعثاتنا عن كل عمل مفيد نصاحبا

في إفريقيا الجنوبية ؟! فهناك في قرانا وبلداننا - [كذا] - ترى درويشا فقيرا متدثرا بأرديته البيضاء، المعلمة بخطوط سوداء، يلهج لسانه بذكر الله والصلاة على نبيه، لا يلويه عن ذلك شيء. وهذا الدرويش - الذي ينتقل من خيمة إلى خيمة ومن قرية إلى قرية - رواية حوادث الأقطاب الأولياء من مشايخ الإسلام - إنما يبذر في القلوب حيثما حل وأينما توجه، بذور الحقد والضغينة علينا »[1] ؟!

وعندما ضغطت الدول الأوربية الاستعمارية على السلطان العثماني عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨م] كي يوقف النشاط السنوسي، استجاب لهذا الضغط - بعد تمنع وإبطاء - فاستدعى المهدي السنوسي [١٢٦٠ - ١٣٢٠هـ ١٨٤٤ - ١٩٠٢م] المقيم في الأستانة، في « قفص ذهبي » كالذي احتبس فيه ذلك السلطان جمال الدين الأفغاني، حول ذات التاريخ ؟! ولكن المهدي السنوسي تخلص من هذا الفخ، منطلقا [illegible] وقل مقره بعيدا في الصحراء [illegible]، فعاد « جغبوب » إلى « الكفرة » [illegible] الخطر واقترب [illegible] من « الكفرة » إلى « فرو » بالسودان الأوسط ؟!

ذلك أن السنوسية كانت تدرك أن الضعف العثماني قد حول الدولة العثمانية إلى جدار مليء بالثغرات التي يتسلل من خلالها نفوذ الغرب الاستعماري كي يلتهم ديار العروبة والإسلام، حتى لقد غدا « البرك » كما يقول أحمد الشريف السنوسي [١٢٨٤ - ١٣٥١هـ ١٨٦٧ - ١٩٣٣م] [illegible] [أي المستعمرين الأوربيين] - ما دخلوا محلا إلا ودخله النصارى [illegible] وحتى

---

(١) [الإسلام والرد على منتقديه] ص ١٨ - ١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م

[illegible] مهدي السنوسي [١٢٦٠ ـ ١٣٢٠هـ ٨٤٤ ـ ٩٠٢م] [illegible]
والنصارى ، إني أقاتلهم معا !»

[illegible] السنوسيون ، كموقفهم مع العربية [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] هؤلاء الأعداء أو أتراكا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية

● وإزاء قسمة « التمدن » ، أبدعت السنوسية [illegible]
وتدعو البصائر إلى التأمل العميق [illegible]
[illegible] إلى جانب تبحره في علوم [illegible]
وأمام الخطر الاستعماري الشامل [illegible] والمهدد بكيان الأمة [illegible]
[illegible] « المرابطة » [illegible] الإسلام [illegible]
الأمة وحشد لها في وحدات مقاومة [illegible]
خطر الأعداء ! فكانت فكرة « الزاوية » السنوسية [illegible]
[illegible]
والإسلام ! كانت « الرباط » الإسلامي الحديث ، الذي بعث [illegible]
« الرباط » و « المرابطة » الإسلامية الأولى ، تلك التي [illegible]
الله عليه وسلم ـ « [illegible] في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ! »
[illegible] دولة [illegible] الإسلام [illegible]
دولة « المرابطين » [٤٤٨ ـ ٥٤١هـ ١٠٥٦ ـ ١١٤٦م]

البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حنبل

[illegible] مؤسسة « الحكومة » [illegible] [[illegible]]
[illegible]
[illegible] [[illegible]] [illegible] وللشيخ . وفيها بيوت للضيوف وعابري
السبيل [illegible] وفيها مساكن للخدم . ومخازن [illegible]
[illegible] وحول هذه المباني « الزاوية » توجد
مساكن [illegible] « الزاوية » في معظمهم [illegible]
[illegible]

[illegible] أرض زراعية خاصة بها [illegible]
[illegible]
[illegible] يوم الجمعة من كل [illegible]
[illegible]
وضيوفها ، غذاء وكساء وتعليم وعلاج ورواج . ومازال يلعب [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] الأرض [illegible]
[illegible] ومن هؤلاء [illegible]
[illegible] « الزاوية » [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] إن الأرض تموج من حولها
بأنواع الأشجار ويكثر فيها [illegible] وتنتشر فيها [illegible] ومتسع

الإدارة والعاملون فيها بالزراعة والحرف هم السابقون عند الله للعاكفين على الأوراد والأوراق والمسابح !»

[illegible] الخطر المحدق بأهلها [illegible] التي جاء عليها هذا النموذج السنوسي في [illegible] وهو [illegible] لم يكن النموذج الأصلح [illegible] لأنه قد كان [illegible] في واقعه وظروفه [illegible] على ذات التمايز والاستقلال الحضاري [illegible] كما كان [illegible] من أدوات النقطة الإسلامية التي واجهت [illegible] الموروث [illegible] استعمارا [illegible] وفكر جاء في ركاب الاستعمار ! (٢)

---

٢ [illegible] الحركة السنوسية [illegible] سنة ٩٧ [illegible] الإسلامي [illegible] سنة ٩٧ [illegible] والتحدي] ص ١٦١ ، ١٧٥ و [تيارات الفكر الإسلامي] ص ٢٦١ ، ٢٧

(٣)
المَهْدِيَّة

في [illegible] على بعد خمسة عشر كيلومترا من [illegible] [illegible] موسس « المهدية » [illegible] المهدي » [illegible] أحمد [١٢٦٠ ـ ١٣٠٢هـ ١٨٤٤ ـ ١٨٨٥م] في أسرة فقيرة [illegible] [illegible] الأزهر الشريف كي يتعلم فيه [illegible] [illegible] علم « الفقهاء الفقراء » [illegible] [illegible] حتى ذاعت شهرته [illegible] [illegible] سنة ١٢٩٧هـ سنة ١٨٨٠م

وكان [illegible] أحمد [illegible] إلى الإصلاح [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] الإصلاح [illegible] [illegible] الناس ؟!

وفي الأول من شعبان سنة ١٢٩٨هـ ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١م [illegible] أحمد على الناس أنه « المهدي » [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] جاءه في الرؤيا ، وكلفه « بالمهدية » [illegible] ودعا الناس إلى الإيمان به « مهديا » وإلى الهجرة إليه ، والجهاد معه لإقامة الدين [illegible]

[illegible] وحدة الشعب [illegible]

[illegible]

[illegible] الأسطورة [illegible] المهدية [illegible] وتمثل هذه الأسطورة الوثيقة الأهم في ظهور الأمة وتوحيد [illegible] للتجديد والتحرير والإصلاح !

* *

- [illegible] [١٢٣٨ [illegible] ١٣٠٩ هـ [illegible] ٨٥٢ [illegible] ١٨٩٢م [illegible] ؟

[illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م.

مصر [illegible] وكان هذا المنحى ، [illegible] في بلاد [illegible]
عصر الأتراك العثمانيين [illegible] السودانيين [illegible]
[illegible] الأوروبيين [illegible] والأتراك [illegible] والحكومة الخديوية
عدوا واحدا وبلاء متحدا !

[illegible] سنة ١٢٥٦هـ سنة ١٨٤٠م [illegible] مصر [illegible] من قبل الترك والعثمانيين [illegible] الأجنبي [illegible] حكم الخديوي [illegible] ١٢٧٠ – ١٢٧٩هـ ١٨٥٤ – ١٨٦٣م] والخديوي إسماعيل [١٢٧٩ – ١٢٩٦هـ ١٨٦٣ – ١٨٧٩م] [illegible] حكم الخديوي توفيق [١٢٩٦هـ ١٨٧٩م] [illegible] السودان [illegible] الحكومة الخديوية [illegible] تعيين العديد من الأوروبيين حكاما على أقاليم السودان ، يحكمونه باسم الخديوي ! [illegible] حكم [illegible] [illegible] حكم [illegible] حكم [illegible] حكم [illegible] [illegible] !

وكان السودانيون [illegible] حكم الخديوي [illegible] حكامهم الأتراك [illegible] توفيق إلى العرب والأتراك [illegible]

[illegible] حكم [illegible] وأهله [illegible] !

[illegible] « المهدية » [illegible] فهم « [illegible] » [illegible] حتى [illegible] ولا [illegible] معهم لا [illegible]

[illegible] « المهدي » لأتباعه [illegible] حديثه [illegible] عن [illegible] « قسمة غريبة معادية للسيطرة التركية » [illegible] يقول [illegible] تركوا كل ما يؤدي إلى التشبه بالترك لكفرة كما قال الله تعالى في الحديث القدسي [قل لعبادي المتوجهين إليّ لا يدخلون مداخل أعدائي ولا يلبسون ملابس أعدائي ، فيكونون هم أعدائي كما هم أعدائي] فكل الذي يكون من علاماتهم ولباساتهم فاتركوه [14] !

وهو يحدثهم عن أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أمره بذلك وحرضه عليه فعداء الترك واحد من « المهام المهدية » فيقول لأتباعه « لقد حرضني سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قتال الترك وجهادهم لقد أمرنا النبي أمرا صريحا بقتال الترك ، وأخبرنا بأنهم كفار ، فخالفهم أمر الرسول باتباعنا ولإرادتهم إطفاء نور الله تعالى الذي أراد به إظهار عدله ولقد أعلمني الرسول أن الترك لا تظهرهم المواعظ بل لا تظهرهم إلا السيف إلا من تداركه الله بلطفه ! » [15]

وهو يذكرهم بظلم الترك وعسفهم فيقول « إن الترك قد وضعوا الجزية في رقابكم مع سائر المسلمين وكانوا يسحبون رجالكم ويسحبونهم في القيود ويأسرون نساءكم وأولادكم ويقتلون النفس التي حرم الله بغير

---

(14) [illegible] المهدية ص ١٦٦ تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ م

(15) المصدر السابق ص ٧٤ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣٢

حقها. وكل ذلك لأجل الحرية التي لم يأمر الله بها ولا رسوله. فلم يرحموا صغيركم ولم يوقروا كبيركم!.»[16]

فشحن قومه بشحنة قومية، عندما استنفر فيهم روح «المغايرة» للأتراك وكان هذا إسهاما «للمهدية» على درب التمايز القومي عن الأتراك العثمانيين.

* * *

● وأمام «الفكرية» التي تبعت بها «طرق» التصوف والمتصوفة قمة الخرافة والشعوذة، كانت دعوة «المهدية» إلى سلفية الحرب العقل من هذه القيود والأغلال التي عطلت طاقات الفكر الإسلامي. ويكشف عن هذا الفكر الركام الذي أفقده معالمه الحقيقية. فدعت «المهدية» إلى العودة للمنابع، وإسقاط التفسيرات التي جاءت بنت زمانها وظروفها، بعد أن مر الزمان وتغيرت الظروف. فالمتقدمون رجال «فكروا» بعصورهم، ونحن رجال «نفكر» في إطار الأصول، بعصرنا. ولقد حدث «المهدي» أنصاره، وجاوز محادثته فقال لهم: «لا تعرضوا لي بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين. فلكل وقت ومقام حال، ولكل زمان وأوان رجال. ولقد كانت الآيات تنسخ، في زمن النبي، على حسب مصالح الخلق. وكذلك الأحاديث ينسخ بعضها البعض على حسب المصالح. نحن نقفوا آثار من سلف من المهتدين السالفين، على نهج محمد - صلى الله عليه وسلم -. فاتبعوا أحبابي كلام الله في القرآن. ولا تتبعوا ترهات فاتت الزمان! وقد بايعتموني على أن لا تشركوا بالله شيئا!»[17]

---

(١٦) المصدر السابق، ص ٤١ - ٤٢

(١٧) المصدر السابق، ص ٢٨٨ - ٣١

[illegible] « المهدية » [illegible] على [illegible] الفكرية [illegible]

[illegible] خليفة [illegible] وهم قد [illegible]

[illegible] الاستقلال [illegible]

أو حولته إلى « تراث تاريخي » [illegible] دوّن « المهدي » للشعب أحكاما فقهية لم تلتزم بمذهب فقهي واحد [illegible] وصح فيها أثر المذهب الشافعي أكثر من [illegible] « المصلحة » في تفسيرها لنصوصها المتعلقة [illegible] وسلكت سبيل الاجتهاد إلى هذه السلفية [illegible]

[illegible] الاستقلال [illegible]

الإسلامية [illegible]

● [illegible] « جماعية الفكر الاجتماعي للإسلام » [illegible] والسلط ، والذي لم تتميز فيه بعد الطبقات تمايزا جادا وراسخا وعريقا [illegible] بيرها واكتووا بنارها قرونا تطاول عليها الأمد !

[illegible] الحكام [illegible] المهدية [illegible] ينتفعون بالظلم الاجتماعي الذي ساد قبل الثورة [illegible] « المهدي » [illegible] « المهدي » قد استنفر جماهيره إلى الجهاد

باحثة موعودة . وهيأ لهم سبل العيش وأدوات الجهاد بالجماعية الإسلامية التي أقامها لهم في الثروات والأموال والاقتصاد

[illegible]

[illegible] [وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها [illegible] إنا بما أرسلتم به كافرون [illegible] أهل [illegible] والطغيان عن [illegible] الأحلاف [illegible] الأحساد [illegible] الأكباد [illegible] والمسكنة [illegible] وجعلهم الله غنيمة لضعفاء الأعراب [illegible] وكذلك نرجو الله أن يكون الأغنياء [illegible] غنيمة للفقراء والجهلاء والأعراب [illegible]

[illegible] المهدي على خصومه من الأثرياء [illegible] الأثرياء [illegible] صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كانوا أغنياء [illegible] يرد « المهدي » على خصومه هؤلاء

---

٨ [illegible] ٢٠

٩ [illegible] ٣٤ ، ٣٥

(٢٠) [مشورات المهدية] ص ٣١٣ ، ٣١٤

[illegible] الصحابة [illegible] الأسباب [illegible] يدخلوا فيها إلا بعد الخروج عن كل شيء، حتى [illegible] الإيمان في قلوبهم [illegible] ومن كان عنده منهم [illegible] فهي [illegible] كانت في [illegible] لا في قلوبهم [illegible] وكانوا عليها كالوكلاء [illegible] ينفقونها حسب أوامر موكلهم ومولاهم ولذا قال لهم ربهم [وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه] [22] ولم يقل وأنفقوا مما ملكتموه ! وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] آخر صحابي دخولا الجنة [illegible] عبد الرحمن بن عوف [illegible] وهو أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي [23] »

وانطلاقا من هذا الفكر الإسلامي المتحرر [illegible] الجماعة، واستجابة لضرورات [illegible] وطبيعة، أقام « المهدي » [illegible] الاجتماعية المتميزة عن التطبيقات العثمانية والمملوكية، وعن [illegible] الحضارة الأوربية في الأموال والاقتصاد [illegible] في البيعة له « بالمهدية » كان المبايعون يعطونه أنفسهم وأموالهم [illegible] وهو هنا الرمز والتجسيد للجماعة و « للدولة » [illegible] وفي الأرض الزراعية. وقف بالملكية عند الحد الذي يستطيع الإنسان المالك أن يزرعه وما زاد على ذلك « يعطيه لأخيه المؤمن المحتاج » [illegible] أما الدكاكين، والوكالات التجارية، والقيصريات [illegible] والمعاصر والطواحين، وموانئ السفن [illegible] المشارع] [illegible] فلقد اعتبرت، كالفيء، مصالح عامة، فهي للمجاهدين والمساكين !

---

(٢١) الأسباب [illegible] من المال الذي يستثمر

(٢٢) الحديد ٧

(٢٣) [منشورات المهدية] ص ٣٣، ٣٤، ٥١، ٥٢، ٢٦٧

وفي هذا النظام الاجتماعي الجماعي تقررت للإنسان المقادير الكافية سد ماله من احتياجات ضرورية، دون ما زاد عن الضرورات. فمن نصر للجهاد فله ضرورته، والزائد على الضرورة إنما هو على العبد لا له، ومصالح الخلق كلها متعلقة ببيت المال، كما يقول «المهدي»[24].

هكذا أبدعت «المهدية» في [illegible] الاجتماعي خاصة [illegible] الإسلام [illegible] ومصالحه.

[illegible] الأسطورة [illegible] «المهدي» [illegible] الأرض عدلاً بعد [illegible] امتلأت بالجور والفساد»[25].

[illegible] دعوات [illegible] «المهدية» [illegible] «المهدية» [illegible] من [illegible] «الاستقلال [illegible] الإسلامية».

وإذا كانت هذه الدعوات وحركاتها قد منعتها «نداوة البيئة» من أن تولي [illegible] بمواجهة الغزوة الأوربية المسلحة [illegible] الحديثة [illegible] «قضية» أخرى

---

(٢٤) المصدر السابق ص ٢٢٨، ٢٤٥، ١٦٤ - ١٩٦، ٩٧ [illegible] ٢٦٥ [illegible] ٢٦٨ - ٢٧١

٢٥ [illegible] التفاصيل، انظر كتابنا [تيارات الفكر الإسلامي] ص ٢٧١ - ٢٨٤

من فضائل التجديد الديني قد برئت دعوتها من هذه الثغرات والسلبيات . وهي مدرسة [الجامعة الإسلامية] التي تبلورت من حول جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م] والإمام محمد عبده [١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م] وعبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠ ـ ١٣٢٠هـ ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢م] وعبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ ـ ١٣٥٩هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠م] . فإن [الجامعة الإسلامية] هذا قد استفاد من تجارب مبدئية في هذا الميدان . ولذلك وجدنا عنده

(أ) السلفية في الدين : جدده ، والعقلانية أداة في هذا التجديد .

(ب) والعروبة في القومية : على أسس حضارية ، غير عرقية .

(جـ) والموازنة بين الخصوصية الحضارية ، وبين الاستفادة من الحضارات الأخرى .

(د) والنظرة المستقبلية المستنيرة في « التمدن » .

(هـ) والموازنة بين « الخصوصية القومية » للعرب ، وبين « الرابطة الإسلامية » الجامعة لقوميات أمة الإسلام .

في فكر أعلام هذا التراث الذي لم يقم بعد التجربة التي جسدها تكتمل العناصر الأولية والضرورية لمشروع الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية !

(٤)
تيار الجامعة الإسلامية

أعلام هذا التيار

أعلام تيار [الجامعة الإسلامية] كثيرون . وبعضهم ... بالغ ... بالكثير في بعض أجزاء بعض العرب والعالم الإسلامي ... الفكر واحد منهم فكره عن حر ... وقد ... عوا سنة و ... لأوضاع و ... الجامعة المتحدات إلى أن يكون تركيز بعضهم على قضية بعينها دون ... القضايا الأخرى . كما ... في مجموعهم ... الجامعة بشيء يميز ... عن المجتمعين عن غيره من سائر ... التي قادت حركة النهضة الإسلامية الحديثة .

● ... من أعلام هذا التيار هو حمان الدين الأفغاني [١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٣م] عرف ... ولد ونشأ في بلاد الأفغان ... فيما يرجح إلى الإمام الحسن ... على ... ... وعرف بعض ... بالكثير من نسبه لأبي ... فضل أن يتبع شائعة ... من عمره لأن في ... سوم عربة ... ح وعلوم شريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول ... كلام وتصوف ... وعلوم عقلية ... من منطق وحكمة عملية ... تجريبية ... وحكمة نظرية ... طبيعة وإلهيات ... علوم رياضية ... من حساب وهندسة وجبر وهيئة وفلك ... الطبيعيات ... طب وتشريح

وهو من ... ب ... شائعة ... بالغ علاوة ... بحقيقته وعلاقته

بعلماء الشيعة وفكرها ... كزها ، بالعراق ، عند صدر شبابه ... فلم تتدرب
[illegible] ... حيث [illegible] فوق [illegible]
[illegible] ، لأن [illegible] ، وعقلانيته [illegible]
[illegible]
حقيقة لأمته من نهضة وانطلاق

[illegible] ولم يكن [illegible] الفكري والنظري [illegible]
[illegible] في [illegible] الأفغاني [illegible] الأمير محمد [illegible]
[illegible] [١٢٨١ - ١٢٨٤هـ ١٨٦٤ - ١٨٦٧م] [illegible] الإنجليزي [illegible]
في أفغانستان [illegible] في هذا [illegible] إلى منصب
« الوزير الأول » في [illegible] الإنجليز
[illegible] الأمير شير علي [١٢٤٠ - ١٢٩٦هـ ١٨٢٥ - ١٨٧٩م]
[illegible] سنة ١٢٨٥هـ سنة ١٨٦٨م [illegible]
[illegible] الإنجليز [illegible] إلى [illegible]
مصر سنة ١٢٨٦هـ سنة ١٨٦٩م [illegible] إلى مصر [illegible]
[illegible] [١٢٨٨ - ١٢٩٦هـ ١٨٧١ - ١٨٧٩م] [illegible]
[illegible] حياته الفكرية والنضالية ، وفيها تبلور [illegible]
والتجديد

[illegible] على [illegible] في [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible] وكان عهد مصر قد انقطع بهذا اللون من ألوان الفكر
[illegible] « دون العسكر » [illegible] الصوفية
وخوانقها والمدارس الأشعرية [illegible] [دار الحكمة] و [مجالس الدعاة] ومنهج
[الأزهر] العقلاني !

وفيها أنشأ وراعي [illegible] الصحافة غير حكومية ، وكانت من قبله حكومية في الأساس . فكانت صحف [مصر] التي أسسها أديب إسحق [١٢٧٢ - ١٣٠٢ هـ ١٨٥٦ - ١٨٨٥م] و [[illegible]] التي أسسها سليم نقاش [١٣٠١هـ ١٨٨٤م] و [illegible] الشرق التي أسسها إبراهيم اللقاني [illegible] الصحافة الشعبية في البلاد . وكان الأفغاني يكتب فيها بتوقيع « [illegible] » [illegible] كما كان يملي على تلاميذه مقالات يسترونها بأسمائهم حتى [illegible] من جولة كوكبة من الكتاب الشباب [illegible] العربية في الإنشاء [illegible] « المقال » الحديث !

وفيها تنور من جولة التيار الشعبي في التنوير . ومن قبله كان جهاز الدولة المصرية هو المصدر الوحيد للتنوير . وفيها كانت التربة الخصبة التي استقبلت بذور أفكاره أطيب استقبال ، حيث نبتت ونمت وأينعت [illegible] من [illegible] في [illegible] فيه هذا الفيلسوف العظيم

وفيها أنشأ [الحزب الوطني] الحزب الذي جمع [illegible] وأنصار [illegible] وهو الحزب الذي قاد الثورة العرابية . وبعد هزيمتها هيأ نفر من بنيه لنشأة [الحزب الوطني] الذي قاده مصطفى كامل [١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م] ونفر آخر منهم [illegible] [[illegible]] [illegible] قادها الأفغاني ، وأصدر مجلتها من باريس

[illegible] من مصر [illegible] من [illegible] الأوربيين [illegible] توفيق [١٢٩٦هـ ١٨٧٩م] ذهب إلى [illegible] وهناك منع من الحركة حتى [illegible] [١٣٠٠هـ ١٨٨٣م] [illegible] [illegible] فأصدر مجلة [illegible] ومعه الشيخ محمد

عنده [illegible] توقف [illegible] [٣٠٣ - ٨٨٦ م]
[illegible] [١٣٠٤هـ ١٨٨٧م] [illegible]
[١٣٠٧هـ ١٨٩٠م] [illegible] [٣٠٨ هـ ١٨٩ م] [illegible]

[illegible] حرفة [illegible] حرفة [illegible] على [illegible] سوى الأنصار [illegible] الإسلام [illegible] ٢٥٨ - ١٣٣٦هـ ٨٤٢ - ١٩١٨م] في [illegible] [١٣١٠هـ ١٨٩٢م] [illegible] « قفص السلطان الذهبي » [حتى [illegible] روحه إلى بارئها [١٣١٤هـ ١٨٩٧م] [٢٦]

● [illegible] ٢٦٦ [illegible] ١٣٢٣هـ ٨٤٩ [illegible] ١٩٠٥م] [illegible] على الأفغان [illegible] على الإصلاح [illegible] [illegible] ١٢٩١ - ١٣٦٣هـ ١٨٧٤ - ١٩٤٢م] [illegible] أي ملك من الملوك أنت ؟]»

[illegible]

---

٢٦) انظر دراستنا عن حياته في تقديم الأعمال الكاملة [illegible] سنة ١٩٦٨م [illegible] ١٩٧٩

[illegible] ثم [illegible] منهج [illegible] حتى

كان قدوم الأفغاني [١٢٨٨هـ ١٨٧١م] فحدث له [illegible] ثم

[illegible] في طلاب الأزهر

[illegible] حيث [illegible] الأفغاني كان [illegible] أستاذه [illegible]

صحبة الأفغاني [illegible] ثم أصبح [illegible]

[illegible] الأفغاني [illegible]

ثم نفي [illegible] [العروة الوثقى]،

[illegible] من الأفغاني في خلال [illegible]

بيروت [illegible] عودته إلى مصر [illegible]

[illegible] إصلاح المؤسسات الإسلامية [illegible] الأزهر [illegible] والأوقاف [illegible]

الشرعي [illegible]

التقليد، وتجديد اللغة العربية وعلومها [illegible] ولقد أصاب الكثير من [illegible]

[illegible] ولكن [illegible] الخديوي عباس حلمي [illegible]

من مشروعاته الإصلاحية. كما أن جمود أغلب شيوخ الأزهر قد منع جهوده

الإصلاحية من بلوغ ما أراده من إصلاح الأزهر، حتى [illegible]

بسبب هذا الإخفاق [١٣٢٣هـ ١٩٠٥م](٢٧) !!

● [illegible] الكواكبي [illegible] ١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ

١٨٥٤ - ١٩٠٢م [illegible] من [illegible] الفكر [illegible]

وهي الأفكار [illegible] في كتابيه [أم القرى]، و[طبائع الاستبداد].

وقد [illegible] الكواكبي [illegible]

---

(٢٧) انظر دراستنا عن حياته في تقديم الأعمال الكاملة له [illegible] طبعة بيروت سنة ١٩٧٢.

يعتقد منها الشيخ أبو الهدى الصيادي [١٢٦٦ - ١٣٢٧ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٩م]

وفي [١٢٩٥هـ ١٨٧٨م] صدر الكواكبي صحيفة [الشهباء] . أول صحيفة عربية تصدر في ولاية حلب . فلم يمهلها العثمانيون أكثر من خمسة عشر عددا . فأصدر في العام التالي جريدة [الاعتدال] . ولقد أوصله [illegible] إلى هجران الوظائف ، وإفلاس التجارة ، وتعريض حياته للخطر ثم قاده إلى السجن [١٣٠٣هـ ١٨٨٦م] . فلما اضطر العثمانيون إلى الإفراج عنه تحت ضغط جماهير الولاية ، أطلقوا سراحه ، ثم عادوا لإلقاء القبض عليه [illegible] بالاتصال بدولة أجنبية [illegible] ولكن جماهير [illegible] ضغطها [illegible] على إعادة محاكمته خارج الولاية . فعرضت القضية على محكمة بيروت التي حكمت ببراءته .

وفي تلك الأثناء كان الكواكبي قد أنشأ [جمعية أم القرى] . وهي الجمعية التي عقدت مؤتمرها السري بمكة ، والتي أصبحت ما ولات مؤتمرها هذا سائر كتابه [أم القرى] . وفي هذا المؤتمر حضر ممثلون للبلاد العربية والإسلامية وللجاليات الإسلامية التي تعيش خارج العالم الإسلامي .

ولما أصبحت حياة الكواكبي مهددة في حلب [illegible] مصر . فوصل إليها سرا [١٣١٦هـ ١٨٩٩م] . وفي مصر [illegible] كانت بين حكومتها والدولة العثمانية يومئذ . فنشر كتابه ، فصولا في الصحف . ثم جمع الفصول فصدرت في الكتابين . ومنها قام برحلة إلى بلاد المشرق العربي [illegible] وتسلمه في إفريقيا .

وبعد [illegible] مؤتمر [illegible]

به جاسوس من جواسيس السلطان عبد الحميد ، فكان استشهاده [١٣٢٠ هـ ١٩٠٢م] [٢٨]

● أما في المغرب العربي ، فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ ـ ١٣٥٩هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠م] يعد أبرز ممثلي هذا التيار ، وهو من مواليد قسنطينة ، بالجزائر ، وقد تعلم علوم العربية والإسلام ، ومن شيوخه في تلك المرحلة الشيخ حمدان الونيسي ، الذي أخذ عليه عهد أن يقاطع الحكومة الاستعمارية ، فالتزم العهد ، وصار يأخذه على تلاميذه فيما بعد !

وفي التاسعة عشرة من عمره [١٣٢٦هـ ١٩٠٨م] ذهب إلى جامعة الزيتونة ، بتونس ، فدرس فيها ما لم يكن يستطيع أن يدرسه بالجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي ، الذي كان يحرم العربية ويطارد السمات القومية للجزائريين كي يسحقها ، وليجعل منهم فرنسيين « مسلمين » ، ومن أمثالهم الاستعمار الفرنسي ، عبر البحر المتوسط ، في القارة الأفريقية .

وفي [١٣٣٠هـ ١٩١٢م] سافر ، حاجا إلى الحجاز ، وقد التقى بعدد من الشيوخ الجزائريين الذين هاجروا وجاوروا بمكة والمدينة ، فعرض عليه بعضهم أن يجاور مثلهم ، [illegible] ولكنه كان قد [illegible] في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر ، فرفض هجرة [illegible] « نحن لا نهاجر ، نحن حراس الإسلام والعربية والقومية في هذا الوطن » . وقبل عودته إلى الجزائر اتفق مع الشيخ البشير الإبراهيمي على خطة لتنفيذ البرنامج الذي لخصته كلماته هذه . وكانت الخطة هي إعداد جيل من الرجال الذين يواجهون محاولة السحق القومي في الجزائر ، ويعيدون الجزائر إلى العروبة

(٢٨) انظر دراستنا عن حياته في [illegible] الأعمال الكاملة ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٥م .

والإسلام والقومية [illegible] رحاب ، متمكون وضوحا في الهدف وفكرة صحيحة توصل إليه . حتى وإن كانوا ذوى علم قليل ، ويعرفون حدود عليهم [illegible] التى [illegible] تسمى [illegible] الأمانة حتى تأتى بعد الثورة وستخلص الاستقلال من المستعمرين !!

[illegible] [illegible] حتى [illegible]

[illegible] فكان يعتقد [illegible]

القرب [illegible]

[illegible] [١٣٣١هـ ١٩١٣م] حتى [١٣٣٦هـ ١٩١٨م [illegible]

هؤلاء الرجال !

وعندما أقامت فرنسا [illegible] والمستعمر [illegible]

على [illegible] [١٣٤٩هـ ١٩٣٠م] [illegible]

[illegible] [١٣٣٠هـ ١٩١٢م [illegible]

[illegible] في ذى الحجة ١٣٤٩هـ مايو سنة ١٩٣١م [illegible]

[illegible] هويتها العربية الإسلامية ، ومهمة الطريق [illegible]

[illegible] على [illegible]

وكذلك [illegible] في [illegible]

الاستعمارية بالجزائر ، فحررها [illegible] سنة ١٣٤٣هـ سنة ١٩٢٥م .

[illegible] [١٣٤٥هـ ١٩٢٦م]

وفى [١٣٤٣هـ ١٩٢٥م] بدأ نشاطه الصحفي [illegible] في [illegible]

[illegible] [[illegible]] [illegible] [[illegible]] سنة ١٣٤٤هـ سنة ١٩٢٦م

[illegible] الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء [illegible]

لاستعمار [illegible] عشر عدد [illegible] عاد فأصدر صحيفة [illegible]] ، [illegible] ثم شهرية [illegible] كما أصدر صحفاً أخرى تعرضت للمقصود [illegible] ، منها [الشريعة] ، و [السنة المحمدية] و [الصراط]

وقبل [illegible] بن باديس [illegible] ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ [illegible] سنة ١٩٤٠م [illegible] الإسلام [illegible] [١٣٧٤هـ ١٩٥٤م] [illegible] سنة ١٣٨٢هـ سنة ١٩٦٢م [illegible] بمكة [illegible] نحن لا نهاجر نحن حراس الإسلام والعربية والقومية في هذا الوطن ! فأثبت أن الإسلام والعربية والقومية [illegible] [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible] أعلامه في بلاد المغرب العربي على الإطلاق [illegible] [٢٩]

هذا عن أبرز أعلام هذا التيار

والمناخ الذي تبلور فيه :

[illegible] أكثر [illegible] العربية الإسلامية [illegible] [الجامعة الإسلامية] حول [illegible] جمال الدين الأفغاني [illegible] كان مستحيلاً [illegible] فكر [illegible] التي [illegible] إسلامية [illegible] في محيط [illegible]

---

٢٩ [illegible]

ولقد تحول بحث أمتنا عن ذاتها في فكر هذا التيار، إلى دعوة للتجدد الذاتي في الدين والدنيا، ينهض فيها «العقل» بدور المصباح الذي ينير الطريق - طريق الدنيا، وأيضا طريق الدين! وصولا إلى بلورة حضارة مستقلة تصنع بمدنا إسلاميا متميزا، وتكون الطور العصري لحضارتنا التي ازدهرت في حقبة سابقة من التاريخ.

ولقد أدّى هذا التيار [illegible] الأفغاني [illegible] في [illegible] الشرق [illegible] وبشر بها عندما قال: «لقد أوشك فجر الشرق أن ينشق، فقد [illegible] ظلمات الخطوب، وليس بعد هذا الضيق إلا الفرج! [illegible] هذا الشرق وهذا الشرق لا يلبث طويلا حتى يهب من رقاده [illegible] هو وأبناؤه من [illegible] الخوف [illegible] فأخذ في إعداد عدة الأمة [illegible] لاستقلالها، المستنكرة لاستعبادها» [3].

وبحكم الانتماء الإسلامي لأعلام هذا التيار، وولائهم الأول للإسلام «الدين» و«الحضارة»، كان وضوح فكره عن أن الإسلام هو أساس هذه النهضة، وهو أداتها، وهو الحافز إليها، فالإسلام هو «فكرته» [أيديولوجية] - الأمة، الفعالة، إذا حددت [illegible] بعث طاقاتها ودفعها [illegible] حاضرها ومستقبلها على نحو مستقل ومتميز حضاريا، وأمام هذا «الكنز» الذي يمثل «الفرصة» الطبيعية والمواتية، لا منطق عند [illegible] يبحثون عن «التبديل» [illegible] «فهذه سبيل مزيد الاصلاح [illegible] لا مندوحة عنها، فإن إنيابهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء، ولا يسهل

---

(٣) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ٢٣، ٢٤٣

عنه ... حد من عوامل ... وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها . ولأهله كل الثقة فيه وهو حاضر لديهم والعلماء في إرجاعهم إليه أخف من احداث مالا يلام هم به فهم العدول عنه إلى غيره [٣١] ... كل نقص ... الإمام محمد عبده !

... أهل بعثة الأنبياء ... من تؤلف منهم من جريح سنة ١٩٠٠ ... على أحسن الفروض سبع عشرة سنة ... والسعادة من أسهل الطرق فيها ... وجهة لأنها في فطرتهم ... ثم ... الإنسان ... أكثر من عشرة ... وبين كل منهم مع فخر هو ... وجهة ... لأمة كبيرة ... لا أقل لأعيد هذه الأمة بالنصارى له ، إن هو تحول ، بالتجديد ، إلى دينه خلاقه تحرك لأمة نحو خير أهدافها !

... الإسلام هو ... نفسه ... وجوهر ... لا يعني ... في ... هذا الدين ... فكر ... ومعتقد ... يتحول كل ... حضارة ... حاضر ومستقبل ... فهو ... في هذا ... حر ... يعمل ... على « طلب السعادة من أبوابها » ، بصرف النظر عن لون هذه الأبواب ، ومصادرها ، وعقائد مدعيها ، أجناسهم ... وما فيها من خير ... الكوكب الذي نعيش فيه ... شريطة أن لا تتعارض مع « الأطر » و « مثل » و « الغايات والمقاصد » و « المعتقدات » و « الحدود » التي حددها « الإسلام ... في ... « البسلمة في الدين ... ديننا ... في فكر ... [...] لإسلامه ! ... نستقيه ولا نستعيره ولنتمتع في النعمى والحضارة ... من ...

---

(٣١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ ٣ ص ٢٣٩

[illegible] ورزق الله [illegible] وباحدهم بأحكامه، [illegible] وللقرآن الكريم في إحدى اليدين [illegible] كتشف الآخرون في اليد الأخرى - ذلك لآخرتهم، وهذا لدنياهم [illegible] يرحمون لأورثتهم فيرحمونهم!»[٣٢]

[illegible] الإسلامية موقف [illegible] هو [illegible] في [illegible] ما هو [illegible] «أدوات» [illegible] وتدعيمها [illegible] واحدة، [illegible] الأدوات [illegible] ٥٢٠ هـ/١١٢٦ ـ ١١٩٨م هذه الحقيقة فقال: «إنه [illegible] أن [illegible] عن [illegible] في [illegible] أن [illegible] كانت فيها شروط النصحة، وعلى غير ذلك من [illegible] الأشياء من القدماء قبل مئة الإسلام!»[٣٣]

[illegible] الأمة، هو أن يحدد هذا [illegible]

---

٣٢ [illegible] ص ٢٥٢.

٣٣ [illegible] ص ٢٩ [illegible] ط القاهرة ١٩٧٢م، والذكرة في النص.

عبد [illegible] بقرابة [illegible] به و[illegible] بين حقيقته وجوهره [illegible] كي يبدو [illegible] به، عبده بصلاة و[illegible] سلام عن الله، سبحانه وتعالى [illegible] فلا [illegible] بلا [illegible] من [illegible] حكام [illegible] لا يريدون [illegible] بعوضاء بعينها مرئيين لأحد [illegible] ويرفضون [illegible] بسبب جهلاء [illegible] جديدين يطرحون [illegible] بدين، بصرف النظر عن الأخلاق بعد حق بصريح [illegible] بالبحث عن [illegible] موقف [illegible] بعقلية في [illegible] دين [illegible] وبدونه من [illegible] يرفض [illegible] بسلطته، ثم [illegible] فرضه [illegible] على كل [illegible] دين [illegible] بقدرة [illegible] تهديد، فيحتاج [illegible] بن [illegible] يحتاج [illegible] به [illegible] بن [illegible] عبده [illegible] بين [illegible] كي يقول عبد الرحمن الكواكبي[٣٤]

[illegible] لعلامة [illegible] بمحمد [illegible] دين [illegible] وعن [illegible] ب [illegible] ه [illegible] حلاق [illegible] في [illegible] عبده [illegible] بي لأنه [illegible] بحمد [illegible] من [illegible] لأسس [illegible] واسطرد [illegible] مستشهدة، [illegible] بنصه [illegible] على [illegible] بحتف [illegible] بيارت [illegible] حضارية [illegible] من [illegible] موقع [illegible] شد [illegible] مصلح [illegible] بالبحث [illegible] بين [illegible] « الثوابت » و« المتغيرات » من [illegible] فروض[٣٥]

الموقف الوسطي (المتوازن)

[illegible] بقد [illegible] كان [illegible] وضح [illegible] ر [illegible] بار [illegible] [جمعية [illegible] لإسلامية] يمثل موقف [illegible] شب [illegible]، [illegible] وسط [illegible] بين [illegible] تيارين [illegible] بدين [illegible] اسقطت [illegible] جمهور [illegible] لأمة [illegible] وقادتها [illegible] في [illegible] دث [illegible] تاريخ [illegible] فعن [illegible] نسبة [illegible] أهل [illegible] « جمعية » [illegible] متحصون [illegible] بمؤسسات [illegible] تعرف [illegible] بجمعية [illegible] بشيخية، [illegible] وثبت [illegible] بدين [illegible] توفي [illegible] بهم [illegible] « عكر » [illegible] عن [illegible] خط [illegible] عصر [illegible] « سنكي [illegible] ، [illegible] يقيان [illegible] في [illegible] عكر [illegible] وعن [illegible] بـ [illegible] « دده » [illegible] معرب [illegible] ، [illegible] بدين [illegible] بهم [illegible] حضرة [illegible] بدده [illegible] ، [illegible] ورثهم [illegible] بـ [illegible] بدين [illegible] وبهار [illegible] تلوجهم [illegible] عن [illegible] عبده [illegible] بي [illegible] يقدمها [illegible] بإسلام [illegible] وترثه [illegible] هي [illegible] « خمدة »[٣٦] [illegible] ولإبنه [illegible] محمد [illegible] ف [illegible] د [illegible] حكى [illegible] كبد [illegible] شد [illegible] بد [illegible] [جمعية [illegible] لإسلامية] [illegible] بهذا [illegible] موقف [illegible] وسطي [illegible] حدد [illegible] بقول [illegible] : [illegible] هم

(٣٤) [لأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي] ص ١٨٩ ، ١٨٧

« [illegible] نشأته وتربيته [illegible] لقد نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر [illegible] يدخلون [illegible] ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون واندفعت إلى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه وناديت بأحسن مما وجدت ودعوت إليه . وارتفع صوتي بالدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة . قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله ليرد من سقطه وتقل من خلطه وخبطه . لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني وإنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث في أسرار الكون داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل كل هذا أعده أمرا واحدا

وقد خالفت في الدعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين تتركب منهم جسم الأمة

- طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم
- وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم

ثم يتحدث الإمام محمد عبده عن موقعه في [illegible] الأفغاني [illegible] [illegible] كنت [illegible] الدعوة [illegible] في كثير مما ذكرت . [illegible] »[25]

---

(٢٥) [illegible]

فنحن هنا بإزاء : موقف ثالث وموقع ثالث ... ثالث متوسط بين أهل « الجمود » ، وبين دعاة « التغريب »

وإذا كان هذا الموقف يتسم بـ « الوسطية » ... فهو يسير على طريقه سلف الأمة من غير خلاف ، و خروج عن كتاب الله وسنة رسوله لأولى « ... فيه الاعتدال في هذا الموقف مع خط الوسطية « المتدينة » ... في وقت عند « ظاهر بعض ... وتجاذب من « بعض » مواقف عن واقع ... في هذه المنطقة ... المتخلف فيه ... والموقف المتوسط في الحضارة وشؤون الحياة ... فهذا سيد يتقد ... صراحة ، هذا الموقف من « الوسطية المنشودة » ... من ذلك أن أصحابه كانوا « صبيا عظيما ـ [أفق] ـ وأحرج صدرا من المقلدين ، فهم وإن يكرهوا كثيرا من البدع ويحذروا عن الدين كثيرا مما أضيف إليه ، وليس منه ، لا يهم يروم وجوب الأخذ بما يفهم من نص الوارد ، وبتقيد به ، دون التفات إلى مقتضيه الأصول التي قام عليها الدين ، وبها كانت الدعوة ، ولأجلها منحت السعة ، فلم يكونوا لتعلم أولياء ، ولا للمدنية أحياء [٣٦] »

وفي حين جعلت « الوسطية المنشودة المنضوية » هذا الموقف غير وارد في « بعض » في « مفكر الندوي » ... يعكس على موقفها من ... العلم ... « ... [الجامعة الإسلامية] يعلن من منطلق بعض في حين « ... و « الدنيا » جميعا ، بل لقد اعتبر « الدين » « من ضمن موازين العقل البشري ... في وضعها ... من ... العقل ... من حيث ... حيث ... في حكمه ... في حقل ... العقل الإنساني » ... الوسطية ...

---

(٣٦) عصر الدين ج٣ ص ٣

[illegible] وثق [illegible]
[illegible] الإنسان [illegible] لكن [illegible]
الثقة ، ويعول عليه في الإصلاح

[illegible] مشرقي [illegible]
[illegible] الإنسان [illegible] على [illegible] [37] وهو
[illegible] الإنسان [illegible] الله [illegible]
[illegible] والأخلاق » [38]

[illegible] [[illegible]] [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible]
[illegible] الحدود [illegible]
[illegible] الكمالات [illegible] أشرف [illegible] [39]

[illegible] [الجامعة
الإسلامية] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إلى [illegible]
[illegible]

(٣٧) المصدر السابق [illegible] ص ٤٢٨ ، ج ٣ ص ٢٩٨
(٣٨) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ٢٥٦ ، ٢٥٧
(٣٩) [illegible] ص ٢٦

[illegible] ولكنه سلاف من جوهر معقول [illegible] [illegible] [illegible] أخرى [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] وهو وحده معجز [illegible]

[illegible] فهو معجزة عرضت على العقل ، وعرفته القاضي فيها [illegible] واطلقت له حق النظر [illegible] ، وشرط [illegible] في [illegible] فالإسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري . فلا [illegible] في [illegible] ، ولا [illegible] غير معتاده ، ولا [illegible] [illegible] ، ولا يقطع فكره [illegible] [illegible] إلا إلى عقل دينه وعرفه بنفسه حتى [illegible] [illegible] [illegible] وعمل ، ولو [illegible] ، فهو غير مؤمن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أنه الخير [illegible] لمرضى الله ، [illegible] الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه [illegible]

[illegible] [الجامعة الإسلامية] ، لا على [illegible] [illegible] وعلى أهل [illegible] [illegible] بإنكارهم [illegible] على أسباب [illegible] ، والإنكار وجود القوانين [illegible] والطبيعية الثابتة [illegible] في [illegible]

[illegible]

كذلك كانت عقلانية هذا التي تميزه عن [illegible] ذي
سي يقر من أنفه مدينة تعرف الفلسفة ، تلك التي ظل أهلها أن انتسم
وجوه [illegible] ، ويعوي شاه من [illegible] ، وتجمع بسيره في لأوهامه وأحلى
وأسلاف

فيه « العقلانية الإسلامية » حتى [illegible] (الجامعة الإسلامية) عن
الإنسان المسلم المكون ، عندما أقام الموازنة [illegible] بين « الوحي
لأوهام ، وبين « العقل » [illegible] ، وبين « العقل » ، ولارتباط الضروري
بين الأسباب والمسببات ، [illegible] من مهام العقل ، وحتى « العقل
المطلق » ، وأن [illegible] الإنسان أن يتوصل إلى حقائق
وكل ما ليس في [illegible] ، وتقدم [illegible] ، وتحسين حال معيشة
وتحسين في أحواله المكتسب ، وتقدم [illegible] ، [illegible]
إليه من أسرار العلم ، فسيتم ما لا يدخل في [illegible] ، [illegible]
العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه كي لا يحدث [illegible] ، ولا يحس
أحدا من الناس بشر في نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق [illegible]
البرق والرعد والصاعقة ، وأسباب حدوثها . ليست من [illegible]
لأنها من غير [illegible]) . وحدثت [illegible] في [illegible]
معرفة باختلافهم ، ولا تتوقف على الوحي [illegible] ذكر بعض ظواهر الطبيعة .
[illegible] لا تحس ولا تدرك ، وصف بعض [illegible] ، وبين
[illegible] ، وبين [illegible] ، [illegible] ، [illegible] حتى
[illegible] (٤١)

---

(٤١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠

والأفغاني يتحدث عن هذا الفريق [illegible] من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف من شبابهم إلى البلاد العربية [illegible] وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني! [illegible] يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية - [القومية] - وما شاكلها [illegible] ومنهم آخرون قلبوا وصاغ [illegible] وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والأبنية وسائر [illegible] وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الأجنبية وعدوها من مفاخرهم فنقلوا بذلك ثروة بلادهم إلى غير بلادهم! وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم وهذا جدع لأنف الأمة، يشوه وجهها ويحط بشأنها [illegible] لقد علمنا التجارب أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها وطلائع جيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبل ويفتحون الأبواب، ثم يشتون أقدامهم [illegible]

[illegible] النهضة يعوقها «الجمود» عند فكرته [illegible] وخلف التمدن الإسلامي [illegible] ويجردها من إمكاناتها وعوامل قوتها [illegible] عدوها، فيزيد ضعفها في مواجهة التحديات! [illegible] تصبح جزءا من حضارة الغزاة [illegible]

[illegible] ص ٩٥ - ٩٧

[illegible] العلمانية « الإسلامية » [illegible] العلماني [illegible]
[illegible]
[illegible] « دعاة التغريب » !

● [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] !

● [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لزعة ! » (١) كما يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

● [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والقنوات التي يتسلل منها العدو إلى عقل الأمة [illegible]
الأقدام ويحكم حول عنقها الأغلال ؟!

---

(١) [illegible]

فلاقت [illegible] من [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible] على [illegible]

[illegible] الأشق حيث [illegible] [illegible]

[illegible] من حيث [illegible] الأوربي [illegible]

للظهور في مظهر القوة لدفع الكوارث. [illegible] التحمت بعض الأصول التي كان عليها [illegible] للشرقيين وأسلافهم والضرورة في [illegible] اختراع الوسائط وسلوك مسالك [illegible] جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى. والأصلح للشرقي في مدنيته أن يقف موقف الأوربي في مدنيته. بل [illegible] له أن يطلب ذلك، وفي مضى أصدق شاهد على أن من ضيع [illegible] وفر نفسه وأمته وفر [illegible] أعجزها وأعوزها!» [45]

في «الجمود» [illegible] وفي «التغريب» [illegible] كليهما [illegible] لأنف الأمة، يشوه وجهها، ويعطل شأنها [illegible] الاستقلال الحضاري، الذي هو [illegible] الإسلامية المنشودة

الدولة الإسلامية مدنية:

وفي علاقة [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible] العربية الإسلامية [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] مسلمين. وأيضا ليست [illegible] من [illegible] عن الدولة [illegible]

---

(44) أي أعجزها [illegible]

(45) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ٥٣٣

نموذج اليقظة الإسلامية في هذا الميدان

● [illegible] الإسلامية [illegible] لا يعني [illegible] «دولة دينية [illegible]» [illegible] الكاثوليكية [illegible] الإسلام [illegible] الكاثوليكية [illegible] [مدنية سياسية دينية] في نظام واحد، لا فصل فيه بين [illegible] الإسلام [illegible] سلطة دينية [illegible] سلطة [illegible] وهي سلطة [illegible] لله [illegible] الإسلام [illegible] سلطة دينية [illegible] كل سلطة [illegible] من هؤلاء فهي سلطة [illegible] في الإسلام سلطة دينية [illegible] من الوجوه؟ »

● [illegible] السلطة [illegible] «[illegible]» [illegible] الدولة الإسلامية لا يعني [illegible] الإسلامية [illegible] من الدين [illegible] ذلك لأن الإسلام ليس مجرد رسالة روحية خالصة، وإنما هو موقف كلي [illegible] وضع المعايير والتطبيقات والأطر [illegible] الإسلام [illegible] وشرع [illegible] [illegible] فقد [illegible] الشهود [illegible] الحكمة [illegible] الأحكام [illegible] [illegible] حكم [illegible] [illegible]

---

(٦) [illegible] ج٢ ص ٧٥ [illegible] ج٣ ص ٢٨٨ [illegible] ٢٨٦ [illegible]

[illegible] في عدد كثير [illegible] أن يكون في [illegible]

[illegible] — [illegible] [illegible]

● فهي ، إذن ، « دولة » : « إسلامية » و « مدنية » في ذات الوقت [illegible] لحياة هذا الواقع [illegible] والأمة هي مصدر [illegible] والتقنين لمقاصد هذه الشريعة وتجسيد فلسفتها واقعا [illegible] في الممارسة والتطبيق

وإذا كانت « الحرية » فريضة إسلامية ، وضرورة [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] وثقت بهم ، هو عين تصرفها ، وذلك منتهى [illegible] يكون له سلطة من [illegible]

بل إن كون الأمة هي مصدر السلطة في [illegible] السياسية [illegible] تجعلها حاكمة على [illegible] فهي [illegible] على شرط الدستور [illegible]

---

(٤٧) المصدر السابق جـ٣ ص ٢٨٧

(٤٨) [illegible] جـ٤ ص ٢٥٨

أن يبقى رأسه بلا تاج ، أو تاجه بلا رأس ؟! »[49]

هكذا كشفت مدرسة [الجامعة الإسلامية] النقاب عن الوجه المشرق للإسلام في هذا الموضوع : موضوع طبيعة السلطة السياسية في الدولة والمجتمع كما يراها الإسلام ، والنقطة الإسلامية الحديثة .

والعروبة المتميزة في المحيط الإسلامي

بعض الناس لا يستبشعون القول بأن تيار [الجامعة الإسلامية] موقف « قومي عربي » ينصر الدور العربي ، في المحيط الإسلامي ، بل وعقد لهم لواء القيادة في هذا المحيط ! لا يستبشعون هذا القول ، ويتساءلون منكرين ومستنكرين : أنّى يوجد التفكير القومي مكان عند دعاة الجامعة الإسلامية ؟! ولا يدخل ذلك في باب الجمع بين المتناقضات ؟!

لكننا نقول : إن هذا الرأي لا يعدو أن يكون ثمرة من ثمرات النظرة السطحية للأمور ، النابعة من الكسل العقلي ، الذي يمنع هؤلاء من فقه الفكر والموقف التي تطورها تيار [الجامعة الإسلامية] حول هذا الموضوع .

والأفغاني الذي قال : « لقد علمنا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية - [أي قومية] - إلا في دينهم واعتقادهم » والذي دعا المسلمين قاطبة إلى الاعتصام « بحبل الرابطة الدينية » التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي ، والفارسي بالهندي ، والمصري بالمغربي ، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية [50] هو ذاته الذي يقول [illegible]

---

(٤٩) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ٤٧٨ ، ٤٧٩

(٥٠) المصدر السابق ص ٣٠٧ ، ٣١٠

لاسبيل إلى تمييزه عن أخرى إلا بتعصب [illegible] والأمة العربية هي عرب قبل كل دين ومذهب [illegible]
دليل أو برهان ».[54]

وفي [illegible] فيه الأفغاني الدعوة لقيام رابطة [للجامعة [illegible]] [illegible] ١٢٥٨ [illegible] ١٣٣٦ هـ
١٨٤٢ [illegible] ١٩١٦ م] [illegible]
[illegible]
[illegible]
هذا : « واحضاً تعثّري القائل » يقول [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأعاجم في الاستعراب
[illegible]
[illegible]
ودان قاطني الثغور والأقسام . وصاروا أمة عربية [illegible] » [55] وحدة

[illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] كان الإسلام عربياً [illegible] ثم لحقه علم عربي
بعد أن كان يونانياً » [[56]

(٥٤) المصدر السابق ص ٢٣٧
(٥٥) [illegible] ص ٢٧٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
(٥٦) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ ٣ ص ٣١٧

[illegible] هي « متناقضات » [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] حديث عن [illegible] « [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] حديث عن « الإسلام [illegible] » (٥٤)

إنما ليست « متناقضات » [illegible] هي الشكل [illegible] [illegible] [illegible] الجامعة الإسلامية] بين الخصوصية القومية للعرب [illegible] كأمة [illegible] القومي في محيط إسلامي ضم أمماً تدينت بالإسلام الدين [illegible] « الرابطة والجامعة الاعتقادية [illegible] التي جمعت كل من تدين بهذا الدين [illegible] وفي هذه الموازنة تكمن عبقرية هذا المفكر في هذا الميدان !

[illegible] الأقوام المسلمين « رابطة مؤسسة على عقائد الإسلام ، ومنشئة [illegible] وهي بالنسبة لهم حمية عقائدية والجنسية الإسلامية [illegible] [illegible] الإسلامية تشكل [illegible] [illegible] [illegible] القيم والقيمة ، والأخلاق ، والعوائد [illegible] [illegible] فيهم محبة البقاء على مألوفهم ، ويذود عنه [illegible] [illegible] ليس منهم ، بل هو عدوهم [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible] الإسلام [illegible] [illegible]

(٥٤) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ٤٢٧ - ٤٢٨

تمثل [الجامعة الإسلامية] إلى الوحدة [illegible] الأمم الإسلامية دون [illegible]

فهي رابطة « للتضامن الإسلامي والنصرة الإسلامية » [illegible] الأمم الإسلامية [illegible] تقوم وحدة كل منها [illegible] سياسية [illegible] الجامعة الإسلامية الأكبر والأوسع [illegible] و « جنسية » — [قومية] — إسلامية . قومها رابطة الملة [illegible] مجتمعها [illegible] « أمم » و « قوميات » ، بمعنى القومي الأخص تتأسس على [illegible] المتميزة في إطار الجامع الإسلامي الكبير

[illegible] في القومية [illegible] السياسية والوحدة السياسية تعني وحدة الدولة [illegible] بالاستقلال عن [illegible] الاستعمار وسيطرته [illegible] الأمم التي تجمعها رابطة [illegible] والاعتقاد الديني . دون رابطة عرقية [illegible] فإن رابطة الدين تثمر هنا وحدة في النواحي الأدبية والاجتماعية دون السياسية — ومن ثم دون دولة الوحدة [illegible] العرب . فنحن هنا نعني هذه الأمة الممتدة من الخليج العربي شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا والتي تنطق بالعربية وتفكر بها وتتعدى من

---

(٥٥) المصدر السابق ص ٣٤٥

تاريخها ويحمل مقدارا عظيما من دمها وقد صهرتها القرون في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة هذه الأمة ترتبط بينها - زيادة على رابطة اللغة - رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ورابطة الألم ورابطة الأمل فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها لامحالة وبين الشعوب العربية مستقلة تمكن الوحدة السياسية بل وتجب أما المسلمون الذين تنوعهم عدة قوميات ، فإن علاقتهم شاملة لناحيتين

- ناحية سياسية دولية
- وناحية أدبية اجتماعية

فأما الناحية السياسية الدولية ، فهذه من شأن الأمم المستقلة وأما الناحية الأدبية الاجتماعية فهي التي يجب أن تهتم بها كل الأمم الإسلامية إنها مهمة جماعة المسلمين وهم أهل العلم وخيرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين الدينية والأدبية [٥]

[illegible]

[illegible] الجامعة الإسلامية [illegible] القومي [illegible] الإسلامي على [illegible] [illegible] الأخلاق [illegible]

---

٥٦ [illegible] ص ٣٩٨ ، ٣٣٩ ، ٤١١ جمعها ونشرها الدكتور عمر طالبي [illegible]

علاوة على [illegible]

من الأمة [illegible]

شملها القومي إذا غالبها [illegible]

القومي من قبل العراة ! « فكم رأينا دولا [illegible]

على [illegible] [[illegible]] [illegible]

فردت ملكها ، وجمعت من [illegible]

[illegible]

في الاستعداد إلى ما شاء الله ! » [57]

[illegible]

صلى الله عليه وسلم ـ الذي يقول فيه : « [illegible] إن [illegible] واحد ، والأب واحد [illegible] وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم [illegible] وإنما هي اللسان [illegible] فمن تكلم بالعربية فهو عربي » [58]

[illegible]

الإسلامي [illegible]

● [illegible]

الواحدة !

● [illegible]

الإسلام عربيا » [illegible] من [illegible]

---

[57] [illegible] الأفغاني] ٢٢٤ ، ٢٢١

[58] [illegible]

على الخلافة العربية ، « هنالك استحكم الإسلام وتغلب أعجميا » فكان المراجع والتخلف والجمود ! (59)

● [illegible]

● [illegible]

وعوت عليها ... » كما يقول ابن باديس (61) !

هكذا تميز موقف تيار [الجامعة الإسلامية] من [illegible]

---

(59) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ 3 ص 307 ، 318 .

(60) [الأعمال الكاملة عبد الرحمن الكواكبي] ص 358 .

(61) [كتاب آثار ابن باديس] جـ 4 ص 17 – 19 ، 21 .

الديني ـ كما صنع «القوميون العلمانيون» ـ [illegible] الإسلامية [illegible] مع [illegible] القومي [illegible] كما صنع [illegible] الإسلامي ـ [illegible] الإسلامي [illegible] حضاري [illegible]

وحضارة جديدة .. ومتميزة :

لقد أبصر [illegible] الجامعة الإسلامية [illegible] الأوربي [illegible] خلال [illegible] فالغرب يريد أن يحرز النصر على الجبهة الحضارية ، باحتواء الغرب حضاريا حتى تحتم دورات هذا الصراع بانتصار حاسم ونهائي ، ومن ثم فهو وقد عاد مسلحا هذه المرة بالثورة الصناعية وثمارها العديدة من أدوات القوة المتنوعة وبالحضارة الأوربية المتألقة والمتفردة على خريطة الكوكب الذي يسكنه الإنسان يريد أن لا تظل حضارته هذه حضارة خالية الأوربية ومستوطنة فقط في مستعمراته الغربية والإسلامية وذلك كي لا تتكرر قصته القديمة يوم رأت حضارته بزوال الدولة الاستعمارية القديمة ، الإغريقية والبيزنطية والبطلمية وسواء كانت السبل هي القهر بالمسخ القومي والسحق للهوية الحضارية ، كما حاول الفرنسيون بالجزائر ، أو بالإغراء كما صنعوا هم من خلال مدارس التبشير بغيرها وكما صنع الانجليز في مستعمراتهم ، فإن الهدف واحد ومحدد ، وهو أن ينسلخ العرب والمسلمون عن هويتهم الحضارية المتميزة ، فيصبحوا عربا ، وتتم عملية الاحتواء

التي تكرس النصر للغرب في هذا الصراع الحضاري الطويل. وفي حديث [illegible] الاستعماري الفرنسي [illegible] عن هذا الصراع الحضاري بين الحضارة الأوربية [illegible] الحضارة العربية الإسلامية [illegible] الماضي الأسيوي [illegible] في بعض أقطار الشمال الإفريقي [illegible] وهو النجاح الغربي الذي حدث عنه [illegible] من مكة ومن الماضي الأسيوي [illegible] (٦٢).

وحتى لا يتحقق للاستعمار هذا الهدف الكبير [illegible] القديم والجديد، كانت دعوة [illegible] الإسلامية [illegible] الحضارة العربية الإسلامية، تجديدها [illegible] في الوقت الذي تصدى فيه هذا [illegible] التخلف على حركة الأمة ويقظتها [illegible] الاستعمارية [illegible] عسكري [illegible] الإسلامية [illegible] بالاستلهام أو تبعث على الاحترام!

[illegible]

١ ـ [illegible]

(٦٢) [الإسلام والرد على منتقديه] مجموعة أبحاث، ص ٢٧

[illegible] في [illegible]

[illegible]

٢ ـ إن [illegible] الحضاري [illegible] علاقة [illegible] الأمة [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] هو [illegible]

[illegible] تاريخ الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت» [illegible]

٣ ـ إن الدعوة إلى الحضارة عربية إسلامية متميزة لا تعني [illegible] ولا العودة [illegible]

[illegible] ونكاد نرى تحت هذه الدعوة هو الأخطر [illegible] الأصول التي تمثل القسمات المميزة [illegible] الإسلامية. وهذه الأصول [illegible] صالحة [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] الأمة [illegible]

[illegible] الفرق بين أن نضع صورة مميزة لنمط حضاري معين، فنتحرك في العمل لسيادته وسيطرته، وبين أن تدخل الأمة عصر تجديد حضارتها الخاصة [illegible] والمحددة خصوصيتها [illegible] [illegible] في ذلك بعلم وأفكار [illegible] في [illegible] هذا [illegible]

لقدسات ... المحدث ... في ... الأمر ... محمود ... ومن ... حصر ... فلاحه ... على ... ملاءمته ... في ... التجديد ... سيكون ... وشاملا ... وقلاع ... سيكون ... وذلك ... على ... من ... الأمة ... التجديد

... الخصوص هو ... من بعض أصول الدعوى ... أي ... ثوابت ... [عروة وثقى] ... فإن ... في ... لدفع ... ما ... السنة ... الأصول ... كان ... النزقين ... [63]

... الأمر ... كم ... عبده ... في ... الأمر ... الإصلاح ... عبده ... من ... الأمة ... عبده ... الإصلاح ... عبده ... الدين ... في ... الأمر ... الدين ... عبده ... ليس ... شيء ... ولا

(٦٣) [الأعمال الكاملة لمحمد عبده الأعمال] ص ٥٣٣

عليه أن يجد من عماله أحدا. وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما بيناه، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا ينام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!»[64]

وتمسك الأصول الثوابت والروح الحضاري للأمة العربية الإسلامية لا يعني في رأي أعلام هذا الشأن رجوع المعتدي في الماضي، فلقد عابوا على «السلفية» المنصوصة كما سبقت إشارتنا موقفها من الوادي من العقل والتمدن والتحضر، وهو لا يعني الاكتفاء بالتراث الديني وعلوم الشرع في النهضة والإصلاح، ولا العزلة الرافضة للتفاعل الحضاري، ذلك أن الإصلاح الديني شيء، والإصلاح المدني والتجدد الحضاري شيء آخر يتمايزان مع الارتباط والاتصال، والاستعانة بالدين في حديث الأمة إلى التجدد الحضاري، مستعينة بمبايعة التقية، لا يعني أن التجدد الحضاري هو ذات الإصلاح الديني، وبعبارة محمد عبده: «لو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم أحكامه لرأيتهم قد نهضوا، والقرآن الكريم في إحدى اليدين، وما قرر الأولون وما اكتشف الآخرون في اليد الأخرى، ذلك لأجرتهم، وهذا لدنياهم ولساروا يزاحمون الأوربيين فيزحمونهم»[65].

فالعلاقات لا تعني طمس التمايز والفروق، أو تحويل الوسائل إلى [illegible]

٤ - وكما رفض [illegible] [الجامعة الإسلامية] «السلفية الجمود [illegible]

---

(٦٤) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٣ ص ٢٣١

(٦٥) [illegible] ٢٥٢

بعض المملكة العثمانية. كذلك رفض طريق «التغريب»، الذي مثل أصحابه «السلفية الغربية»[1]، التي انتهز تيارها بالغرب، فدعا إلى أن تبدأ من حيث انتهى الغرب [illegible] نفس الوسائل والوسائط التي سلكها الغرب إلى ذات الغايات والأهداف التي استهدفها. رفض هذا التيار سبيل التغريب، لمنافاته حقيقة «التمايز الحضاري» الأمتناعي عن الحضارة الغربية.

وكتب الأفغاني في منهاج [العروة الوثقى] يقول: «إنه لا ضرورة في إيجاد المنعة إلى اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التي جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى. ولا ملجئ للشرقي في بدايته أن يقف موقف الأوربي في نهايته، بل ليس له أن يطلب ذلك. وفيما مضى أصدق شاهد على أن من طلبه فقد أوقر نفسه وأمته وقرا أعجزها وأعوزها!»[2].

والأفغاني يرى في هؤلاء «المتغربين» [illegible] والأصالة والأمل في بناء الحضارة المتميزة، حتى لقد استحكمت منهم «عقدة الأوربي» [illegible] يرى فيهم خطرا يفتح للاستعمار في جنايات التغريب. فيقول: «إنه شد وطأة على الشرق، وأدعى إلى تهجم أولي المطامع من الغربيين وتذليل الصعاب لهم، وتثبيت أقدامهم. هم أولئك الناشئة [illegible] تعلمهم لغة القوم وتأدب بأسفل آدابهم. يعتقدون أن كل الكمالات إنما هي فيما تعلموه من اللسان على بساطته، وفيما رأوه من نهج مظاهر الحالات. وقراءة سيروسير من قطع مراحل من الغربيين في سبيل الأخذ في باقية أمته [illegible] أن يسيروا من ذلك عوزا، أو يفهموا بتدرجهم معنى [illegible] الشرقي أن كل الرذائل ودواعي الخطة ومقاومات [illegible] هي في قومه

---

[1] [illegible] الأفغاني، ص ٥٣٣.

المجرى مع [illegible] من [illegible] كل [illegible] مشروع [illegible]
[illegible]
الأجنبي؟ [illegible] "[67]

فالاعتراض هنا ليس على « سر غور » أسرار تقدم الغرب ، بالتمييز بين الضروري ـ النافع [illegible] و [illegible] عبر الإسلام [illegible] بالاستفادة بالأوربي [illegible] الصيني والصحي [illegible] مع تجنب [illegible] [illegible] العرب [illegible] يوم أخذوا ، من موقف المستقل وموقع القادر على التمييز ، عن فارس والهند واليونان ، كي يصنعوا الذاتي والجديد والمتميز [illegible] الاعتراض على تقليد [illegible] لدى أفندية « الأمور » الثقافية [illegible] والقدرة على التمييز؟

[illegible] هو [illegible] [illegible] لكل حضارة من خصوصية ، وهذه الخصوصية لا تنفي وجود ما هو عام [illegible] [illegible] خصوصيات [illegible] واحدية [illegible] هو [illegible] هو [illegible] ومن [illegible] [illegible] ولا [illegible] وبهذا الفهم [illegible] خصوصية [illegible] الأوربي [illegible] ـ كما يقول الأفغاني ـ [illegible] حقيقته [illegible] على [illegible] الطبيعة [illegible] الإنساني [illegible] يقلدون هذه الخصوصية . المقدمات منها والنتائج [illegible] ـ وفي عبارة الأفغاني ـ [illegible] وتصنيف [illegible] من قومهم [illegible] وهذا [illegible] لأنف الأمة [illegible] وجهها [illegible] [illegible]

---

(67) [illegible]

التجارب أن المقلدين من كل أمة [illegible] أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها، وطلائع الجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم"[68]

[illegible] ومواريثه وملابساته [illegible] لأمم هذه الحضارات

وهذا التمايز الحضاري إذا كان يعني [illegible] والانسحاق أمام عدوانية الحضارة الغربية وغزوها الفكري واستعلائها [illegible] لا يعني الانغلاق [illegible] الإسلامية [illegible] فالتعددية الحضارية حقيقة من حقائق الواقع، واكتفاء حضارة ما بذاتها عن غيرها من الحضارات هو خرافة من الخرافات

[illegible] الجامعة الإسلامية [illegible] مشروع [illegible] الحضارية المستقلة [illegible] ويضعه في الممارسة والتطبيق![69]

---

[68] [illegible] ١٩٥ ٩٧

[69] [illegible] تفاصيل نظر كتاب [تيارات الفكر الإسلامي] ص ٢٨٥ ٣٤٧

(٥)
جماعة الإخوان المسلمين

لقد لعبت الحرب العالمية الأولى [١٣٣٢ - ١٣٣٧هـ ١٩١٤ - ١٩١٨م] بالوطن العربي والعالم الإسلامي قمة المأساة ؟ !

فالوطن العربي قد سقط بأكمله [illegible] تحت الاحتلال الاستعماري العربي ، و « الخلافة العثمانية » قد أزالتها « العلمانية » التركية التي تزعمها [illegible] أتاتورك [١٢٩٨ - ١٣٥٧هـ ١٨٨٠ - ١٩٣٨م] فطويت صفحتها [سنة ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م] وهكذا ضاع « الرمز » و « الشكل » الذي كان قد بقي « لحركة اليقظة الإسلامية » ، ترجو به الإصلاح [illegible] في [illegible] كما ضاع أمل « التيار القومي » العربي في الدولة القومية العربية المستقلة ، ووضحت خديعة الاستعمار [illegible] فلقد استعان به في الحرب ضد الدولة العثمانية ، في ذات الوقت الذي كان يوزع فيه وطنه ، وقل معاهدة « سكس بيكو » [١٣٣٤ - ١٣٣٥هـ ١٩١٦ - ١٩١٧م] [illegible] الاستعماري [illegible] « وعد بلفور » [١٣٣٦هـ ١٩١٧م] [illegible] صهيوني عنصري استيطاني [illegible] الأمة العربية [illegible] وحدتها ، ويكون [illegible] لأحلام هذه الأمة ومساعيها في [illegible] والوحدة والانعتاق .

ويومئذ علا صوت « [illegible] » ، حتى [illegible] وحقق ما يشبه الهيمنة في [illegible] والجامعة [illegible] والصحيفة [illegible]

[illegible] وفي طرائق العيش [illegible] ومناهج التفكير [illegible]
وفي القيم والمعايير والأخلاق [illegible] الأمر الذي أخرج قطاعاً من [illegible] الإسلامي
[illegible]
أخيرة على التقوقع والانزواء. وكادت المقولة التي تزعم أن تقدمنا رهن بأن
نصبح غرباً في الحضارة، وأن هذا هو الطريق لنكون شركاء للغرب، بدلاً
من أن نظل مجرد هامش تابع له. كادت هذه المقولة أن تصبح مسلمة من
المسلمات!

[illegible] «الغرب» [illegible]
[illegible] «هامش» [illegible]
[illegible] «هامش [illegible]»
[illegible]
[illegible]

[illegible]
جديد. فتطلعت الأمة، بالفطرة والوعي معاً، إلى خصبها العتيد، إلى
الإسلام. وكان أن برز وتعاظم تلك النقطة الإسلامية، الذي تبلور هذه
المرة «منظماً جماهيرياً»، والذي بدأ بتأسيس الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ ـ
١٣٦٨هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م] جماعة [الإخوان المسلمين] [سنة ١٣٤٧هـ
١٩٢٩م]. وهي الجماعة التي أصبحت أوسع حركات الإصلاح الإسلامي
وتنظيماته [illegible] العروبة والإسلام في عصرنا الحديث.

ونحن نستطيع أن نلمح في «صورة الإسلام» لدى هذه الجماعة عدداً من
[illegible]

١ ـ [الإخوان المسلمين] كحركة جاء [illegible] الإسلام عندها كما هو في « المتون » و « الحواشي » و « التعليقات » و « الاعتراضات » التي أفرزها العصر المسلوكي العثماني [illegible] بل تقدم [الإخوان] خطوات [illegible] فضلا من فضائل تيار التجديد

٢ ـ [illegible] [الإخوان المسلمين] [illegible] الإسلام [illegible] لفكره ، وفي طرحهم الحلول الإسلامية لمشكلات العصر الفكرية [illegible] حركة [الجامعة الإسلامية] [illegible] « العقلانية » [illegible] الجامعة الإسلامية [illegible] [الإخوان المسلمين] [illegible] وإنما كان في مقدمة أسباب ذلك أن [الجامعة الإسلامية] لم تكن تنظم جماهيرها [illegible] وتنهض [illegible] على الجماهير وإنما كانت حركة « صفوة » فكرية في الأساس [illegible] عرضت للمشكلات [illegible] وقدمت الحلول الحاسمة [illegible] « العقلانية » [illegible] لاءمت « الصفوة » فقد لا تلائم « العامة » و « الجمهور » [illegible] [illegible] [الإخوان المسلمين] [illegible] « العقلانية الإسلامية » [illegible] « شعبيتهم » [illegible] « جماهيرهم » [illegible] في [illegible] !

٣ ـ [illegible] [الإخوان المسلمين] [illegible] حركة [الجامعة

الإسلامية] [illegible] وحرة وحسن [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] وقف عنده [[illegible]] [illegible]
[[illegible]] [illegible] [الإخوان] [illegible]
الذي يبع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
مشكلات [illegible] السنة البسيطة بظواهر النصوص [illegible]

[illegible] [الإخوان] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشكل الجماهيري للبعث
الإسلامي الحديث [illegible] والرد الإسلامي على التحدي الحضاري [illegible] تمثل
أساسا [illegible] في « تيار التغريب »

التصدي للتغريب

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الإسلامي [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
« شيخ » [illegible] « [illegible] الإسلام » [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (٧١) [illegible]

[illegible] من روح [illegible] الإسلامية [illegible] الحضارة العربية [illegible] المادية قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الإسلامية [illegible] القومية الجامعة للروح والمادة معا في أرض الإسلام نفسه وفي حرب ضروس [illegible] نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم. كما انتصرت في الميدان السياسي العسكري وكما كان لذلك العدوان السياسي أثره في تنبيه المشاعر القومية كان لهذا الطغيان الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية.» (٧٢)

ونحن نقرأ للأستاذ البنا الكثير من النصوص [illegible] فهو يرى [illegible] وذلك مثل:

١ - [illegible] حدود الكون المادي المحسوس

٢ - [illegible] لدينا من عقائد

[illegible] الشعر الجاهلي [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦ م

٧٢ - [illegible] الشهيد حسن البنا [illegible] ص ١٤٠ طبعة دار الشهاب بالقاهرة

٣ ـ والأثرة في الأفراد

٤ ـ والربا

[illegible] ولقد أثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع وإقرار الطمأنينة والسلام فيه، وفشلت في إسعاد الناس رغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم والمعرفة وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء، وما مكنت لدولها في الأرض من قوة وسلطان، ولما تمض عليها قرن كامل من الزمان.

ثم يتحدث عن انتقال هذا الخطر بالاستعمار [illegible] وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة، جميع البلاد الإسلامية التي امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة. ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم ـ بالمدارس العلمية والثقافية في عقر ديار الإسلام ـ والتي ضمت أبناء الطبقة العليا ـ فعلمتهم كيف ينتقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم ويسلخون من تقاليدهم وعقائدهم ويقدسون كل ما هو غربي، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوربيين وحده هو المثل الأعلى في هذه الحياة ـ نجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم أعظم النجاح فهو غزو محبب إلى النفوس، لاصق بالقلوب، طويل العمر، قوي الأثر وهو لهذا خطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف [٧٣].

---

(٧٣) المصدر السابق، ص ١٣٧ ـ ٣٩

[illegible] في حسم وصفة ووضوح [illegible]
[[illegible] الإسلامية] [illegible]
[illegible] دعوة [الإخوان] [illegible]
[illegible] كحجاج من [illegible]
[illegible] حركة اليقظة الإسلامية [illegible]
[illegible] [الإخوان] [illegible]
[illegible] الإسلامية وشخصيتها [illegible] الإسلامي
الحنيف !

والتخلف الموروث :

[illegible] [الإخوان المسلمين] [illegible]
[illegible] المتمثل في [illegible] المسلمين للإسلام [illegible]
[illegible] الموروث [illegible]
[illegible] « الدين » [illegible]
« الفكر » [illegible]
« الدين [illegible] الفكر فهو غير ملزم [illegible]
« الصار » الذي يجب تجاوزه بالتجديد

[illegible] الإسلام [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] الموروث [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلامية

فتحت عوامل [illegible] على [illegible] الأسباب [illegible] أهم [illegible]
تتحلل في [illegible] الإسلامية في هذه الأسباب

(أ) الخلافات السياسية والعصبية [illegible]

(ب) الخلافات الدينية والمذهبية

(جـ) الانغماس في ألوان الترف والنعيم

(د) انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب ، من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح ، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه

(هـ) إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية ، وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة

(و) غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم ، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم ، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة

(ز) الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم ، والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع

[illegible] « فالإخوان دعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب »[75]

وهذا النهج التجديدي ، لم يكن [illegible]

[illegible]

[illegible]

«الصفوة» أو يستمتع به عقول «النخبة»، وإنما كان تحديد «حياة الأمم والشعوب». فالإخوان دعوة تتوجه إلى الجماهير والعامة، تبغي خلق الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والأمم المسلمة[76] انطلاقاً من العقيدة الإسلامية، وحركة إلى بضع هذه العقيدة [illegible] في الممارسة والتطبيق.

وليست من هذا النهج التحديدي، فلقد كان «للعقل والعقلانية» في فكر [الإخوان]، مكان [illegible] لم يكن [illegible] فهو ملحوظ[77].

فلقد قطع الأستاذ [illegible] باستحالة الخلاف والصدام بين «النظر العقلي» و«النظر الشرعي» في الأمور «القطعية». ورأى أن بعض المجالات مختص بواحد من سبل النظر دون الآخر، كالإلهيات، مثلاً: «فذلك الله، تبارك وتعالى، أكبر من أن يحيط به العقول البشرية، أو يدركه الأفكار الإنسانية، لأنها مهما بلغت من العلوم والإدراك محدودة القوة، محصورة القدرة، فالعقل البشري قاصر عن إدراك حقائق الأشياء»[78] في مثل هذه الميادين. ولذلك، فإن «الإسلام قد أرشد العقول إلى التزام حدها وعرفها قلة علمها، ونسبها إلى الاستزادة من معارفها. فقال تعالى: [وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً][79] وقال تعالى: [وقل رب زدني علماً][80]»[81].

وإذا كانت «طبيعة البحث» هي التي تحدد أداة النظر فيه، وهو الأولى

---

(٧٦) المصدر [illegible] ص ٤٥

(٧٧) المصدر [illegible] ص ٢٩٦

(٧٨) [illegible] ٨٥

(٧٩) [illegible]

(٨٠) [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] ص ٢٩٤

أن تكون « العقل » أو « الشرع » [illegible] خلافهما [illegible] يكون في « [illegible] » [illegible] هو « [illegible] » [illegible] أحدهما مرتبة « [illegible] » [illegible] فقد [illegible] كل من [illegible] الشرعي والنظر العقلي مالا يدخل في دائرة الآخر [illegible] فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة ويؤول الظني منها ليتفق مع القطعي . فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار »[81]

وإذا كان الإسلام قد رفض « غرور العقل » و« [illegible] » [illegible] في كل [illegible] ودعا إلى [illegible] بين نظره وبين النظر الشرعي [illegible] « [illegible] على الأفكار [illegible] »[82] [illegible] جاء [illegible] العقل ، وحث على النظر في الكون ، ورفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء « والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها »[83] [illegible]

* * *

والبراءة من الغلو :

[illegible] الموروث « [illegible] » [illegible] إسلامية [illegible] حكمت « بالجاهلية » و « بالكفر » [illegible] على الواقع الذي يعيش فيه [illegible]

---

(٨١) المصدر السابق ، ص ٢٧١

(٨٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٤

(٨٣) رواه الترمذي وابن ماجة

(٨٤) [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] ص ٢٧٠

[illegible] عمل [الإخوان] من خلال [illegible] [illegible]
[illegible] وكما سلطوا الضوء على [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible] أو [illegible] [illegible]
إسلامهم فقط [illegible] استكمال [illegible] [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] [illegible]
[illegible] الأسرة والأمة جميعا [illegible] [illegible]
[illegible] وكتب [illegible] [illegible] إن «لا نكفر مسلما أقر
بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض، برأي أو معصية إلا أن أقر
بكلمة الكفر أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو كذب صريح
القرآن، أو فسره على وجه لا يحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل
عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر»[٨٥]

[illegible] هم لا يكفرون «المجتمع [illegible]
[illegible] عن شريعة الإسلام [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] «الكفر [illegible] جاهلية [illegible] [illegible]
عن المجتمع المصري [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
عنه ودافعت عن حياضه [illegible]
ما وسعها الجهاد [illegible] ودم أبنائها [illegible]
[illegible] جميع على أعقابهم خاسرين [illegible] علوم الإسلام

---

٨٥ [illegible]

ومعرفة [illegible] جنوب الأزهر [illegible] على [illegible] وعنايته [illegible]
[illegible] عامة شعوبه الأدبية والاجتماعية . [illegible]
[illegible] هذا الإسلام . عقيدته ونظمه [illegible]
[illegible] على مصر [illegible] فيه [illegible]
[illegible]
مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب الحياة المصرية
فأسماؤها إسلامية ولغتها عربية . وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله
ويعلو منها نداء الحق صباح مساء . وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها
للإسلام وما يتصل بالإسلام كل ذلك حق

ثم يمضي الأستاذ [illegible]
[illegible] إسلامية [illegible]
العربية قد عرفت عروا قويا [illegible] بالعلم والمال [illegible]
وضروب الحياة [illegible] العربية [illegible]
[illegible] وتحسر ظل الفكرة
الإسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية في كثير من شئونها [illegible]
بغير أوضاعنا الحيوية وتصبغ معظمها بالصبغة الأوربية . وحصرنا سلطان
الإسلام في حياتنا على القلوب والمحاريب . وفصلنا عنه شئون الحياة العملية
وباعدنا بينه وبينها مباعدة شديدة . وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متبددة و
متناقضة !

فهو لا يزال [illegible] الإسلام [illegible]

[illegible]

« الكفر » بعد « الإيمان » [illegible] وإنما يدعو إلى [illegible] الرفض [illegible]
« الشائنة » التي [illegible] العروة الحضارية العربية [illegible] تستنهض همة الأمة إلى
[illegible] إسلامها [illegible] واستقلالها الحضاري » عن الأعداء[87]

والاستقلال السياسي

[illegible] [illegible] مع جمهرة الأحزاب والجماعات [illegible]
في الدعوة إلى « الاستقلال السياسي » [illegible]
هذه الأحزاب والجماعات [illegible] « [illegible]
[illegible] أولا [illegible] الأقطار الإسلامية [illegible] الأمة
العربية] [illegible] الإمبراطورية الإسلامية الأولى »[88]

[illegible] الدعوة « للاستقلال السياسي » [illegible] والجهاد في
[illegible] « الشعوب الشرقية لما أصابها من إساءة الغرب إليها إساءة نالت
من عزتها وكرامتها واستقلالها ، وأخذت من مالها ومن دمها [illegible] فهي تتألم من
هذا النير الغربي الذي فرض عليها فرضا »[89]

ودعوا إلى الجهاد ضد الدول الاستعمارية « فكل دولة [illegible]
على [illegible] الإسلام دولة [illegible] ولابد من أن يعد
المسلمون أنفسهم ويعملوا متشددين على التخلص من نيرها لأن الإسلام
لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلا عن السيادة وإعلان

[illegible] ص ٩٢

٨٨) [illegible] ص ١٧

الجهاد . ولو كلفهم ذلك الدم والمال [٨٩]

وقد مارس [الإخوان] الجهاد العملي والمسلح كلما سنحت لهم الفرصة لممارسته في فلسطين [١٣٦٦ ـ ١٣٦٧هـ ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م] ضد الصهيونية ومن وراءها وفي [١٣٧١هـ ١٩٥١ ـ ١٩٥٢م] ضد الاحتلال في مصر

هذا عن « الاستقلال السياسي »

*

والاستقلال الاقتصادي

ولقد كانت قوى وطنية عديدة تقع في مجال الاستقلال الاقتصادي [illegible] مشاركة قواها الاجتماعية [illegible] مثل مصالحها ـ مجاراة ومشاركة هذه القوى الاجتماعية ـ للاستعمار [illegible] [illegible] [الإخوان] كانت من [illegible] امتلكت رؤية واضحة في هذا [illegible] وهذه الرؤية قد [illegible] كامل الاقتصاديات [illegible] والاستغلال الاستعماري [illegible] كذلك كانوا دعاة اعتماد على [illegible] الاقتصاد [illegible] [illegible] الإقامة التكتل الاقتصادي الذي يدعم إمكانات المستضعفين [illegible] الاقتصادي ضد سيطرة المستعمرين [illegible]

---

(٨٩) المصدر السابق ص ١٨٤ ، ٨٥

[illegible] الإسلامية [illegible] في الجهود لتحقيق هذا الاستقلال

[illegible]

الاقتصادية هي :

- ثروة المسلمين [illegible] وثروات [illegible] وصناعة في جميع [illegible] الإسلامي [illegible] يستنزفونه

- وتخلص [illegible] من رءوس الأموال الغربية والاستعاضة عنها برءوس الأموال الإسلامية

- وتخليص [illegible] على موارد الثروة الطبيعية في بلاد المسلمين [illegible] الموارد التي [illegible] خارجة من [illegible] العالم الإسلامي فسيطر عليها الغرب (١) ١٧

فسوف تحرير [illegible] الإسلامية والاستقلال الاقتصادي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الاقتصادي

[illegible]

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن [illegible]

(٢) المصدر السابق ص ٢٣١

استقلالي للثروة والمال ، تحقق فيه « استقلال اقتصادي » عن كل الأسواق وتحصين لشركات ، وبحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك ، وتخصيص ايراد الدولة ـ وهي أهم شيء للأمة ـ من يد غير أبنائها ، فلا يصح بحال أن تكون هذه الموارد في يد شركات أجنبية ، تمنع رؤوس أموالها وأرباحها الطائلة من الضريبات ، ولا يصيب الحكم الوطني ولا العمل الوطني منها إلا غرامات وحرمان ، كذلك ، تجب المحافظة على [illegible] لأن [illegible] مع الإسلام [illegible] وإذا شعب من [illegible] ولا يكفي [illegible] فيه [illegible] ويلتقي [illegible] مسلمين وذلك [illegible] مع الإسلام [illegible] سبل الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي . وبعد من الحكم على [illegible] الاقتصاد والسياسة [illegible] [1] كما في [illegible] الإخوان المسلمين

[illegible] كتب [illegible] يمكن [illegible] دعوة [illegible] الاقتصادي [illegible] الاقتصاد [illegible] وبذلك [illegible] يتيح [illegible] فلا يصح بحال أن تحكم الدولة الإسلامية [illegible] الاقتصادية الإسلامية وأن تحرص على القرش . فلا يقع في بلد غير إسلامية

---

[1] [illegible] ٢٣٩ ، ٢٠٣ ، ٢٤٠

مهما كانت الأحوال [illegible] ولا تكون إلا من صميع [illegible] الإسلامي

والعدل الاجتماعي .

أما العدالة في التوزيع للثروة ، [illegible] وتمثيل جمهور الأمة ، فمن ملامحها

١ ـ [illegible]

٢ ـ [illegible]

٣ ـ إصلاح [illegible] المتمثل في التفاوت الفاحش بين الملكيات الزراعية في

---

(٩٤) [illegible] ص ٢٧٩

(٩٥) المصدر السابق ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢

(٩٦) [illegible] ص ٢٣

السياسية تقوضها الدكتاتوريات وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات وأصولها الاجتماعية تقضي عليها مبادئ السادة والثورات المندلعة في كل مكان. وقد حار الناس في علاج شأنها وضلوا السبيل.

[illegible] الإفلاس والانتحار [illegible] هؤلاء [illegible] قد غدوا أسرى الفكر الذي وضعوه من لدن [illegible] فهؤلاء [illegible] حكام جميعا قد تربوا في أحضان الأجانب [illegible] فكرتهم على آثارهم يهرعون وفي مرضاتهم يتنافسون. ولعلنا لا نكون [illegible] إن الفكرة الاستقلالية في تصريف الشئون والأعمال لم تخطر ببالهم فضلا عن أن تكون منهاج عملهم [illegible]

[illegible] على العموم! [illegible] يسري في مناحي حياة الأمة [illegible]

---

٩٨ [illegible]

٩٩ [illegible]

[illegible]

[illegible]

وأمام هذا الخطر، خطر الغزو الحضاري [illegible] الطبقة الراقية ينتقصون أنفسهم، ويحتقرون [illegible] تقاليدهم وعقائدهم، ويقدسون كل [illegible] [illegible] يتميز، لذلك، بطول العمر، وقوة الأثر حتى [illegible] [illegible] لتصدي لآثار الغزوة الحضارية الغربية، [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible]

فمن واجبات الأخ المسلم [illegible] الأجنبية في البيوت [illegible] الأعجمية في كل مظاهر الحياة [illegible] الإسلامية [illegible] ومواعيد العمل والراحة، والطعام والشراب [illegible]

فلكي نتحقق استقلالنا الحقيقي لابد من «الاستقلال الحضاري» [illegible]

---

(١٠٢) [illegible] ص ٣٩

(١٠٣) المصدر السابق ص ٧٧

(١٠٤) المصدر السابق ص ٢٧٩

[illegible] لا من خلفه كي تخلص الأمة الإسلامية [illegible] الإسلامية [illegible] كثير من [illegible] دون [illegible] الآخر [6] [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] على كل [illegible] الأمة في عباداتها وقلدت غير المسلمين في بقية شئونها ، فهي أمة ناقصة الإسلام ، تصدق عليها قال الله تعالى فيهم : [أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض [illegible] ذلك منكم إلا خزي في الحياة [illegible] القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون] [illegible]

[illegible] ولا عذر لنا إن جانبنا طريق الحق ، طريق الإسلام ، واتبعنا طريق الشهوات والزخارف ، طريق [illegible] [7] ـ كما يقول الأستاذ [illegible]

[illegible] الاستقلال [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible] فنحن نريد أن نفكر تفكيرا استقلاليا ، يعتمد على أسس الإسلام الحنيف ، لا على أسس الفكرة الغربية التي [illegible] نظريات الغرب واتجاهاته في كل شيء ، نريد أن نحرر عقولنا ومتخصصينا [illegible] كافة [illegible]

[illegible] ٨٥

[illegible]

[illegible] ٦٣

مجيدة . نحو وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد ! [١٠٨] .

هكذا بلغ [الإخوان] القمة في وعي المضامين الحقيقية [illegible] التحقيق الاستقلال الحقيقي للأمة ، وتحريرها تحريرا كاملا من [illegible] الإسلام ولا نعتقد [illegible] الإسلام الشامل [illegible] الإسلامية قد بلغ هذا المبلغ في هذا الميدان !

ويزيد من خطر هذه الحقيقة [illegible] إلى هذا « الاستقلال الكامل [illegible] الحقيقي » [illegible] دعوة حزب [illegible] ودعوته وحركته في إقليم من الأقاليم ، أو حتى [illegible] كانت دعوة جماعة تنطلق من الوطن الخاص [illegible] وطن الأمة [illegible] وطن [illegible] ثم إنها لم تبغ من وراء ذلك مجرد الاستقلال الكامل لأمتها ، بل لقد رأت في ذلك سبيلا لعودة هذه الأمة [illegible] مركز الصدارة والقيادة والعطاء عالميا [illegible] فتلك هي مؤهلات السبق في الرهان والسباق الذي يجب أن يقوم على قدم وساق لوراثة القيادة من الحضارة الغربية [illegible] المنحدرة في طريق « الانتحار » [illegible] « لقد كانت قيادة [illegible] في وقت [illegible] شرقية بحتة ، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية ، ثم نقلتها النبوات إلى الشرق مرة ثانية ، ثم عفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة ، فورث الغرب القيادة العالمية ، وها هو ذا الغرب يظلم ويجور ويطغى ويخار ويتخبط ، فلم يبق إلا أن تمتد يد « شرقية » قوية ، تظللها لواء الله ، وتخفق على رأسها راية

[illegible]

لقرآن ، وعندها جد الإيمان لقوى المتين ، فإذا لدنيا مسيمة هائلة ، وإذا بالعوالم كلها هاتفة [الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله] (١١٠) ».(١١٠)

والتفاعل الحضاري :

وإذا كانت « السلفية المنصوصية » قد رتبت لها كما ـ في رأي ـ من التفاعل بين الأمم المسلمة وبين ما تلاقيه حضارة العالم اليوم وتعقده ، وقضت ثمرات هذا التفاعل [illegible] في هذا التفاعل الحضاري وثمرته ، والذي حسب له الحضارة الحديثة حسابها [illegible] وفي معايير الإسلام ـ ميراث الأمم التي فتح المسلمون [illegible] في شتى مجالات التفاعل الحضاري وثمرته الحضارية الصحيحة وسعت فيه الأمة [illegible] في حسم الأمة الصحيح وغيره [illegible] في ميراث الآخرين وتعلمت [illegible] ، ثم تلك هي [illegible] في هذا [illegible] حسمها الصحيح وغيره [illegible] ، وهذا [illegible] تعلمت هذه الأمم الإسلامية [illegible] من الأمم [illegible] وتعلم [illegible] من الحضارات [illegible] وكيف تعلمت هذه الأمم [illegible] وتعلمها [illegible] ، وكيف استطاعت أن تصنع [illegible] في حسمها على غيره وتميز ما فيه من [illegible] وخير ، ومن الممكن أن تتبع [illegible] في هذه الحضارات الحديثة من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية

---

(١١٠) الأعراف ـ ٤٣

[illegible] رسائل الإمام شهيد حسن البنا] ص ٢٠

(١١١) المصدر نفسه ص ١٣٠

ولقد كان ضرورياً أمام الهجمة التغريبية العاتية، وإزاء الضعف الذي أصاب ذاتية الأمة وقواها الواعية المستقلة، كان ضرورياً لفت الأنظار إلى أهمية التمييز بين «التفاعل الحضاري» و«الاستفادة» التي ينهض بها «السليم الراشد» وبين «التقليد والتبعية» اللذين يفرضهما الغالب على المغلوب. فالأولى تريد «السليم سلامة» و«الراشد رشداً» أما الأخرى فهي مسخ للشخصية الحضارية المتميزة، وقهر يمارسه الغالب للمغلوب! «فالإسلام لا يأبى أن يقتبس النافع وأن يأخذ الحكمة أنى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن ينشئه في كل شيء، بمن ليسوا من دين الله على شيء، وأن يطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه، ليجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين!»[112]

عالم اليقظة الإسلامية :

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين كافة، فكانت عالمية الإسلام التي تتعدى حدود الأوطان والقوميات والقارات والأجناس، واحدة من المبادئ التي انعقد عليها الإجماع.

لكن عصرنا قد شاعت وتشيع فيه مصطلحات من مثل «الوطنية» و«القومية» حتى لقد عدت «نظريات» و«مذاهب» لأحزاب وجماعات واشتجر الجدال واحتدم النقاش حول مكان هذه المصطلحات و«دوائرها»

---

(١١٢) المصدر السابق، ص ٩٨

و [illegible] في معايير الإسلام [illegible] فاستنكرها بعض [illegible] وأنكرها [illegible] لأنها [illegible] من [illegible] وتعصب [illegible] بعض [illegible] وبإطلاق

لكن الأستاذ البنا يدعونا إلى النظر في المضامين [illegible] من مضامينها [illegible] مع [illegible] الإسلام [illegible] بل [illegible] معه [illegible] وما ليس كذلك [illegible] وهو [illegible] في معالجة هذه [illegible] فكره وأضاء

[illegible] الإسلام هو فطرة الله التي فطر الناس عليها — التي [illegible] منها [illegible] الدوائر التي [illegible] الإنسان [illegible] دون تعارض أو تناقض بينها [illegible] وروابطه [illegible] وعلاقاته [illegible] العشائرية [illegible] وروابطه [illegible] مع الأمة [illegible] [illegible] الإنسانية [illegible] اتسمت [illegible] الفطرة الإنسانية ، وبرئت من التعصب والعنصرية ، فلن يوجد بينها تعارض ولا تناقض ولا تضاد [illegible] الإسلام [illegible] التعصب [illegible] وتستثمر [illegible] للصالح [illegible]

[illegible] علاقة [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible] المسلمين [illegible] أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الإسلامي وطنا

واحد [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] « جامعة الإسلامية [illegible] هي الأخرى [illegible] الذي نشأ فيه المسلم [illegible] الإسلام [illegible] « [illegible] » فهي [illegible] « الأمم الناهضة »[14] عندما يواجه التحديات التي تحول بينها وبين النهوض !

[illegible] الإخوان المسلمين يحبون وطنهم ويحرصون على وحدته القومية [illegible] الإسلام [illegible] عربي [illegible] الإسلام [illegible] العرب [illegible] فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه [illegible] ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه [illegible] ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها [illegible] الأساس [illegible] أن يعمل كل إنسان لوطنه وأن يقدمه في العمل على سواه [illegible] الوحدة العربية

---

(١١٣) المصدر السابق ص ٧٦

(١٤) المصدر السابق ص ٦١ ، ٦٢

[illegible] الإسلامية [illegible] الكامل للوطن الإسلامي العام [illegible] كله ولا تعارض بين هذه الوحدات [illegible] فكل منها يشد [illegible] الأخرى ويحقق الغاية منها [illegible] (١٠٥) (١٠٦)

[illegible] الانطلاق من [illegible] الطبيعة، والتطلع إلى أبعد الآفاق [illegible] الإسلامية [illegible] إن مصر هي قطعة من أرض الإسلام ورعيمة أمة [illegible] وفي المقدمة من دون الإسلام وشعوبه [illegible] والمصرية - والقومية - لها في دعوتنا مكانها ومرتبتها وحقها في الكفاح والنضال ونحن حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام [illegible] والعروبة لها في دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر [illegible] أمة الإسلام الأولى وشعبه المتميز [illegible] الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها [illegible] عندما نعمل للعروبة نعمل للإسلام [illegible] إن دعوتنا ذات مراحل [illegible] نرجو أن تتحقق تباعا [illegible] وأن نقطعها جميعا [illegible] نصل بعدها إلى الغاية [illegible] نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة تحتضن الإسلام وتجمع كلمة العرب وتعمل لخيرهم [illegible] المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان [illegible] وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته [illegible] حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ! [illegible] (١١٨)

---

(١٠٥) [illegible] ص ٧٦ - ٧٨ (١٠٦) [illegible] ص ٩٩

(١٠٦) المصدر السابق ص ٨٨ (١١٨) المصدر السابق ص ١١٢ - ١١٥

وسائل التبليغ

[illegible] [illegible] [illegible] [

[illegible] على الله [illegible] أحد الحسنيين [illegible] النصر والسعادة [illegible] الشهادة والسعادة

أيها الإخوان المسلمون [illegible] الحموا ثروات العواطف بنظرات العقول [illegible] ولا تصادموا [illegible] لكون فإنها غلابة [illegible] ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر [illegible] وما هي منكم ببعيد! [119]

هكذا حدث الشيخ حسن [illegible] عن الأهداف العظمى للنقطة الإسلامية [illegible] وعن [illegible] في الواقع الإسلامي حتى تعود الأمة إلى بقاء الإسلام، وتضبط [illegible] حركة [illegible] والأسرة والأمة وواقع الحياة

* * *

لكن [illegible] هل كان [illegible] المسترشدون [illegible] حقيقة [illegible] هذا الأمر [illegible] في عقل [illegible]

[illegible] الأحداث [illegible] بالإيجاب [120]؟!

---

(١١٩) المصدر السابق، ص ١٦١

(١٢٠) [illegible] الإسلامية [illegible] ص ٨٣ [illegible] سنة ١٩٨٥م

(٦)
الجَمَاعَـة الإسْلاميَّة

كانت الهند في العقد الرابع من هذا القرن العشرين تموج أحداث حركة التحرير الثائرة طلبا للحرية والاستقلال عن الاستعمار الإنجليزي يقودها [حزب المؤتمر] الذي يقوده، ويوجد: غاندي [١٢٨٦ـ١٢٦٧هـ ١٨٦٩ـ١٩٤٨م] وينضم إليه حزب الأحرار [١٣٠٦ـ١٣٨٣هـ ١٨٨٩ـ١٩٦٤م] والذي حاط فيه جمهور الهندوكية [illegible] المثقفين والساسة والشباب المسلمين. وإلى جانب هذا الحزب كان تيار إسلامي يدعو إلى التميز عن هذه الحركة في [illegible] باختلاف [illegible] المستقبل [illegible] الهندوكي [illegible] من اختلاف قومي [illegible] الإسلامي [illegible] وكان الشاعر الفيلسوف المجدد محمد إقبال [١٢٩٠ـ١٣٥٧هـ ١٨٧٣ـ١٩٣٨م] من أبرز رموز هذا التيار.

وكان الأستاذ أبو الأعلى المودودي [١٣٢١ـ١٣٩٩هـ ـ ١٩٠٣ـ١٩٧٩م] قد ذاع شهرته عبر مجلته [ترجمان القرآن] التي جعل شعارها: «احملوا ـ أيها المسلمون ـ دعوة القرآن، وانهضوا وخلفوا فوق العالم» فدعاه إقبال [١٣٥٦هـ ١٩٣٧م] إلى [illegible] نشاطه [illegible] وغادر حيدر آباد الدكن [illegible] وفاة إقبال [illegible] حاملا [illegible] الكبير في معركة [illegible] المسلمين الهند عن مستقبل الهندوك

وفي [illegible] أعقبت موت [illegible] كتب [illegible] مؤلفاته في [illegible] فكرة [illegible] الإسلامي [illegible] «[illegible]» [illegible] مسلمي [illegible] كان [illegible] في فكر [illegible] العربية [illegible]

١ـ [illegible] الواحدة لكل الهنود، المبنية على «وحدة الأرض» [illegible] الواحدة في [illegible] من [illegible] الأخرى

٢ـ والدولة «الديمقراطية» على النمط الغربي [illegible] حكمها «الأغلبية» وهي [illegible] الأقلية ـ وهي [illegible] إسلامية

٣ـ [illegible] «[illegible]» [illegible] ولا [illegible] قسمة [illegible] الناس قوميا وحضاريا [illegible] هذه [illegible] من [illegible] «الروح [illegible]» [illegible] في مختلف [illegible] من عدوان على الطابع الشمولي للإسلام، كدين ودولة

[illegible] الأخر [illegible] الحضاري [illegible] الموروث [illegible] على الإسلام، [illegible] في الفكر الإسلامي [illegible] في المؤسسات الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible] في دفع [illegible] من [illegible] صفوف [illegible] الحضاري [illegible]

[illegible] فكر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٣٦٠هـ ١٩٤٠م [illegible] تكون فصيلا متميزا من فصائل اليقظة الإسلامية [illegible]

الواقع الإسلامي المتميز؟ فالحال هنا ليس كما هو في مصر وبلاد الوطن العربي. فالمسلمون أقلية، والهيمنة - بعد الاستعمار «الكافر» - «للوثنية» الهندوكية، والقوميات متعددة، وتعددها يعكس التعددية الحضارية في شبه القارة الهندية.

رفض الجاهلية الوافدة :

ولقد نصر المودودي [illegible] في عبقرية [illegible] وصورة [illegible] المتميز لحضارة الإسلام [illegible] على [illegible] للإسلام والمسلمين [illegible] «التعريب» هو الهزيمة الحقيقية، بل قمة الهزيمة أمام الأعداء [illegible] «الخيار الدائس» [illegible] عن الإسلام [illegible] في [illegible] المسلمين، بعد أن انهزموا عسكريا أمام جيوش الحضارة [illegible] استسلموا لثقافتها وفلسفتها، فما لم يستطع سيف البلاد العربية إنجازه أكملته فلسفتها. ولم يجر على العالم الإسلامي سيطرتها السياسية ماجرة عند غزوها الحضاري والفكري من البلدان والمصائب. فالسيطرة السياسية كانت تتحكم في الأجساد فقط، أما السيطرة الحضارية والفكرية فقد تحكمت في العقول والأذهان؟!» [21].

ولقد عرض المودودي للنظريات الرئيسية التي صعب الفكر العربي

---

٢ [illegible] الأمة الإسلامية ص ٢١ [illegible] سنة ٤٠١ هـ

حديث بطابعه [illegible] وكشف عن دلالتها على أصالة [illegible] المادي والإلحادي [illegible] حضارة [illegible] هذه النظريات [illegible] لم تخرج بهذه الحضارة عن [illegible] المادي والعدواني لهذه الحضارة !

● في فلسفة التاريخ [illegible] الألماني هيجل Hegel [١٧٧٠ - ١٨٣٠] وخلاصتها [illegible] كل [illegible] عصر من عصور التاريخ [illegible] على [illegible] في [illegible] عصر الحضارة [illegible] فهناك تنتفض وترفع الرأس أجيلة وأفكار [illegible] ولا تنتهي هذه المصارعة إلا بعصر جديد من الحضارة [illegible] يكون فيه [illegible] من الأنقاض [illegible] بعصر [illegible] كما [illegible] فيه [illegible] حكم [illegible] على عصر الحضارة [illegible] على [illegible] (١٢٢) ؟!

ورغم ما قد يبدو هذه النظرية [illegible] في تفسير التاريخ والتطور الحضاري من عناصر صدق ووجاهة . إلا أنها تميل بكفة الميزان إلى عوامل «التغير» و «التطور» و «نسخ الجديد للقديم» الأمر الذي يقلص حجم «الثوابت» الباقية عبر العصور حتى لو كانت هذه الثوابت هي «الدين» و «القيم» و «القسمات الحضارية» التي تميز الأمة كما تميز «البصمة»

---

٢٢ [illegible] ١٥ [illegible] ١٩٧٥ .

الإنسان ، وهذا ميل إلى « التغيير » على حساب « الثبات » هو ما ترفضه روح الحضارة الإسلامية التي وازنت بين الأقطاب في مختلف الظواهر طبيعية كانت أو اجتماعية فترتب من هذا الانحراف .

وبتقاييس هذه الفلسفة الهيجلية في تفسير التاريخ فنحن بعد الغزوة الاستعمارية التي غيرت واقعنا ـ نعيش واقعا جديدا لعصر جديد ينطبع واقعه بالطابع الغربي ، في طرق التنمية والتحديث وطرائق العيش ومن ثم فإن « الطبيعي » ـ وفق هذه النظرية ـ أن تخلي « ثوابت » موروثة الميدان للفكر والحضارة التي هي انعكاس لهذا « الواقع الجديد » ولما كان هذا الواقع « غربيا » فإن « الحضارة الغربية » هي التي يجب أن تسود [1] .

والمودودي يتساءل عن مخاطر هذه الفلسفة التاريخية علينا فيقول : « فهل يرجو ممن يكون قد رسخ في ذهنه مثل هذا التصور للتاريخ الإنساني أن يبقى في قلبه أثارة من التقدير أو ذرة من الإجلال للعصور التي مضى فيها الرسل والأنبياء ؟ وهل يرجع مستهديا إلى عهد النبوة والخلافة الراشدة ؟ حق أن هذه الفلسفة هي جملة فكرية منظمة مدججة بالبراهين والحجج تكاد تأتي الفكرة الدينية من أساسها ! » [23] .

ونحن ننبه على أن سلطان هذه النظرية هو الذي أقرر النظرات التي ترى الدين رجعية وتخلفا ، وترى الشريعة قانونا قد عفى عليه الزمن ، وترى في « الخيار الإسلامي » عودة إلى الوراء ... الخ ... الخ لأن أصحاب هذه النظرات قد عملوا هذه النظرية فاعتقدوا بوجوب نسخ الأنساق الفكرية

---

(٢٣) [illegible]

التي سادت في المراحل السابقة من التاريخ ؟

● وفي التطور الإنساني عند داروين وخلاصة نظرية داروين Darwin [١٨٠٩-١٨٢٢م] هي أن نشأة الحياة والأحياء وتطورهما محكومان بقانون تنازع البقاء وفي هذا التنازع قانون يقضي بأن البقاء للأصلح والأصلح هو الأقوى فالفناء للضعيف ؟

وإذا كانت الهيجلية - في التاريخ - قد جعلت نسخ الجديد «لتوثب العصر القديم مشروعاً وطبيعياً وقانونياً» فإن الداروينية تجعل «نسخ القوى للضعيف بإفنائه وإزاحته من الطريق» هو القانون الطبيعي والمشروع

ولقد لعبت هذه الفلسفة الدور الأعظم لتبرير عدوانية الرجل الأوربي على غيره وعدوانية حضارته على غيرها من الحضارات فالاستعمار الاستيطاني الذي يبيد السكان الأصليين - كما في حالة الهنود الحمر - تبرره الداروينية ؟ والاحتلال العسكري والسيطرة السياسية والنهب الاقتصادي من قبل القوة الغربية «للبلاد» الضعيفة ، على نحو يجرد الأمم المغلوبة من السيطرة على مقدرات بلادها - أي تحليها - وكأنه يبيدها - عن مقدرات بلادها - تبرره قانون داروين الخاص بتنازع البقاء ، لأن الأقوى هو الأصلح ؟ - و«الصلاح» هنا تحدده مادية الحضارة الغربية فتجعله مرادفاً للقوة ؟

ولقد لعبت هذه الفلسفة الدور الأعظم في تبرير عدوانية الغرب وحضارته على الشعوب الأخرى ومواريثها الحضارية فشرعت في مسخ ونسخ هذه المواريث لتغريب شعوبها لأنها هي «الأقوى» وما دامت هي «الأقوى» فهي «الأصلح» الذي يجب أن ينفرد بالبقاء ؟

وبقدر ما برزت الداروينية عدوانية الرجل الغربي، فإنها قد كشفت عن الطابع العدواني لحضارته الغربية؟ والمودودي يكشف هذه السوءة من سوءات الحضارة الغربية [illegible] من طبيعة الفطرة أن لا يستحق البقاء إلا الأقوى. فالأرض وما فيها، ووسائل الحياة وما بها لا يستحقها إلا القوي الذي يثبت أهليته للبقاء والحياة. ولا حق للضعيف في هذه الأشياء. وعليه أن يخلي المكان للقوي والقوي على حق تماما إذا أخذ مكان الضعيف بعد إزاحته عنه أو قضائه عليه! ولعمر الحق! لو كان بقي في ضمائر أهل الغرب شيء يخالج ضمائرهم، فقد أزاله داروين بحججه وشواهده؟ لقد حولت الإنسان دنيا مفترسا لأخيه في ميادين الاجتماع والمدنية والسياسة![24]»

● وفي الصراع الطبقي عند ماركس، وإذا كانت الصحيفة قد عبرت «التغيير على الثبوت»، وجعلت «الصراع» هو قانون الفكر، وجاءت الداروينية فبرزت غلبة «القوة» وحدها، وجعلت «الصراع» قانون «الطبيعة»، فإن «الصراع الطبقي» عند كارل ماركس Marx [١٨١٧-١٨٨٣م] قد أصبح هو القانون الذي يحكم [illegible]. لقد اعتبر «التناقض والصراع» هو «المطلق الوحيد» [illegible] فهو [illegible] يزيد وينقص [illegible] ويزول بتغير الظروف والملابسات! فهو ليس مجرد «واقع» يهدئه الإنسان ويعظم شذوذه ويكبح جموحه، بل هو «القانون»، والخير في سمعته وتعديته دائما وأبدا [illegible] إنها غاية [illegible]

---

٢٤ [illegible] ص ٤٧ [illegible] ٤٨

[illegible] الحضارة الغربية كي تكشف عن حقيقة هذه النظريات ؟!

والأستاذ المودودي يتمثل هذه الحقيقة فيقول : « .. فلقد جعل هيجل العالم الفكري ميدانا للصراع وجاء داروين وقدم الفطرة كميدان للحرب ثم جاء بعده ماركس وصور تجمع بنفس هذه الصورة »[25]

فهي إذن « الحضارة الجاهلية الجديدة » - كما قال المودودي - تلك التي عدت بالاستعمار ، أخطر التحديات التي تواجه تيار اليقظة الإسلامية الحديثة

لكن المودودي لم يكن صاحب موقف « متعصب » من الحضارة الغربية ككل ، ولم ينسحب رفضه لسلبياتها ، على كل ميادين إبداعها ، وخاصة الإبداع « العلمي » ، لأن [illegible] لا تمثل حضارة على [illegible] الحضارة [illegible] الإسلامية [illegible] « [illegible] » [illegible] الأخذ والعطاء بين الحضارات ظاهرة طبيعية وصحية ومطلوبة [illegible] درجة « التشبه والتقليد » [illegible] موقف الإسلام من الحضارة والثقافة والتمدن [illegible] من أخذ وعطاء فهو شيء فطري في الأمم التي تختلط بعضها ببعض فهو لا يجيزه فقط بل يريد له الازدهار فهو لا يريد الجدران التعصب بين الأمم أن تبقى قائمة فلا تأخذ أمة في حضارتها من أمة أخرى شيئا

---

٢٥ [illegible]

٢٦ [illegible]

فهو يرفض جاهلية العرب [illegible] يرفض كل [illegible]

وفي مواجهة الجاهلية الموروثة [illegible]

[illegible] الأحكام التي تصف « الموروث » و « الواقع » و « المجتمعات » الإسلامية [illegible] الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible] الوحش بالفريسة [illegible] « الاستعباد الذي [illegible] الانحطاط إلى « الأمر » و « السياسة » [illegible] في ذلك وزرا كبيرا [illegible] »[28]

---

(١٢٧) [illegible] ص ١٢٩

٢٨ [illegible] مجموعة سنة ١٩٦٩ م

[illegible] لا يرجع هذه «الجاهلية الموروثة» إلى عصور التخلف والتراجع [illegible] كما [illegible] غيره من أعلام النقطة الإسلامية [illegible] إلى عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان [٤٧ق هـ ـ ٣٥هـ ٥٧٧ـ٦٥٦م] رضي الله عنه [illegible] أن الأمر بعد أن انتقل إلى [illegible] على نهج الخلافة الراشدة [illegible] [illegible] فوجدت الجاهلية [illegible] النظام الجماعي الإسلامي [٢٩] [illegible] أموية وعباسية وتركية [illegible] العامين [illegible] عمر بن عبد العزيز [٦١ـ١٠١هـ ٦٨١ـ٧٢٠م] [illegible] على ما استفاده المسلمون [illegible] للأمم الأخرى [illegible] فانتشرت ضلالات الجاهلية الأولى ـ [جاهلية اليونان وما ناظرها] ـ وباطلها في جميع العلوم والفنون والتمدن والاجتماع ! [٣٠]

[illegible] ولأمم الأخرى [illegible] هذا الاتصال [illegible] التفاعل [illegible] قد رآه ظاهرة صحية [illegible]

---

٢٩ [illegible]

٣٠ [illegible]

٣١ [illegible] الإمام الشهيد [illegible]

نفسه من [illegible] عن المصادر [illegible] فليس له [illegible] كيانه ، المجتمع الإسلامي » [illegible] (١٣٣)

هذا عن « الوضع » و « المجتمع » [illegible] ثم يتحرج المودودي [illegible] عن « الإسلام » إلى « الكفر » و « الجاهلية »

[illegible] « التكفير » [illegible] الإسلام [illegible] الشهادتين [illegible] الإسلام [illegible] « الإسلام » [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] ليس الإسلام [illegible] بل هو إجراء و تصريح بالدخول في دائرة الإسلام [illegible] جوهر الإسلام فهو أن تطوع ذهنك وفق مبادئ الإسلام [illegible] وأن يكون هدفك الشخصي [illegible] من القرآن والسنة المحمدية ، فإن [illegible] تمسكه في [illegible] (١٣٤)

(١٣٣) [illegible] الإسلامي [illegible] ص ١٥٣ ، ١٥٤ طبعة [illegible] سنة ١٩٦٩ م .

(١٣٤) الحكومة الإسلامية ص ١٣ ترجمة أحمد إدريس طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

فهو قد وسع من [illegible] «الإسلام القانوني» [illegible] «شكل الإسلام» [illegible] كل من [illegible] الشهادة [illegible] ومنع [illegible] «التكفير» [illegible] حرمانه حقوق [illegible] المجتمع [illegible] لكنه [illegible] «الإسلام الجوهري» حتى [illegible] الإسلام!

ثم [illegible] يعود ليحكم على «[illegible]» [illegible] «[illegible]» [illegible] «[illegible]» [illegible] قائلا [illegible] إذا [illegible] في قضاياك السياسية والاقتصادية مسلكا يتفق وخطة أخرى غير خطة الإسلام الحكيم [illegible] فإن صنيعك هذا يعتبر ارتدادا حربيا [illegible] يفضي بك إلى ارتداد كلي نهائي!» (٣٥)

فكأنه [illegible] وإن تحرج من الحكم بالكفر والردة على الفرد المعاصي في الفرائض العينية [illegible] إلا أنه قد جعل مخالفة الشريعة في الفروض الكفائية - الاجتماعية - كفرا وردة [illegible] سواء حدث ذلك من الفرد أو من المجتمع [illegible] لكنه - وذلك خطأ بين - لم يفرق بين الخروج عن الشريعة - من الفرد والمجتمع - إنكارا لها وجحودا [illegible] والخروج عليها تقصيرا وعصيانا [illegible] الأمر الذي جعل صناعاته هذه تفعل ربما عكس ما أراد الرجل [illegible] فسهم في شيوع تهم «الكفر والحكم» [illegible] الردة [illegible] الصقها كثيرون ممن تأثروا بفكره [illegible] سواء على الأفراد أو على المجتمعات [illegible] حتى لقد زعج هذا الأمر إسلاميين كثيرين [illegible] تحرجوا من معنة الآثار المترتبة على شيوع «التكفير» في المناخ الفكري [illegible] اليقظة الإسلامية [illegible] ولقد تأكد وصدق حدس هؤلاء [illegible] خصوصا بعد أن أصبح «التكفير» سلاحا تشهره «جماعات إسلامية» ضد «جماعات إسلامية» أخرى

---

(٣٥) [illegible]

فقد مرض عقل الناس الإسلامي [illegible] شديد ١٧

كذلك أخطأ المودودي حين أطلق حكم الجاهلية على المجتمع الإسلامي . [illegible] الإسلام [illegible] المجتمع من سمات الجاهلية [illegible] لأنه لم [illegible] العودة كلية الى الجاهلية . فالردة هي تنكر للإسلام وجحود عقيدته وشريعته وليس المعاصي والذنوب المتمثلة في تعطيل كثير أو قليل من أحكام الشريعة دون إنكارها او جحودها . وفي حديث مشهور أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه [illegible] في أمر من أمور الجاهلية . قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يا أبا ذر [illegible] إنك امرؤ فيك جاهلية [illegible] على الإسلام [illegible] الجاهلية [illegible] محمد [illegible] كانت – من سمات الجاهلية [illegible] الجاهلية بالردة عن الإسلام [illegible] الجحود والإنكار [illegible]

إن الإعجاب بنقد المودودي للحضارة الغربية [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلامية [illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible] من حركة [illegible] الإسلامية طوال [illegible]

(١٣٦) رواه البخاري [illegible]

الحاكمية الإلهية :

[illegible] مودودي [illegible] في الحكم على المجتمعات الإسلامية بالجاهلية والكفر [illegible] الإسلامية [illegible] من شعارات الخوارج [illegible] وتفكيرهم [illegible] الحاكمية [illegible] في [illegible] الإسلامي المعاصر صحيح أن فكره في الحاكمية إذا قرئ متكاملا، وفهم جيدا، فلن يثير ما فهمه منه البعض، ولن يؤدي إلى ما أدى إليه من بلبلة وشبهات [illegible] لكن بعث شعار موهم [illegible] وصياغة عبارات موهمة ـ في الحديث عنه ـ كما صنع مودودي، كان ولابد أن يأتي بعكس ما أراد الرجل من وراء بعثه هذا الشعار ؟ !

[illegible] في حديثه عن الحاكمية [illegible] موهمة [illegible] الحاكمية [illegible] للإنسان [illegible] من مثل قوله [illegible] وجهة نظر العقيدة الإسلامية تقول: إن الحق وحده هو الحاكم بذاته وأصله. وأن حكم سواه موهوب وممنوح [illegible] وإن أي شخص أو جماعة يدعي لنفسه أو لغيره حاكمية كلية أو جزئية، في ظل هذا النظام، وهو ولا ريب سادر في الإفك والزور والبهتان المبين [illegible] وإن الإنسان لا حظ له من الحاكمية إطلاقا [illegible] وضعية الدولة الإسلامية [illegible] ليست ديمقراطية [illegible] فالديمقراطية ليست من الإسلام في شيء [illegible] فلا يصح إطلاق كلمة الديمقراطية على نظام الدولة الإسلامية [illegible] [٣٧]

---

٣٧ [illegible] الإسلامية [illegible] ٨ [illegible] ٨٢ [illegible] ٧ [illegible] ٧٣ [illegible] ص ٣ [illegible]

وجعل المودودى فى [illegible] المبهمة « الحاكمية » [illegible] يعنى من

السلطة لله وحده والسلطة المطلقة [الفعال لما يريد الذى [لا يسأل عما يفعل] (٣٨) والتى تعنى خاصية وخصيصة لله [illegible] ووجد هناك [illegible] لا غير [illegible] على [illegible] [illegible] كثير من الإسلاميين [illegible] عن الإسلام [illegible] الأمة فى [illegible] [illegible] الإسلام إلى [illegible] الذى أسعد [illegible] هذا الفهم القاصر [illegible] فى [illegible] الإسلام .

ونحن نقول إن المودودى قد صمم [illegible] لتعزيز [illegible] رفع الخروج له وانفرادهم [illegible] وهذه العبارات الموهمة التى ضللت كثيرا من شباب الإسلاميين . ونقول أيضا إن المودودى قد ظلم من قبل الذين وقفوا عند هذه العبارات الموهمة ولم يقرأوا صفحة [illegible] كتبه عندئذ وربما لم يقرأوا عبارات كثيرة كتبها [illegible] وشرح أنه لم يكن عدوا للديمقراطية كنظام يعطى الأمة السلطة والسلطان فى سياسة دولتها وشئون مجتمعها وإنما كان عداؤه ورفضه لإطلاق الديمقراطية الغربية لسلطة الأمة إلى الحد الذى تحل فيه الحرام وتحرم فيه الحلال كما كان عداؤه لشمولية الديمقراطية القائمة على حكم الأغلبية وخضوع الأقلية إذ كانت الأغلبية ثابتة لتميزها الدينى والحضارى عن الأقلية كما كان [illegible]

٣٨ - [نظرية الدستور الإسلامى] ص ٢٥١ ، ٢٥٣ طبعة [illegible] سنة ١٩٦٩ م

ـ ٧٥ هندوك و ٢٥ مسلمين ـ لأن هذه المؤسسة ستكون في حقيقة ديكتاتورية الجوهر والمضمون؟!

لقد ضمت الآثار الفكرية للمودودي الكثير من الصناعات التي ضبطت فكره في هذا الموضوع وذلك من مثل قوله: «إن الحكومة الإسلامية قد خوّل فيها للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة بمقاصد الشريعة وحدودها»[139]

«وما لم يرد فيه نص ـ وهو المجال الأوسع ـ فلأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في سن الأنظمة التي تحقق مصلحة الأمة بالمشورة المتبادلة على أن تكون منسجمة مع الإطار العام لأسس الشريعة ... والخلافة الإسلامية ديمقراطية وديمقراطية الإسلامية هي ـ كديمقراطية الغرب ـ لا تتألف الحكومة فيها ولا تتغير إلا بالرأي العام ولكن الفرق بينها وبينهم أنهم يحسبون ديمقراطيتهم حرة مطلقة العنان ونحن نعتقد الخلافة الديمقراطية مقيدة بقانون الله عز وجل ... والخلافة الإسلامية هي ديمقراطية في جوهرها وروحها ... فيها انتخاب الخليفة أو الرئيس أو الأمير وفق رأي الجماهير وبإرادتهم الحرة ... كما يتم فيها انتخاب أهل الحل والعقد والشورى كذلك ... وهم الذين هم الحق المطلق في نقد تصرفات الحكام ومحاسبتهم[142] ...»

فبعد أن نفى عن الإنسان «أي حظ من الحاكمية ... حاكمية شعبية في المجال الأوسع الذي لم يرد فيه نص شرعي ... وبعد أن نفى

---

(١٣٩) [نظرية الإسلام السياسية] ص ٣٤ ـ ٣٥ و [الإسلام والمدنية الحديثة] ص ٣٠ طبعة ... سنة ١٩٧٨م.

(١٤٠) [الإسلام والمدنية الحديثة] ص ...

(١٤١) [... الإسلامي] ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠

(١٤٢) [الإسلام والمدنية الحديثة] ص ٣٦ ـ ٣٨

[illegible]

الشريعة وحدودها [illegible]

لكن الذي شاع — هو المفهوم [illegible] — واتصرف [illegible] — مفهوم وشعار الحاكمية، في مفهوم وشعار «الجاهلية» و«الردة» و«التكفير» — التي ابتدعها المودودي، غير مسبوق إليها في حركة اليقظة الإسلامية الحديثة — لتصبح «معالم الطريق» لتيار الرفض والعنف بين الإسلاميين المعاصرين (١٤٣) ؟!

---

(١٤٣) [illegible]

(٧)
تيّار الرفضْ .. الانقلَابى

فى ٣ [illegible] سنة ١٣٦٨ هـ [٢ [illegible] سنة ١٩٤٩م] [illegible] الإمام حسن [illegible] جماعة الإخوان [illegible] خصومة فى وضح النهار، وفى واحد من أكثر شوارع القاهرة أهمية وحركة؟!

وكان العام الذى سبق [illegible] قد شهد عددا من حوادث العنف [illegible] «كتائب الإخوان» ـ النظام الخاص [illegible] السرى ـ [illegible] فتصاعد الصراع بين الجماعة وبين الحكومة [illegible] الحكومة [illegible] الجماعة فى ٦ [illegible] سنة ١٣٦٨ هـ ٨ [illegible] سنة ١٩٤٨م [illegible] الإخوان [illegible] محمود فهمى النقراشى [illegible] [٥ [illegible] ١٣٦٨ هـ ١٨٨٨ ـ ١٩٤٨م] [illegible] الإخوان [illegible]

[illegible] الإخوان [illegible] حرب الأعلية [illegible] إلى الحكم فى ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٦٩ هـ ١٢ يناير سنة ١٩٥٠م [illegible] الجماعة [illegible] وقيادتها [illegible] ومرشدها العام ومفكرها [illegible]؟!

[illegible] الجماعة [illegible] المسافة الطويلة والمساحة الكبيرة بين القائد المرشد [illegible] حركة

وتسلخ أفق ... ودركا معظم الغاية ... ومن ثم الإصرار على سياسة مراحل ... [illegible] بالتحلل والعجز ... وبين حالات نصف الثاني في الجماعة ... [illegible]

حيث هذا النصف الثاني؟! [illegible] الجماعة [illegible]

[illegible] وتحمل [illegible] بعضهم فوق بعض [illegible]

مع المرشد [illegible] أكثر من [illegible] تمثل فيه [illegible]

المأساوي في منعطف جديد!

[illegible] [١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م] [illegible] في فكر بعض هؤلاء [illegible]

[illegible] الإسلامي [illegible] أفكار [illegible] على [illegible]

وعن «الإسلام» للأمة؟!

إن الحكومة تتهمهم [illegible] كل المشتركين [illegible]

للإسلام! وليس هم من ذنب إلا المطالبون بالإسلام [illegible]

وشريعة [illegible] لأنه [illegible]

[illegible] الحكم [illegible] يحكم [illegible] البلاد [illegible]

[illegible]

[illegible] العنف [illegible] إلا في صراعاتهم مع [illegible]؟!

فحين [illegible] «الدولة» [illegible]

تساءل نفر من شباب [الإخوان] وطلاب [illegible]

- هل المسلمون هم «جماعة المسلمين»؟

- أم المسلمون هم «جماعة الإخوان المسلمين»؟

ولكن هذا [illegible] الذي يصرح بقضية « التكفير » ووجود المجتمع في « الجاهلية » الجديدة [illegible] على الفكر الإسلامي [illegible] [illegible] كان معروفا [illegible] للأستاذ أبو الأعلى المودودي وجماعته الإسلامية في [illegible] [illegible] فكر المودودي [illegible] [الإخوان] [illegible] في سنة ١٩٤٩م ، [illegible] رقم ٢٢ [illegible] [illegible] من مكتبة [illegible] كاملة من رسائل أبو الأعلى المودودي [illegible] عن فكر المودودي لأوقف عند بعض [illegible] وقد [illegible] أن يكون [illegible] [illegible] والإسلام وحده من لدن عليم خبير »(٤٤)

[illegible] في أرض الإسلاميين بمصر ، وللمرة الأولى [illegible] « [illegible] » [illegible] قد رأت ، بعد دراسة فكر المودودي [illegible] فكر [illegible] هو فكر سياسي [illegible] [illegible] في مصر [illegible] الإسلام [illegible] [illegible] الإخوان .

والذين يسعون حركة « تأثير فكر » الأستاذ المودودي ، خروج الدعوة [illegible] ودخوله في الساحة المصرية والعربية ، لا يعلمون لهذا الفكر أثرًا يذكر

(٤٤) [illegible] أبو الأعلى [illegible] [illegible] عبد الحميد [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م

[illegible] الشيخ حسن [illegible] في [illegible] إلى القيادة الفكرية [illegible] عن استشهاد [illegible] فكر [illegible] الإسلامي في ذلك [illegible] الأستاذ المودودي [illegible] ذلك التاريخ [illegible] فكره [illegible] ونشر عدد من رسائله في القاهرة [illegible]

[illegible] في [illegible] سنة ١٣٧١هـ ٢٣ [illegible] سنة ١٩٥٢م [illegible] العلاقة بين [الإخوان] [illegible] [illegible] في تاريخ جماعة على الإطلاق [illegible] وهنا بدأت [illegible] فكر الأستاذ المودودي عن « تكفير المجتمع والجاهلية » [illegible] من [illegible] وسمو في [illegible] واتسعت المساحة التي بدأت تعمر فكر « الأزمة » المتوتر [illegible] بدلا من « الفكر الطبيعي » [illegible] فتحقق في صفوف جماعة من حول « الأديب » الأستاذ سيد قطب [١٣٢٤ ـ ١٣٨٦هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م] ذلك التيار الجديد [illegible] الفصام الكامل مع الواقع [illegible] الرفض والانقلاب [illegible] الذي انطلق من فكر المودودي ـ بعد أن وظفه في [illegible] الهندي الذي [illegible] ـ بل وتصاعد بعلوه أكثر وأكبر !

● لقد رأى المودودي في « القومية السياسية الهندية » ذات الأغلبية [illegible] الخطر الذي سيقضي بـ « ديمقراطية الأغلبية الهندوكية » على دولة الإسلام والتمييز الحضاري للمسلمين [illegible] في هذه القومية [illegible] وفي ديمقراطيتها وفي سلطة جماهيرها عدوانا على « الحاكمية الإلهية » [illegible] « شرك » « يرتد » بالمجتمع إلى « الجاهلية » !

[illegible] الإسلام [illegible] سنة ١٩٥٣م [illegible] الدستور الإسلامي [illegible]

● ورأى سيد قطب في « القومية العربية » التي قاد جمال عبد الناصر [١٣٣٦ - ١٣٩٠هـ ١٩١٨ - ١٩٧٠م] مدها وفي « ديمقراطيتها الموجهة » وفي سلطة الجماهير التي استقطبها المشروع القومي - الاجتماعي الناصري خطر الساحق للإسلاميين المقيدين بالأصفاد ! فحكم بعدوان هذا المشروع بكل مكوناته وجميع توجهاته على « الحاكمية الإلهية » وقطع « بكفره » و « بجاهليته » !

ولما كانت الجماهير الأمة وعامتها قد استقطبت للمشروع الناصري وأبدت قيادته . فلقد خلعها فكر هذا التيار عن « عرش الخلافة » والبداية التي قررها الإسلام للإنسان والأمة عن الله سبحانه وتعالى لأنها قد « شركت » في « الحاكمية » غير الله فلم يعد - لارتدادها « بالكفر » إلى « الجاهلية » - قائمة بحق الخلافة متمتعة بشرفها وهنا كان تصاعد سيد قطب - غلوا - بفكر المودودي - المتسم هو الآخر بالغلو ! فالمودودي حكم « بالكفر » و « الجاهلية » على « المجتمع » وقطع في هذا الحكم ولم يحكم بهما - صراحة وفي قطع - وإن كان قد فتح الباب بذلك - على « الأمة » أما سيد قطب ، فلقد قادته هذه المقدمات المغلوطة إلى الحكم « بالكفر » و « الجاهلية » على « الأمة » و « المجتمع » جميعا !

وبدلا من « خلافة » « الجماعة » الأمة ، قدم سيد قطب كبديل « خلافة » « الجماعة » التنظيم التي انفردت وتنفرد بالإسلام من دون الناس والتي عليها أن تبدأ من الصفر كما صنع الرسول - عليه الصلاة والسلام - و « جيل الصحابة الفريد » !

إن « خلافة الأمة عن الله » لم تكن تمنع قيام « الجماعة - الطليعة - المنظمة » للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير ! ولتكن منكم

أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون][146] ولكن هذه الجماعة الطليعة المنظمة كانت جزءاً من الأمة المسلمة ... والأمة في فكر هذا الشيخ ... كذلك ... الجاهلية ... من الجاهلية التي عاصرها الإسلام الأول[147]

فلقد انعدم الرباط الإيماني الذي يصل هذه الجماعة الطليعة المنظمة بـ«الأمة» فغدا «التنظيم الجديد» وحده الأمة المسلمة بالانفصال عن الجاهلية والاستعلاء على الكفار والسعي - من نقطة الصفر - إلى بناء «العقيدة» وتجسيدها «بالحركة» في «الجماعة» التي عليها أن تقيم «المجتمع المسلم» ... وبنفس النهج والخطوات التي تمت في «الحقبة المكية» من دعوة الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى الإسلام!

ذلك هو «عنوان» الدعوة التي دعا إليها تيار الرفض والقصام بكامل مع الواقع الذي صم ويصم «الإسلاميين» الانقلابيين

لقد كان حسن البنا - كما سبقت إشارتنا - يتحدث عن مصر التي «اندمجت بكليتها في الإسلام بكليته عقيدته ولغته وحضارته فتظاهر الإسلام قوته فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب حياتها أسماؤها إسلامية ولغتها عربية وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء وهذه المشاعر لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام

---

(١٤٦) ابن عمران ١٠٤

(١٤٧) سيد قطب [معالم في الطريق] ص ٢١ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠ م

وكانت دعوته متوجهة إلى تخليص هذا الإسلام مما شابه من «موروث» أضاف أو انتقص من الإسلام - بالابتداع - أو «وافد» غربي سعى ويسعى لاقتلاع الإسلام من حياة الأمة - فأحدث بوجوده ثنائية في الفكر والسلوك.(١٤٨)

وكان المودودي - رغم زيادته - في العصر الحديث - في حديثه عن «الحاكمية» و«الجاهلية» و«التكفير» - قد وقف عند القطع «بارتداد المجتمع» دون «الأمة» ولذلك كانت «الديمقراطية» والانتخابات سبيلا عنده للإصلاح المنشود فالأمة لم تكفر في نظره ومن ثم فإن الاحتكام إليها سبيل لتخليص الإسلام من «الجاهلية» الموروثة ومن الجاهلية التغريب.(١٤٩)

لكن المودودي كان قد فتح الباب - وإن في تردد - لمن يأتي فيفتحه على مصراعيه - مُصدِّراً الحكم بتكفير الأمة وإرادتها فهو قد حكم على «الواقع» و«الموروث» بالجاهلية وقال إن قرن الجاهلية قد عاد إلى الظهور منذ عصر عثمان بن عفان ثم نفى الإسلام والإسلامية عن الذين لا يحتكمون إلى الشريعة في الفروض الاجتماعية وعندما عرض للمجددين عبر التاريخ الإسلامي لم يمتدح ويعجب بغير ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨م).(١٥٠)

فلما جاء سيد قطب - في الطرف النكد الذي كتب فيه كتابه «معالم في

---

(١٤٨) [مجموعة الدين وفاة الشهيد حسن البنا] ص ١٢٠ ، ١٢١

(١٤٩) [موجز تاريخ جديد الدين وإحيائه] ص ٤١ ، ٤٢

(١٥٠) المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٩

الطريق ـ رأى أن الأمة قد دانت بحاكمية غير الله ـ لا بمعنى أنها ركعت وسجدت لغير الله ـ ولكن لأنها تلقت عن حاكمية الطواغيت «كل مقومات حياتها تقريبا» ! ومادامت قد أخذت «كل مقومات حياتها» عن الطواغيت فلقد «كفرت» بالإسلام كفرانا مبينا !!

[illegible] «تدخل في [illegible] مجتمع جاهلي [illegible] مجتمعات [illegible] «مسلمة» ! وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا [illegible] غير الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله ـ فتدين بحاكمية غير الله ـ فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها وقيمها وموازينها وعاداتها وتقاليدها ـ وكل مقومات حياتها تقريبا ! »[151]

هنا ـ وبهذا التشخيص ـ تجاوز سيد قطب موقع المودودي على درب «تجهيل المجتمع و«تكفيره» ـ ثم استمر به السير على درب العلو حتى صرح بما لم يصرح به المودودي ـ فحكم ـ قاطعا ـ «بكفر» «الأمة» ـ وليس فقط «المجتمع» و«الدولة» ـ قطع في هذا الحكم قطع الواثق المستيقن ـ بل لقد حكم بكفر هذه الأمة منذ قرون وقرون !

فبعد أن حكم على كل مجتمعات [illegible] وإسلامية [illegible]

---

(١٥١) [معالم في الطريق] ص ١٠١

[illegible] ليس على وجه الأرض مجتمع قد قرر فعلا بحكم شريعة الله وحدها . ورفض كل شريعة سواها » [152] [illegible] فحكم [illegible] وجود الأمة المسلمة [illegible] لا في عصر [illegible] وحده [illegible] فوجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة [153] !

وفي مكان آخر [illegible] الحكم [illegible] فيقول : « إن موقف الإسلام من هذه المجتمعات كلها [illegible] يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها . » [154] !

ومثل « المجتمعات [illegible] » [illegible] مسلمين [illegible] من دعوتهم للدخول في الإسلام من جديد [illegible] أن [illegible] هي مسألة كفر [illegible] مسألة شرك وتوحيد [illegible] مسألة جاهلية وإسلام [illegible] أن يكون واضحا . إن الناس ليسوا مسلمين ـ كما يدعون ـ وهم يحيون حياة الجاهلية [illegible] ليس هذا إسلاما [illegible] وليس هؤلاء مسلمين [illegible] والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهليين إلى الإسلام [illegible] ولنجعل منهم مسلمين من جديد ! » [155]

[illegible] مسبوق [illegible] « يعني أن

---

(152) المرجع السابق ص ٣٩

(153) المرجع السابق ص ٨

(154) المرجع السابق ١٠٣

(155) المرجع السابق ص ١٧٣

يكون مفهوم لأصحاب الدعوة الإسلامية أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين، يجب أن يدعوهم أولاً إلى إعتناق العقيدة ـ حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ـ وتشهد شهادات الميلاد بأنهم مسلمون [illegible] في هذا الدين عصبة من الناس [illegible] هي التي [illegible] اسم «المجتمع المسلم» [illegible] (١٥٦)

لقد كفرت الأمة ـ برأي سيد قطب ـ كفر شريعة وعقيدة [illegible] ومهمة ـ برأيه ـ هي «إعادة إنشاء هذا الدين» [illegible] وهي هي [illegible] «المجتمع المسلم» [illegible] (١٥٧)

* * *

هكذا [illegible] النقطة الإسلامية [illegible] الرفض الانفلاتي [illegible] حكم [illegible] والمجتمع، والأمة ومن ثم رفض ويرفض العمل من خلال [illegible] التي أقامتها الأمة [illegible] الجاهلية [illegible] مهيمنة على هذه المجتمعات [illegible] الانفلاتي [illegible] الإسلامية!

وفي إطار هذا التفصيل تتعدد الجماعات، لكنها جميعاً [illegible] في هذا [illegible] الإسلامية [illegible] «جاهلية» [illegible] الكفر [illegible] الجاهلية [illegible] الآخر يعمم هذا الحكم على الأمة [illegible] وهناك من يروع فيحكم «بالجاهلية»

---

(١٥٦) [illegible]

[illegible] الكفر [illegible] في صفوف الجماهير [illegible] الكفر [illegible] الكفار؟!

وإذا كانت كثير من التفاصيل [illegible] في المناهج [illegible] هذا السبيل الذي سلكه حتى تحقق في واقع اليقظة الإسلامية المعاصرة [illegible] وهذه الأحكام التي حكم بها على واقع المسلمين [illegible]

(١٥٧) [illegible] التفاصيل [illegible] الذي كتبناه على [illegible] تكامل [illegible] [illegible] [illegible] ص ١٤٣ـ١٧٢ وكتابنا [illegible] [illegible] ١٩٨٣ [illegible] ١٩٨٦ م

وأخيـرًا ..
مـا العـمل ؟؟..

[illegible]

[illegible]

[illegible]

● أن الإسلام هو فكرية ـ «أيديولوجية» الأمة وإذا كانت هذه الأمة قد اجتمعت على أصول لدين وعقيدته فمتى مرة كادت أن تتفرد

بها بين أمم الشرائع والرسالات أما خلافات هذه الأمة فهي في « الفروع » المتعلقة بالحضارة والعمران ومنها السبل والرؤى والمناهج المرشحة لإقامة الدولة الإسلامية ـ وهي من الفروع ـ ولأسلمة الواقع والمعارف والعلوم وجميعها من مهام الحضارة ومباحثها وليست من أصول الدين ولا من أمهات الاعتقاد فالخلاف فيها طبيعي بل وصحي وأيضا ضرورة من الضرورات ومن الذي يبلغ به الخيال حد تصور الاتفاق والاجتماع والإجماع في كل الفروع والجزئيات والتفاصيل بين أمة يبلغ تعدادها المليار ؟! إن ذلك مما يستحيل في حرب من الأحزاب فما بالنا بأمة بأسرها ؟!

ثم ـ أي خيال ذلك الذي يجمح بصاحبه حتى يتوقع براءة صفوف أمة بأسرها من الآراء المعادية والأحكام الشاذة والاتجاهات المريضة في ميدان فسيح ، تختلف فيه الآراء ، وتتنوع المنطلقات ، وتتعدد الغايات ؟!

إن الاختلاف بين الإسلاميين هو من الأمور الطبيعية وشذوذ بعض الآراء وفجاجة بعض التقييمات والأحكام هي مما يدخل في نطاق « الأمر المنتظر والمفهوم » !

● إن درجة الحدة والعلو اللتين بلغهما « الواقع » الإسلامي في مخالفاته للنهج الإسلامي عامل أساسي في تبلور هذا الفصيل الرافض الانقلابي الذي يمثل « الاحتجاج ـ الغاضب » على هذا الشذوذ عن نهج الإسلام إنه « إفراط » استفزه واستنفره « التفريط » .

وإذن فنحن لسنا بإزاء « حالة غير مفهومة وغير مبررة » تستعصي على العلاج وإنما نحن ـ مرة أخرى ـ بإزاء ظاهرة هي مما يدخل في نطاق « الأمر المنتظر والمفهوم » ! وهو أمر ليس مستحيل العلاج ، شريطة أن

يتوجه العلاج إلى «الأسباب» وليس فقط إلى «الأعراض»!!

● إن فصيل الرفض الانقلابي ـ في حركة اليقظة الإسلامية ـ يبلغ في العلو حد اختزال تراث هذه الأمة الحضاري. فلا يقبل منه سوى ابن تيمية [٦٦١ـ٧٢٨هـ ١٢٦٣ـ١٣٢٨م] وتلميذه ابن القيم [٦٩١ـ٧٥١هـ ١٢٩٢ـ١٣٥٠م] قديماً والمودودي وسيد قطب في العصر الحديث[158] وما عدا ذلك من تراث هذه الأمة وإبداعها الحضاري هو جاهلية خالصة وفكر شابته وعشته هذه الجاهلية فأخرجته عن تصورات الإسلام!!

وهذا الرأي، على شذوذه وغرابته، ليس بدعاً بين الآراء الشاذة التي تزخر بها المذاهب والأنساق الفكرية. ففي إطار الماركسية ـ كنظرية وأحزاب وتطبيقات ودول ونهج فكري وإبداع نظري في مختلف الميادين ـ في عالم الماركسية هناك من يختزلها إلى «تروتسكي» [١٨٧٩ـ١٩٤٠م] وأفكاره ومذهبه في الثورة العالمية فقط. وهناك من يختزلها إلى «ماوتسي تونج» [١٨٩٣ـ١٩٧٦م] ورأيه في الثورة الثقافية وحده. وهناك «الجيفاريون» وعشرات من منظمات الرفض والعنف التي بلغت في الرفض مبلغ العصابات وقطاع الطريق!

ومع ذلك فإن هذا العلو لا يثير السخرية التي تنسحب على الماركسية كلها على النحو الذي هو حادث في تناول ظاهرة العلو الإسلامي! فهل العلو طبيعي في صفوف حركة فكرية محدودة العدد وغير طبيعي في صفوف فكرية أمة بأسرها؟! أم أن العداء للخيار الإسلامي وانزعاجه في إهالة التراب على

---

(١٥٨) صبري نور، جريدة [النور] الأسبوعية القاهرة، ٢٤ ـ ٩ ـ ١٩٨٦م

« اليقظة الإسلامية » هو السبب في اختلاف واختلال الموازين ؟

● إن حجم فصيل الرفض الانقلابي في تيار اليقظة الإسلامية محدود ، لكن الغضب و « الاحتجاج » - عادة - يثير من الضجيج والغبار أكثر من حجم المصدر الآتي منه « الغضب والاحتجاج » ولذلك فإن وجود هذا الفصيل - فضلا عن طبيعته - وارتباط هذا الوجود بأسبابه - فإنه لا يثير - عند الذين يعرفون حجم تيار اليقظة الإسلامية - أي انزعاج ؟

* * *

[illegible] اليقظة الإسلامية [illegible] أن تعود الأمة كاملة إلى كامل إسلامها وأن يتحدد واقعها بواسطة التجديد للدين ، كي تتجاوز الأمة والواقع قيود التخلف الموروث ومسخ فكرته التغريب فتنهض نهضتها المستقلة وتعطي عطاءها المتميز إثراء للفكر الإنساني من جديد

[illegible] فهناك

● [illegible] في طول الوطن الإسلامي [illegible]

● [illegible] وكتائب من الأعلام [illegible] الإسلامية - حكومية [illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible] وفتح منافذ الاجتهاد والتجديد [illegible]
[illegible] والفقهية [illegible] والإذاعات السمعية والمرئية [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
وكتائب العلماء [illegible] في حركة [illegible]
الإسلامية

وهكذا، نستطيع أن نميز في القطاع العامل [illegible] الإسلامية تيارات ثلاث:

(أ) المشتغلون بحضارة الإسلام يجددونها، ويصنعون البديل للحضارة الغربية الغازية، ويصوغون العقول القادرة على ملء المواقع التي يخلفها المتغربون.

(ب) وفصيل «الغضب والاحتجاج»، الرافض للواقع رفضا كاملا والمندفع بكليته - رغم علمه القليل، وتعصبه الكثير، وبحماسه الأكثر - لاقتناص «الدولة والسلطة»، استعجالا للنصر وحتى النهار.

(جـ) من هم بين بين، من الجماعات والجمعيات والأحزاب المشتغلة بالإسلام السياسي، من خلال القنوات الشرعية والسبل المشروعة المتاحة في مجتمعاتها العلمانية.

والمطلوب هو أن لا يكون كل فريق من هؤلاء الفرقاء فرحون بما لديهم وحده، ورافضون لما لدى الآخرين رفضا كاملا وحادا.[59]

---

٥٩ [illegible] مقال الأستاذ محيي الدين عطية «العمل»

فبعث حضارة الإسلام وتجديد الدين بالاجتهاد هو السبيل بصياغة «دليل العمل» مرشد لتيار اليقظة الإسلامية وبدونه ستضل الطريق وتفقد الاتجاه.

وفصيل الرفض الانقلابي، يزلزل مسلمات التيار العلماني وينتزع منه جماهير الشباب في مختلف الميادين والمجالات ويلفت النظر ـ بغضبه واحتجاجه ـ إلى موكب اليقظة الإسلامية ويلقي الرعب في قلوب الأعداء.

أما الفصيل الثالث ـ الجماعات والجمعيات والأحزاب المستعينة بالإسلام السياسي من خلال القنوات الشرعية والأطر المشروعة ـ فإنه مرشح ليكون همزة الوصل وحلقة الربط وقناة الاتصال التي «ترشد» فصيل الرفض الانقلابي باجتهادات التيار الحضاري ليجتمع «العقل» مع «العمل» فتنهض اليقظة الإسلامية على الساقين الاثنتين فإذا «تقاربت» التصورات وتآزرت الجهود وتساندت الخطوات كان الغرس أجود والنمو أسرع والفاقد أقل.

وإذا كان «ترشيد» فصيل الرفض الانقلابي باجتهادات المفكرين الحضاريين الإسلاميين الشرط الضروري كي لا يضل الحماس والاندفاع بجموع الشباب المسلم إلى إحباط جديد فإن اجتهاد «العقل المسلم» على مقربة من حرارة القلوب المسلمة الشابة، هو السبيل لإخراج كثير من مفكرينا وعلمائنا من الأبراج العاجية، ومتاحف الآثار ومناطق الحفريات.

إن اليقظة الإسلامية هي أعظم ظواهر العصر الذي نعيشه وهي طوق النجاة لخير أمة أخرجت للناس وعلى نجاحها تتوقف صياغة «الدليل

الجماعي بدر مفهوم، مجلة «الأمة» القطرية العدد ٧٢ ـ ذو الحجة سنة ١٤٠٦ هـ أغسطس سنة ١٩٨٦.

الحضارى المرشح لإنقاذ الإنسانية من المأزق والطريق المسدود اللذين صنعتهما الحضارة الغربية بإنسانها . ثم حاولت وتحاول ـ بالهيمنة والاحتواء والعدوان ـ فرضهما على الإنسانية جمعاء

إن الذين يسترجعون صورة الشرق يوم ظهر الإسلام سيملؤهم اليقين بالحقيقة القائلة إن حياة وإحياء الشرق وأمته إنما هو «هبة الإسلام»[١٦٠]

والذين ينظرون إلى صورة الشرق اليوم لابد وأن يملأهم اليقين بالمأثورة القائلة لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها الإحياء الإسلامي واليقظة الإسلامية فالإسلام هو الرسالة الخالدة لهذه الأمة الواحدة

وكما أن الماء يحيي الأرض الموات «فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء»[١٦١] وصدق الله العظيم إذ يقول [يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم]

صدق الله العظيم

---

(١٦٠) من كلمات لقمان الحكيم لابنه رواه مالك في الموطأ

(١٦١) الأنفال ٢٤

المَصَــادر

القرآن الكريم

كتب السنة

صحيح البخاري، طبعة دار الشعب القاهرة

صحيح مسلم، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م

سنن الترمذي، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧ م

سنن النسائي، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م

سنن أبي داود، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ م

سنن ابن ماجه، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢ م

سنن الدارمي، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م

مسند الإمام أحمد، طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هـ

موطأ الإمام مالك، طبعة دار الشعب القاهرة

[illegible] [الخصائص الرسالية في [illegible] الرابع الهجري] طبعة بيروت سنة ١٩٦٧ م

ابن أبي الحديد [شرح نهج البلاغة] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م

ابن باديس [كتاب آثار ابن باديس] طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨ م

ابن تيمية [العبودية] و [الفرقان بين أولياء الرحمن [illegible] الشيطان] و [الواسطة بين الحق والخلق] طبعة بيروت [illegible]

[منهاج السنة النبوية] طبعة القاهرة ـ الأولى ـ

[الفتاوى الكبرى] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ م

ابن حزم [رسائل ابن حزم] طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م

[المقدمة] طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

ابن [illegible] [فصل المقال] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢ م

[illegible] [الطبقات] طبعة القاهرة دار التحرير

[illegible] [هدية [illegible]] و [هذه مسائل الجاهلية] طبعة القاهرة ـ [illegible]

[illegible] [تهذيب تاريخ ابن عساكر] طبعة دمشق

[illegible] [أعلام الموقعين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م

[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] طبعة [illegible] سنة ١٩٧٧ م

ابن منظور [لسان العرب] طبعة القاهرة دار المعارف

[illegible] [كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢ م

[illegible] [كتاب الخراج] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥ م

[illegible] [الحركة السنوسية] طبعة بيروت سنة ١٩٦٧ م

[illegible] [دائرة المعارف الإسلامية] طبعة القاهرة

[illegible] [الدعوة إلى الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م

[illegible]

[illegible] [تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر] طبعة الرياض سنة ١٤٨٤ هـ

[illegible] [مقالات الإسلاميين] طبعة استانبول سنة ١٩٢٩ م

الأصفهاني	[الأغاني] طبعة القاهرة دار الشعب
الأفغاني	[الأعمال الكاملة] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م
أمين سامي (باشا)	[التعليم في مصر] طبعة القاهرة سنة ١٩١٧ م
[illegible]	[دائرة المعارف الإسلامية] طبعة القاهرة
[illegible]	[كشاف اصطلاحات الفنون] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م
[illegible]	[أزهار الأفكار في جواهر الأحجار] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م
الجاحظ	[رسائل الجاحظ] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م
	[كتاب الحيوان] طبعة القاهرة الثانية
الجبرتي	[عجائب الآثار في التراجم والأخبار] طبعة دار فارس بيروت
الجرجاني	[التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ م
الجيوم	[[illegible] علم الكلام] طبعة [illegible] «تراث الإسلام» سنة ١٩٧٢ م
حسن البنا	[مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] طبعة القاهرة [illegible] الشهاب
	[[illegible]] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م
[illegible]	[الأمة والجماعة والسلطة] طبعة [illegible] سنة ١٩٨٤ م
[illegible]	[الموسوعة الفلسفية] طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م
الزركلي	[الأعلام] طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ م
سلامة موسى	[اليوم والغد] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ م
[illegible]	
[illegible]	[المودودي: فكره ودعوته] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م
سيد قطب	[معالم [illegible]] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠ م

سكب [illegible]	[حاضر العالم الإسلامي] طبعة بيروت سنة ١٩٧١ م
[illegible]	مجلة [النور] عدد ٢٤-٩-١٩٨٦ م
[illegible]	[مراصد الاطلاع] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م
[illegible]	[في الشعر الجاهلي] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦ م
	[مستقبل الثقافة في مصر] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧ م
[illegible]	
القاضي	[فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م
عبد الكريم الخطيب	[الدعوة الوهابية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م
عبد المنعم أبو بكر (دكتور)	[أخناتون] طبعة القاهرة سنة ١٩٦١ م
علي سامي النشار (دكتور)	[مناهج البحث عند مفكري الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م
علي عبد الرازق	[الإسلام وأصول الحكم] طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م
علي فهمي خشيم (دكتور)	[الخبائثان: أبو علي وأبو هاشم] طبعة طرابلس - ليبيا سنة ١٩٦٨ م
عمر رضا كحالة	[معجم القبائل العربية] طبعة دمشق سنة ١٩٦٨ م
الغزالي	[الاقتصاد في الاعتقاد] مطبعة صبيح - القاهرة
قدري حافظ طوقان	[تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م
[illegible]	[الجامع لأحكام القرآن] طبعة القاهرة - دار الكتب المصرية
القلقشندي	[صبح الأعشى] طبعة القاهرة - دار الكتب المصرية
الكوكبي	[الأعمال الكاملة] طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م
الماوردي	[أدب القاضي] طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م
	[أدب الدنيا والدين] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م

[الأحكام السلطانية] طبعة القاهرة سنه ١٩٧٣ م

مجمع اللغة العربية ـ القاهرة [المعجم الكبير] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م

[معجم ألفاظ القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنه ١٩٧٠ م

[المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م

محمد حميد الله الحيدر

ابادي (دكتور) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافه الراشده] طبعه القاهره سنه ١٩٥٦ م

محمد عاطف غيث (دكتور) [قاموس علم الاجتماع] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م

محمد عبده (الأستاذ الإمام) [الأعمال الكاملة] طبعه بيروت سنه ١٩٧٢ م

[الإسلام والرد على منتقديه] ـ مجموعة المنار ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨ م

محمد عماره (دكتور) [العرب والتحدي] طبعة الكويت سنة ١٩٨٠ م

[فجر اليقظة القومية] طبعه القاهرة سنة ١٩٦٧ م وطبعه بيروت سنه ١٩٨١ م

[العلمانية وسيطرتها الحديثة] طبعه القاهره سنه ١٩٨٦ م

[تيارات الفكر الإسلامي] طبعه القاهرة سنة ١٩٨٢ م ـ سنه ١٩٨٤ م وطبعة بيروت سنة ١٩٨٥ م

[مسلمون ثوار] طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م

[الاستقلال الحضاري] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣ م وطبعة بيروت سنة ١٩٨٦

[الصحوه الإسلامية والتحدي الحضاري] طبعه القاهره سنة ١٩٨٥ م

[مودودي والصحوة الإسلامية] طبعه بيروت سنه

١٩٨٦ م وطبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م

[الفريضة الغائبة عرض وحوار وتقسيم] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢ م ، وطبعة بيروت سنة ١٩٨٣ م

محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب القاهرة

محمد محمد حسين (دكتور) [الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠ م

محمد مختار المصري (باشا) [التوفيقات الإلهامية] طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م

محمود شاكر [اقتصاديات العالم الإسلامي] طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م

محيي الدين عطية : مجلة [الأمة] القطرية عدد ذو الحجة سنة ١٤٠٦ هـ أغسطس سنة ١٩٨٦ م

مصطفى الفقي (دكتور) [الأقباط في السياسة المصرية] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥ م

المقريزي [الخطط] طبعة القاهرة دار التحرير

المهدي (محمد أحمد) [منشورات المهدية] طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ م

المودودي (أبو الأعلى) [الطريق إلى وحدة الأمة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ١٤٠١ هـ

[واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم] طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م

[الأمة الإسلامية وقضية القومية] طبعة القاهرة سنة ١٩٨ م

[نظرية الإسلام السياسية] طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ م

[موجز تاريخ [illegible]] طبعة [illegible] سنة ١٩٧٥ م

[القانون الإسلامي وطرق تنفيذه في باكستان] طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ م

[الحكومة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م

[تدوين الدستور الإسلامي] طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ م

[الإسلام والمدنية الحديثة] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٨ م

[illegible] (دكتور) [مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ] طبعة بيروت سنة ١٩٧٨ م

[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] طبعة [illegible] [illegible]

وجيه كوثراني (دكتور) [وثائق المؤتمر العربي الأول] طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م

وينسنك (ا ى) [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة لندن ١٩٣٦ـ١٩٦٩ م

الفهـــرس

تمهيد ٥
هل المسلمون أمة واحدة ؟ ١١
مفهوم الأمة فى أصول العربية ١٦
أمة بمعنى نحو ٢٠
هل للمسلمين حضارة متميزة ؟ ٤٧
تاريخ التراجع الحضارى وأسبابه ومظاهره ٨١
فيما يتعلق بمقاليد الحضارة العربية الإسلامية ٩٩
وفيما يتعلق بالانحراف عن شريعة الأمة ١١٠
وفيما يتعلق بالنظم الاقتصادى والاجتماعى للرعية ١١٢
وفيما يتعلق بالعلوم الحضارية ١١٥
وفيما يتعلق بعلاقة الفقهاء بالسلاطين ١١٩
اليقظة الإسلامية ١ ـ البدايات والتحديات ١٣٩
المعركة ١٤٧
اليقظة الإسلامية ٢ ـ أثر الدعوات والتيارات والجماعات ١٥٧
١ ـ الوهابية ١٦٠
٢ ـ السنوسية ١٦٨
٣ ـ المهدية ١٧٥
٤ ـ أثر الجامعة الإسلامية ١٨٥
أعلام هذا العصر ١٨٥

والمناخ الذى تبلور فيه ١٩٣
الموقف الوسطى (المتوازن) ١٩٨
الدولة : إسلامية .. مدنية ٢٠٦
والعروبة المتميزة فى المحيط الإسلامى ٢٠٩
وحضارة جديدة ومتميزة ٢١٦
٥ ـ جماعة الإخوان المسلمين ٢٢٤
التصدى للتغريب ٢٢٧
والتخلف الموروث ٢٣٠
والبراءة من الغلو ٢٣٣
والاستقلال السياسى ٢٣٦
والاستقلال الاقتصادى ٢٣٧
والعدل الاجتماعى ٢٤٠
والاستقلال الحضارى ٢٤١
والتفاعل الحضارى ٢٤٦
عالم اليقظة الإسلامية ٢٤٧
وسبل التنفيذ ٢٥١
٦ ـ الجماعة الإسلامية ٢٥٣
رفض الجاهلية الوافدة ٢٥٥
وفى مواجهة الجاهلية الموروثة ٢٦١
الحاكمية الإلهية ٢٦٧
٧ ـ تيار الرفض .. الانقلابى ٢٧١
وأخيرا .. ما العمل ؟؟ ٢٨٢
المصـــادر ٢٨٩

رقم الإيداع : ٥٣٤١/ ١٩٨٩
الترقيم الدولي ٣ ـ ٣٢٩ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٣٦٨٧٨ ـ ٣٩٣٦٠١٤

بيروت ص.ب ٨١٦٩ ـ هاتف ٣١٥٠٥٩ ـ ٨١٧٢٤٣ ـ ٨١١٠٦٥

الطريق إلى اليقظة الإسلامية

إن سكان العالم الإسلامي يمتلكون ميزات «الأمة الواحدة» ، وتجمعهم جميعًا السمات والقسمات التي تؤلف بينهم حضاريًا بالحضارة الإسلامية الواحدة . وفي القلب والعقل من كل فرد من أفراد هذه الأمة الواحدة . ذات الحضارة الواحدة هذه العقيدة الدينية . التي تجمع الكل على إله واحد ، ونبي واحد ، وكتاب واحد ، وقبلة واحدة .. هي ذات العقيدة التي سبق وجعلت من قبائل الجاهلية الجاهلة المتناحرة خير أمة أخرجت للناس . وصنعت من البداوة أعظم المنارات الحضارية التي عرفها تاريخ الإنسان .

فأين الخلل إذن ؟.. ولماذا هذه الغفلة التي تحول بين العقيدة وبين التجدد الحضاري مرة أخرى ؟!.. وكيف ولماذا ومتى دخلت هذه الأمة دور التوقف فالتراجع فالجمود ؟.. وكيف السبيل إلى يقظة إسلامية تبعث حضارتنا الإسلامية من جديد . هذا البعث الذي يجعل هذه الأمة الواحدة تتقدم إلى الإنسانية . مرة أخرى بالإسلام ـ رسالتها الخالدة ـ لتسهم من جديد في إخراج الإنسانية من المأزق الحضاري الذي يمسك منها بالخناق ؟!.